

موجز التاريخ
فى القرن التاسع عشر

ويشمل مقرر السنة الرابعة العالية



بدار العلوم

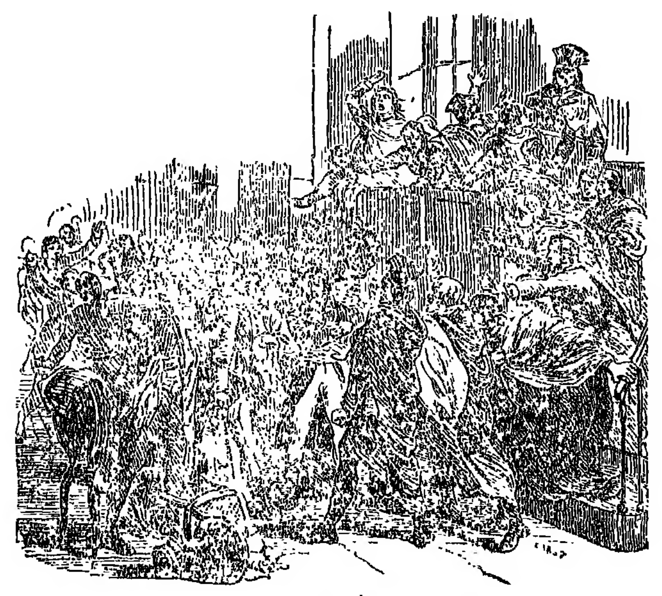
تأليف

محمود عابدين ، حسن خليفه
مدرس بدار العلوم — مدرس بدار العلوم

(الطبعة الأولى)

١٣٤٥ هـ – ...٢٧

المطبعة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة



نابليون أمام مجلس الخمسمائة (يقابل صحيفة ٢٩)

ملاحظة : (١) الصورة الآتية
ى صورة يوسف مزينى التى وضعت
طأ فى صحيفة (٧٢)

ملاحظة : (٢) الصورة التى فى
نحة (٧٤) خطأ والصورة الحقيقة
ص (٧٦)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

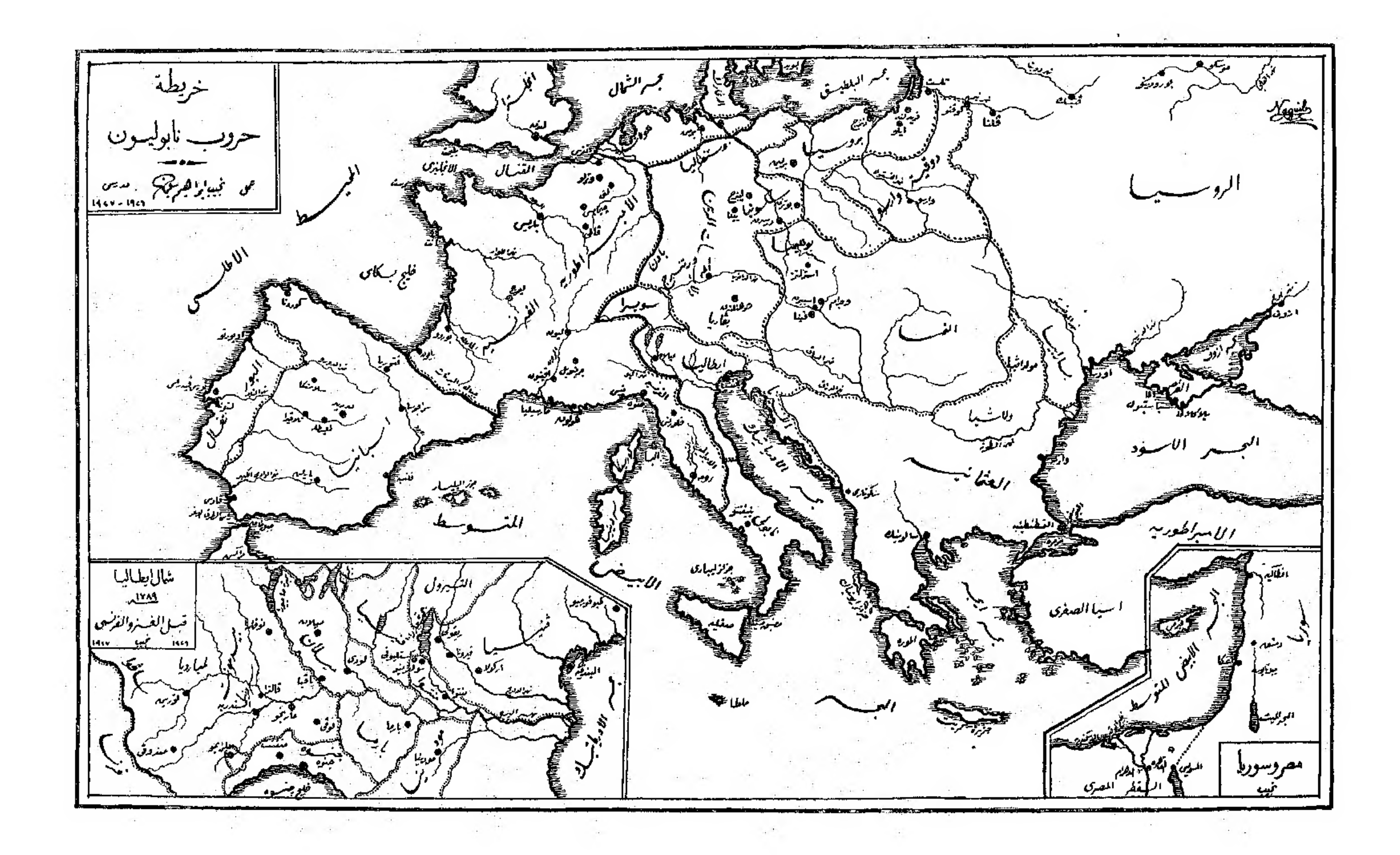
الحمد لله ، الذى جعل الأولين سلفا ومثلا للآخرين ، هو الأول والآخر ، أنزل على نبيه القصص الحق هدى للناس وتبصرة .

وهذا كتاب فى تاريخ القرن التاسع عشر ، وما وقع بعده من الحوادث الى نهاية الحرب العالميه ، قمنا بتأليفه بعد تدريس مادته عدة سنين ، ابتغاء الوصول بقارئيه من الطلاب الى الغاية التى ينشدونها وهى الفوز بالنجاح فى امتحاناتهم ، وبجمهور القراء الى الوقوف على ماوقع فى هذا القرن من الحوادث الهامة التى غيرت مجرى النظم ، وأساليب الحكم وخرجت بالناس من ربقة العبودية الى نور الحرية ، وشجعتهم على المضى فى سبيل التقدم السياسى والصناعى .

وقد توخينا فيه سهولة العبارة ودقة التحقيق مستمدين موضوعاته من أوثق المصادر وأحراها بالاعتبار والتصديق ؛ على أننا لم نذهب فى نسرد الحوادث الى التطويل الممل أو الاختصار المخل ليكون فى ذلك غناء الطالب ، وراحة القارئين من غير طلبة المدارس

وانا لنرجو أن نكون قد وفقنا فى مقصدنا ، وهدينا السبيل

حسن خليفه		محمود عابدين



خريطة
حروب نابوليون
عمل نجيب ابراهيم مدرس
١٩٢٦ - ١٩٢٧
شمال ايطاليا
سنة ١٧٨٩
قبل الغزو الفرنسي
١٩٢٦ نجيب ١٩٢٧
مصر وسوريا
بحر الشمال
بحر البلطيق
الروسيا
بروسيا
سويسرا
ايطاليا
خليج بسكاي
المتوسط
الابيض
البحر الاسود
العثمانية
الامبراطورية
اسيا الصغرى
الاطلسي
المحيط
والاشيا
مولدافيا
صقلية
مالطا
جزر البليار
جزر ليباري
كورسيكا
سردينيا
المورة
القسطنطينية
سالونيك
بحر الادرياتيك
لمباردي
تيرول
فينسيا
اسيا الصغرى
البحر الابيض المتوسط
دمشق
عكا
السويس
القاهرة
الاهرام

الثورة الفرنســـية

١٧٨٩ — ١٧٩٩

الباب الأول



الفصل الاول

حال فرنسا قبيل الثورة

تمهيد : الثورة الفرنسية انقلاب سياسى عظيم يشبه الانقلاب الذى أحدثه الأصلاح الدينى فى التاريخ . وهى عبارة عن قيام الأمة الفرنسية فى وجه الملوك واستبدادهم ، والنبلاء وامتيازاتهم. وكان شعارها « الحرية والمساواة والأخاء » ولكن باسم هذا المبدأ ارتكبت أعظم الجرائم وأقساها ، غير أن ما حصل إبانها من الغلو يجب أن لا يخفى عن الأعين روحها الشريف وأغراضها السامية ، وما كان يرمى اليه دعاتها ، وموجحو نارها ، من طرح نير الاستبداد وخلق « فرنسا » جديدة لتحل محل فرنسا القديمة .

أسباب الثورة : لهذه الثورة أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة أهمها :

ا وقوف الأصلاح فى كل شىء ، وتأخر حال الحكومة ، والحالة الاجتماعية واستبداد الملك بالسلطان .

ب — فقدان التوازن الاجتماعى بين طبقات الشعب بسيادة الأشراف على الفلاحين والصناع ، فكان الفلاح لا يحصل إلا على خمس كسبه لكثرة الضرائب .

حـ — طول حكم لويس الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وعدم قيامهم بالأصلاح مع استئثارهم بكل سلطة ، على قلة نفعهم للبلاد

ء — انتشار أفكار الفلاسفة الذين أيقظوا الحياة الفكرية من سباتها بكتاباتهم ؛ وكان أعظمهم أثراً فولتير ، وروسو ، ومنتسكيو ، وديدرو ، الذين كانوا يندون بالقديم فى كل شىء .

هـ — عود الجنود الفرنسية من أمريكا مشبعين بروح الثورة .

و — ضعف الملك الجالس على العرش

ز — خلو خزانة الحكومة من المال ، وحاجتها الى رجال قادرين على الأصلاح

ح — دستور انجلترة الذى أعجب به محبو الاصلاح من أهل فرنسا .

لنرجع الآن الى بسط بعض الأسباب المتقدمة لأثرها المباشر فى قيام الثورة :

كان من أهمها استبداد ملوك آل بوربون وسرفهم ؛ والامتيازات التى استمتع بها الاشراف والقساوسة ؛ على حين أن السواد الاكبر من الناس كانوا تاعسين

ملوك آل بوربون : كانت الحكومة الفرنسية فى عهدهم استبدادية ظالمة ، رزح تحتها جميع السكان وكانت أرواحهم تحت رحمة الملك ؛ وكان الناس يلقون فى غيابات السجون من غير أن يعرفوا لهم ذنباً اجترحوه ؛ وكانت أوامر الملوك هى «القوانين» ؛ وكانت الضرائب على عهدهم عبارة عن سرقات ومصادرات ؛ وكانت تبعثر ذات اليمين وذات الشمال فى مرضاة الملوك واشباع شهواتهم ؛ و بذلك وقف الاصلاح فى كل شىء وكان ماينفقه لويس الخامس عشر على حريمه يفوق ماينفق على أى عمل فى الحكومة

ورغم ميول بعضهم الحسنة نحو الاصلاح فأنهم لم يستطيعوا عمل شىء فانحدرت البلاد الى هاوية لم ينتشلها منها إلا قيام الثورة .

الاشراف : كان أشراف فرنسا فى عهد آل بوربون كثيرين بلغ عدد أسرهم ثلاثين الفاً ، هم بقية أشراف العهد الأقطاعى الذين اتخذوا الدهماء سخريا ، وعاملوهم معاملة الرقيق . وكان الملوك يقربونهم كما كانوا هم مترفين يسكنون القصور العالية فى باريس وفرساى ؛ ولطالما صعروا خدودهم للناس ، يبغون عليهم بغير الحق وكانوا لا يؤدون للحكومة ضريبة

كبار القساوسة : كانوا أصحاب ثروة كبيرة وهبها المتدينون للكنائس فكانوا يرتعون فى بحبوحة العز ؛ وقد بلغت أملاكهم أكثر من ثلث أراضي فرنسا ؛ ومع ذلك لم يؤدوا عنها ضريبة . وكان القساوسة والأساقفة ينتخبون من الأسرات الشريفة فيدخلون فى خدمة الكنيسة طمعا فى دخلها وإيرادها وما يتبعها من أبهة وميزات ، لا رغبة فى الدين ولا بدافع التقوى . ولذلك كرههم أصاغر رجال الدين الذين أخلصوا الخدمة رغم فقرهم المدقع ، كما امتلأت قلوب العامة حنقا عليهم

الطبقتان الدنيا والوسطى : تلك كانت حال النبلاء ورجال الدين يمرحون فى ميادين السعادة والهناءة ، أما الأمة التى كان يبلغ عددها نحو خمسة وعشرين مليونا ، فقد كانت تنقسم قسمين كبيرين ، الطبقة الوسطى وجلها من أغنياء التجار والصناع والمحامين وغيرهم من ذوى الكفايات والمتعلمين ، وكانو على جانب عظيم من الذكاء والفطنة ؛ ومن بين هؤلاء ظهر الذين دبروا الثورة وقاموا بها فى بادىء أمرها . والطبقة الدنيا ، أكثر السكان عددا ، كانت من الزراع وحالهم تفتت الكبد ، وينفطر لها الفؤاد ، يجبرون على دفع ضرائب للنبلاء ، وأخرى للربانيين ، وثالثة للحكومة ، مقيدين فى حريتهم لا يتركون وشأنهم ، بل يزرعون ما يؤمرون به ولا يجسرون على الوقوف فى وجه النبيل يتلف مزروعاتهم على مرأى منهم فلا يحركون ساكنا ، وان أنكروا شيئاً من ذلك ضُربوا بعصا الاستبداد ، ويشنقون اذا دافعوا عن أعراضهم ، وكان كثير منهم يموت صبراً ويترك طعاما للوحش والطير . وعلى الجملة كانت فرنسا قبيل تلك الثورة كأنها مستشفى كبير كل من به مرضى وجلهم فى النزع الاخير . ؛وكانت قلوب الحكام متحجرة ، وكان الملوك فى غفلة عما كان سيجر اليه كل هذا

الكتابات والأفكار الثورية : نشر الكتاب الفرنسيون بكل جرأة أثناء القرن الثامن عشر فى طول البلاد وعرضها كتاباتهم وأفكارهم الثورية ، وقاموا يحتجون على نظام الحكومة وعدم المساواة بين الطبقات الاجتماعية . وكانوا كثيرين اشتهر من بينهم منتسكيو ، وفولتير ، وروسو ود يدرو . (١٧١٣ — ١٧٨٤) . فكان الأول (١٦٨٩ — ١٧٥٥) محبا للنظم الانجليزية والقواعد الدستورية . وكتب كتابا سماه

(روح القانون) جمع فيه تواريخ نظم الحكومات وأنواعها ومساوىء كل منها ومحاسنه وقال فيه بوجوب فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية بعضها عن بعض كى تضمن الحرية ، فكان كتابا ذا تأثير كبير فى أوربة. وحمل فولتير (١٦٩٤ – ١٧٧٨) كثيراً على الاستبداد . وكان هو العامل القوى فى إثارة النفوس على الملكية المطلقة حتى سقط احترام الحكومة فى فرنسا

وكان يعاصره روسّو (١٧١٢ – ١٧٧٨) وقد قرر فى كتابه(العقد الاجتماعى) أن الناس سواء لا فرق بين غنى وفقير ونبيل، وحقير ونصح لمواطنيه بالرجوع الى الحالة الطبيعية الأولى ، وعدم الاذعان للنظم الصناعية التى سببت بلاءهم . قرأ الناس هذه الأفكار فاحتقروا النظم السياسية والدينية ، وأردوا تغييرها فلم يجدوا لذلك سبيلا غير النزوع الى الثورة فثاروا .

الثورة الامريكية — قام الأمريكيون يطالبون بالاستقلال وحاربوا انجلتره لنيل مطلبهم ، وشجعتهم الحكومة الفرنسية فى ذلك معنويا ، ثم ساعدتهم حسياً ، ونسيت أن المصائب والآلام التى ثار من أجلها الأمريكيون كانت أخف بكثير مما كان يئن من جورها الفرنسيون أنفسهم . ولما ظفرت أمريكا باستقلالها تاقت نفوس الفرنسيين لنيل ما ناله غيرهم بحد السيف . وقد كتب أحد مشهورى كتاب الانجليز (آرثر ينْج) وكان فى فرنسا اذ ذاك يقول « ان الثورة الأمريكية قد وضعت أساسا متينا لثورة مثلها فى فرنسا ، فيجب على الحكومة أن تتنبه وتعمل على اخمادها » ولقد وقع ما تنبأ به .

حكم لويس الخامس عشر – (١٧١٥ – ١٧٧٤) جلس على عرش لويس الرابع عشر وهو فى الخامسة من العمر ، فقام بالوصاية عليه « دوق أورليان» وكان رجلا فاقد الشرف لا مبدأ له ، سار بفرنسا الى طريق الفوضى والدمار ، بعد أن كانت صدر الصف الأول بين الممالك أيام لويس الرابع عشر ، وضعفت على يديه الملكية حتى كاد يذهب ريحها ، وتضاعفت الديون على الحكومة، وخوت خزائنها ، فأسس (جون لو) الاسكتلندى مصرفا برأس مال وهمى وجعل الناس يعاملونه بأوراق مالية نظير دفعهم مبالغ الى المصرف ، وتكونت شركة عرفت باسم « شركة المسيسپى » لتوهم الناس أن الفرنسيين ابتاعوا بمال هذا المصرف أراضى كثيرة الذهب والفضة

والأحجار الكريمة فى لويزيانا بامريكة ، فأقبل الناس على شراء سندات هذا المصرف بأثمان عالية ، وبعد قليل وضح الحق وعلم الناس أنهم قد خدعوا وأفلس كثيرون منهم .

اما الملك فقد تربى ونشأ فى حمأة الرذيلة، ولما بلغ رشده عام ١٧٢٣ ترك مقاليد الأمور لخواصه ومنهم « مدام پمپادور » والكونتسه « ديبّارى » . وظلت الأولى تصرّف أمور السياسة والحرب لمدة ١٩ سنة كأنها كانت رئيس وزراء فرنسا، تشرف على كل أعمال الحكومة . وغصّ بلاط الملك بالخلعاء والمجّان المستهترين الذين لم تر لهم فرنسا مثيلا من عهد أباطرة الرومان المهملين .وكانت مدام پمپادور مسرفة مبذرة أضاعت أموال الأمة على ملذاتها وبطانتها السيئة . ومما زاد الطين بلة اشتراك فرنسا فى حرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠ ــ ١٧٤٨) وحرب السنين السبع (١٧٥٦ ــ ١٧٦٣) فخرجت منها خاسرة، وانتزعت منها أملاكها فى الهند وكندا، وضوعفت الديون

من بعدنا الطوفان : شام لويس الخامس عشر برق العاصفة ولكنه لم يعبأ بها ، وكلما نصحه ناصح قال هو ومدام پمپادور « من بعدنا الطوفان » . وغصب الناس أموالهم ليرضى بها أطماعه ، وأخمد أنفاسهم بزجهم فى سجن الباستيل، فكرهوه واحتقروا كل منتم اليه فكان ذلك كله نذير الثورة . وقد فقد ملوك آل بور بون سيادتهم بأنتهاء حكم لويس الخامس عشر . وعلى الجملة أصبحت فرنسا فى عهده أضعف دول أوربة

صورة سجن الباستيل

لويس السادس عشر (١٧٧٤ـ١٧٩٣م) والمسائل المالية واجتماع الأعيانـ مات لويس الخامس عشر سنة ١٧٧٤ وترك حفيده على العرش وهو فى العشرين من عمره وكان لويس السادس عشر طيب القلب أمينا محباً للعمل إلا أنه عديم الجرأة ،


ترجوت

فتسلم زمام الأمر وخزانة الحكومة خاوية ، فلم يستطع أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام فى سبيل الاصلاح وكان همه اذن تحصيل المال اللازم لذلك ، فعمل جهد طاقته لتحسين المالية بطرق مختلفة فلم يفلح ، وساءت الحال وازداد الدين ، فعمد الملك الى تغيير وزراء المالية واحداً بعد آخر فساعده الوزير (ترجوت) والوزير (نيكر) والوزير (فليرى) وثلاثة آخرون ، ولكن على غير جدوى ، لان الملكة مارى انطوانت زوجه النمساوية ، كانت مبذرة شديدة الاسراف ، حتى أن الأهالى كرهوها .

اجتماع المجلس : وأخيراً اضطر الملك الى عقد مجلس من النبلاء والرؤساء الربانيين سنة ١٧٨٧ ليعاونوه فى إيجاد حل مرض . اجتمع هذا المجلس المعروف بمجلس الأعيان و بعد أخذ ورد انفض بدون أن يصل الى حل مرض ، لأن هؤلاء الأعيان لم ينزلوا عن شىء من امتيازاتهم أو يقبلوا دفع الضرائب التى أعفوا منها زمانا طويلا والتى كانت توقر ظهور الفلاحين وحدهم ، فلم يجد الملك بداً من أن يأمر بعقد (مجلس النواب) الذى لم يعقد منذ سنة ١٦١٤م . وفى ديسمبر سنة ١٧٨٨ أمر الملك بانتخاب النواب لعقد المجلس ، فقام نواب الشعب وطلبوا الى الحكومة أن يكون عددهم ضعف ما كان عليه قديما ليتساوى عددهم بعدد النواب من النبلاء ورجال الدين ، فقبلت الحكومة مطلبهم وأصبح عددهم (٦٠٠) بينما كان عدد نواب كل من الطائفتين الأخريين (٣٠٠) وكانت هذه أول خطوة نالتها الأمة من الملك ومن الحزبين ذوى الامتياز ، وكان أكثر رجال نواب الأمة من رجال القانون وأعيان الطبقة الوسطى ، وكان فى المجلس بعض رجال الدين الأصاغر ليمثلوا طبقتهم فى المطالبة بحقوقهم المهضومة . انتُخب النواب وتكامل عددهم ووطن كل نفسه على ان يطلب من الحكومة أن يشترك المجلس معها فى إدارة شئون المملكة اشتراكا فعليا . وفى ٥ مايو سنة ١٧٨٩ م اجتمع المجلس لاول مرة فى (فرساى)

وابتدأ المناقشة فى طريقة التصويت ، وكان المتبع قديما أن يتناقش كل حزب على حدة و يرسل قراره للحكومة ، فيكون قرار الحزبين (الأشراف ورجال الدين) أقوى من قرار حزب الأمة فينفذ . فطلب النواب ان يكون التصويت فرديا . وتسود الأغلبية . فرفضت الحكومة مطلبهم . وظل الخلاف قائما خمسة أسابيع . ولما رأى حزب الأمة ان الخلاف سيطول بلا فائدة خطا خطوة فى سبيل الثورة ، وسمى نفسه الجمعية الوطنية « الاهلية » ودعا النواب من الحزبين الآخرين للانضمام اليه . وابتدأت الجمعية فى تسيير أمور المملكة . فانضم اليها الكثيرون من النبلاء ورجال الدين فقوى ساعدها ، وخاف الملك العواقب ، فأمر بحل المجلس ، ومنع النواب دخول قاعاتهم . فعقدوا اجتماعاتهم فى الخلاء وصمموا على ألا ينفضوا إلا بارادتهم . و بعد أخذ ورد بين الملك والنواب لم ير الملك بداً من موافقتهم ، وأمر النبلاء والرؤساء الروحانيين أن ينضموا الى (الجمعية الوطنية) ففعلوا ففاز النواب بثانى مطلب لهم ، وازدادوا قوة شوكة .

الجمعية الوطنية الاهلية : (يونيه ١٧٨٩ — سبتمبر ١٧٩١ م) — يقول لامارتين (كانت هذه الجمعية أعظم مجلس عقد فى فرنسا منذ نشأتها) وكان من بين أعضائها أفذاذ من أمثال (لافايت) الذى نبه ذكره فى حرب استقلال الامريكيين . وعلا شأنه فى فرنسا حتى كان له النفوذ الاكبر . وكان من أعضائها « ميرابو » خطيب الثورة المفوّه ، الذى بعث فى قلوب الناس الحميّة والغيرة الوطنية ، ألا أنه كان لا ينزع الى القضاء على الملكية بل أراد الاصلاح . وقد بلغ من حب الناس له ان اختاروه رئيساً للجمعية الوطنية ، ولكنه مات عام ١٧٩١ م . قبل أن يرى تحقيق أمانيه . واشتهر كذلك من بين نواب الأمة « الأب سايس » المشرع الكبير والكاتب العظيم ثم « روبسبيير » وسيرد ذكره كثيراً فى حوادث الثورة

وتتلخص حوادث الثورة ومظاهرها كما يلى

(١) كانت فى أول أمرها معتدلة . يعطف عليها الانجليز وغيرهم

(٢) ظهر فيها العنف بهدم الباستيل فى ١٤ يوليه سنة ١٧٨٩

(٣) سجن لويس السادس عشر . وأنشئت الجمهورية عام ١٧٩٢

(٤) نقمت حكومات أوربة من روح الثورة

(٥) قطع رأس لويس السادس عشر سنة ١٧٩٣ وتلا ذلك (حكم الأرهاب) فقتلت زوجه وكثير من الأشراف، وروع الناس فقتل من أعيانهم فى خمسة أسابيع فى باريس وحدها ١٤٠٠ نفس، وعطل الدين و بدأت الفتن بين الأهالى

(٦) ضعفت الثورة تدريجا، وقامت حكومة منظمة، ولكنها مهدت السبيل إلى حكومة ملكية أخرى

ونبين فيما يلى بعض تلك المظاهر لأهميتها :

حكومة باريس الثورية : بينما كانت الجمعية الوطنية منهمكة فى تشريعاتها والملك ملتفت الى جمع الجيش، و بقية العساكر فى فرساى حول قصره، ذاع الخبر بأن الملك يريد حل الجمعية ومنعها من أتمام ما شرعت فيه، فقام سكان باريس عامة ليحبطوا ذلك المسعى، وكونوا مجلسا مؤقتا ليحافظ على الامن فيها رغم إرادة الحكومة؛ وقد زادت قوة هذا المجلس تدريجا حتى صار أقدر من الجمعية الوطنية نفسها. ولكي يقابل قوة الملك بقوة مثلها اذا دعت الحال، أمر بتأليف جيش يسمى « جيش الدفاع الوطنى » وكان قوامه العامة من أهل باريس، وقد طلب الباريسيون من مدائن فرنسا الأخرى أن تحذو حذوهم فقامت حركة التجنيد فى طول البلاد وعرضها .

تخريب الباستيل : وفى ١٤ يوليوسنة (١٧٨٩) طرد الملك من خدمته « نيكر » وكان من الوزراء المحبو بين فهاج الشعب فى باريس، وهجم فى ١٤ يوليو على مخزن الذخيرة والسلاح، وقتل الحراس، ثم تسلح وزحف على سجن الباستيل وخربه وأخرج من به من المسجونين ثم قتل كل من ناصر الحكومة فيه، وأرسل « لافايت » المفتاح الى جورج واشنجتون فى الولايات المتحدة ومعه خطاب فيه : « ان مبادىء أمريكة قد خربت الباستيل فاليك أرسل المفتاح »، تخرب الباستيل فكان تخريبه مماثلا لعمل لوثر عند ما أحرق الأنذار البابوى؛ وقد ارتج العالم المتمدين لهذا العمل، وشعر الملوك وهم على عروشهم بقوة الهزة . ولما ذاع خبر سقوط الباستيل فى أنحاء فرنسا قام المزارعون، فى طول البلاد وعرضها، بخربون السجون التى تماثله، وزادوا فى غلوائهم

فهاجموا قصور النبلاء وأحرقوها ، ليحرقوا معها امتيازاتهم ، فهاجر الكثيرون منهم. ولما رأى النواب منهم خطورة الأمر خافوا عواقبه ، وقام اثنان من الأشراف فى



منظر من شارع فى باريس بعد هدم الباستيل

أغسطس سنة ١٧٨٩ وسط الجمعية الوطنية ، ونزلا عن امتيازاتهما وحقوقهما فى الوراثة التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، فتبعهم الباقون ، ونزل الكل عن حقوقهم وامتيازاتهم ، سواء أكانوا من رجال الدين أم من الأمراء ؛ ولم يمض عشرون يوما على هذا التنازل حتى شرعت الجمعية الوطنية قانون (الاعتراف بحقوق الانسان) وهو ينص على المساواة بين الناس ، ويكفل الحرية الشخصية ، وحرية الشعب ؛ ونص على أن القانون فوق الجميع ، وألا يقبض على أى شخص بغير مسوغ قانونى

الى فرساى ٥ اكتوبر سنة ١٧٨٩ م : سنت الجمعية قانونها وراجت الأشاعات ثانيا بأن الملك يريد الهروب الى متز ، لينضم الى أعداء الأمة ، فهاج الشعب ، وقرر نفر من باريس الذهاب الى الملك لطلب المعونة منه ، وانضم الكثيرون اليهم وساروا جميعاً الى القصر ، وأرغموا الملك وأسرته على الحضور الى باريس ، وذلك ليمنعوه من المؤامرة ضد الأمة ولكن (لافايت) أخذ حراسته على عاتقه (٦ اكتوبر) وكان

من نتائج ذلك أن خاف الأشراف على أنفسهم فهاجر معظمهم الى ممالك أخرى ليستعينوا بها، وخاف الشعب عواقب ذلك، وأرجف المرجفون، فزاد حنق الناس على الملك من هذا الوقت . وفى نوفمبر من السنة نفسها صادرت الجمعية أملاك الكنيسة وسنت نظاما صارما خاصا برجال الدين ، فتعصب كثير منهم ، و بعد أن كانوا من أنصار الثورة انقلبوا عداة لها

هرب الملك (٢٠ يونيه) سنة ١٧٩١ : كثر عدد الأشراف الذين هاجروا ، واشتد ساعدهم ، وقرروا محاربة الثوار ولكن كان يمنعهم خوفهم على الملك وأسرته فربما هاج الشعب وقتله ، وقتل جميع الأسرة المالكة . ولذلك قر قرارهم على أن يخلصوا الملك من سجنه أولا ، ويخرجوه من فرنسا، فدبروا طريقة محكمة ، وخرج الملك وأتباعه فى جنح الليل من باريس، ولكن لسوء حظه قبض عليه الجنود عند الحدود الشرقية ، وأرغم على الرجوع الى باريس؛ وقد اعتبر كثيرون هروبه هذا بمثابة نزول منه عن العرش ، وابتدأت فكرة (الحكومة الجمهورية) تدب فى عقولهم .

الاحزاب اليعقوبيون والكردليون : تأججت نار الثورة فى فرنسا ، وكلما خمدت أعادها الناس جذعة ، وبخاصة أعضاء الحزبين اللذين تكونا فى باريس، أحدهما يسمى (حزب اليعقو بيين)[1] وكان يضم زعماء الثورة فى باريس وكثيراً من النواب ؛ وكان أشهر عضو فيه « روبسبيير » و (حزب الكرداليين)[2] ، وكان يتركب من كثير من الديمقراطيين، واشتهر من أعضائه (دانتون ومارات) وكان حزبا متطرف المبادىء أول الثورة ولكنه مالبث أن أصبح الحزب المعتدل بالنسبة لغلو اليعقو بيين الذين كانوا يذكون نار الثورة كلما خمد لهيبها

القانون الجديد : انتهت الجمعية الوطنية من تشريعها فى منتصف سبتمبر سنة

---

(١) سمى اليعقوبيون بهذا الاسم نسبة الى دير عقدوا فيه اجتماعاتهم الاولى . وكان أعضاء اليعقوبيين فى بادىء الأمر من أفراد الجمعية الأهلية ثم انضم اليهم كثير من رؤساء الثورة فى باريس

(٢) وسمى الكرداليون بهذا الاسم نسبة الى دير من أديار الاخوان الفرنشسكان كانت تعقد فيه جلساتهم

١٧٩١ وقررت أن تـكون الحكومة شورية فى فرنسا ، ووافق الملك على ذلك ، وانتثر عقد اجتماعها فى آخر سبتمبر بعد أن والت اجتماعها فوق السنتين .

الجمعية التشريعية . وكان من قوانينها أن يكون فى فرنسا (مجلس تشريعى) فقامت حركة الانتخاب فى طول البلاد وعرضها وتـكون المجلس من ٧٤٥ نائبا كلهم من الشبان الذين لم تتجاوز أعمارهم الثلاثين ، لأن الجمعية الوطنية حرمت على أعضائها ترشيح أنفسهم للعضوية فيه ؛ وكان فى المجلس أحزاب كثيرة اشتهر منها اثنان : حزب الشوريين (الدستوريين) وكان أعضاؤه من أنصار الملـكية المقيدة ، وحزب الجيرونديين[١] وكان أعضاؤه من الذين يرغبون فى تغيير الملـكية وجعل حكومة فرنسا «حكومة جمهورية» وكان بين أعضائها سيدة تسمى (مدام رولاند) اكتسبت شهرة عظيمة فى حوادث الثورة . وقد انتقد المؤرخون المجلس وتشريعه لأن أعضاءه كانوا من الشبان المتسرعين الذين لم تحنكهم الأيام ، وقضوا معظم أيامهم فى جدل لم يفد الأمة الفرنسية شيئاً

تدخل الممالك فى أحوال فرنسا : ذعر ملوك أوربة لما كان يحدث فى فرنسا من الانقلابات الثورية ، واعتبروها مهددة لـكيان عروشهم ايضاً فتأهبت النمسا وتحالفت مع بروسيا ؛ ولما شعر بذلك رجال الثورة فى فرنسا أجبروا الملك على اعلان الحرب على النمسا فى ابريل سنة ١٧٩٢ م وزحفت الجيش النمسوية على فرنسا وكان بينها كثير من النبلاء والمهاجرين من الفرنسيين ، وقامت فرنسا تدافع عن أرضها ؛ وقاد جيوشها (لافايت) و (الـكنر) . وقد هزمت جيوش فرنسا فى بادىء الأمر فغضب الشعب وهاج ؛ وفى أغسطس هجم على قصر الملك وقتل الحرس السويسرى كله ؛ وبعد ذلك بشهر واحد قرر المجلس الاشتراعى تكوين مؤتمر من الوطنيين لسن قوانين جديدة ؛ وأوقف الملك وسجن مع أسرته فى مكان معروف بالهيكل .

مذابح سبتمبر : استعرت نار الثورة فى البلاد ، وتقدمت الجيوش الأجنبية نحو العاصمة للانتقام من قتلة الحرس الملـكي ولتخليص الملك ، فـكان تقدمها هذا سببا

---

(١) سمى الجيرونديون كذلك نسبة الى اقليم الجيروند اذ كان اشهر زعمائهم منه


لويس السادس عشر
ومارى انطوانت والدوفين

فى اهاجة الثوريين الذين ظنوا أن الملكيين من اهل البلاد سيساعدون هذه الجيوش المعادية ، فقبضوا على كل محب للملكية وأرسلوا به الى السجن فملئت السجون على سعتها ، بالأشراف وغير الراغبين فى الثورة ؛ وسقطت بعد ذلك (فردون) فهاج الشعب وكثر القتل فى الملكيين ، وكان ذلك بأمر « دانتون » « ومارات » اللذين ظنا ان القتل يذهب بأنصار الملك و يقف تقدم الاعداء ، وذبحت الوف بحق و بغير حق . وتعرف هذه الحوادث بمذابح سبتمبر التى كانت نقطة سوداء فى تاريخ القائمين بالثورة ، إذ كثر القتل فى باريس وفى كل انحاء فرنسا ، وخاف كثير من النبلاء على انفسهم فلم يجدوا بداً من الانضمام الى جيش فرنسا المحارب . وفى هذه الأثناء هرب (لافايت) وتسلم القيادة بعده (ديمورى) فانتصر على الأعداء فى واقعة « فالمى » فى سبتمبر سنة ١٧٩٢ واجلاهم عن فرنسا . وفى هذا اليوم انفضت (الجمعية) وعقد المؤتمر الوطنى



الفصل الثاني

﴿ المؤتمر الوطني ٢٠ سبتمبر سنة ١٧٩٢ ـ ٢٦ اكتوبر سنة ١٧٩٥ ﴾

الغاء الملكية وقيام الجمهورية : تكون المؤتمر من ٧٤٩ عضواً كلهم جمهوريون وليس من بينهم فرد واحد من أنصار الملكية . وكان فيه حزبان قويان (حزب الجيرونديين) (وحزب الجبليين)[1] وكان هذا صاحب الحل والربط فى المؤتمر مع قلة عددهم وعلى رأسهم دانتون ور بسبيير ، وكان يعاضده الشعب الباريسى وكان اول قرار قرره المؤتمر فى اليوم الثانى من انعقاده الغاء الملكية وانشاء حكومة جمهورية . والغيت الامتيازات والألقاب ، واعتبر المؤتمر هذا التاريخ (٢١ سبتمبر) ابتداء عصر جديد (اليوم الأول من السنة الجديدة)

وفى نوفمبر انتصر الفرنسيون على النمساويين والبروسيين واحتلوا « سافواى » « ونيس » « والنذرلاند » (الأراضى الواطئة النمساوية) ، وقرر المؤتمر أن يدعو الامم الاخرى للثورة فى وجه الملكية ، ووعدها المساعدة الفعلية ، فكان ذلك سبباً فى تكوين « التحالف الأوربى الثانى » وسببا فى الحرب التى نشبت سنة ١٧٩٣م

محاكمة الملك وقتله : (٢١ يناير سنة ١٧٩٣ م .) ـ بعد ذلك قرر المؤتمر محاكمة الملك وقتله ، فاجتمع فى ١١ من ديسمبر عام ١٧٩٢ وأحضر الملك أمامه واتهمه بالتآمر مع أعداء فرنسا ، و بمقاومته ميول الناس ، و بأنه كان سبب مذابح ١٠ أغسطس ، وحكم عليه بالموت العاجل فنفذ فيه (شنقا) فى اليوم الحادى والعشرين من يناير عام ١٧٩٣م . وعند ذلك صاح الناس « لتحى الجمهورية »

تألب أوربا على فرنسا : كان القرار السابق موقظا لدول أوربة ، وباعثاً فى نفوس ملوكها أشد حنق على الثورة فأولوها الى أنها ترمى الى خلع الملوك ومعاملتهم معاملة

---

(١) سمى الجبليون بهذا الاسم من جلوسهم فى اعلى مقاعد المجلس

لويس السادس عشر التاعس الحظ . ولذلك اتفقت انجلترة ، والنمسا ، وبروسيا ، والممالك الواطئة ، (هولنده) واسبانيا ، والبرتغال ، وسردانية ، ونابلى ، والولايات البابوية ، وبعد ذلك الروسيا ، على اخماد هذه الثورة والقضاء على الحركة الجمهورية ، وجيشت الجيوش لغزو فرنسا من كل جهاتها . وبينما كانت فرنسا مهددة من الخارج قامت فيها حركة خطيرة فى الداخل فان أهالى « لا فندى » فى غربى فرنسا كانوا لا يزالون على الولاء الملكية فقاموا يناوئون بدع الثوار وانضم اليهم فى ذلك الأشراف ورجال الكنيسة ، ولكن الثوار قابلوا هذه الأخطار الجسام بجأش ثابت واشتدت حماستهم بأنشودة وطنية كان يتغنى بها الجنود وتعرف باسم « المرسيليز » وجمعوا جيشاً عدده « ٣٠٠ الف » مقاتل

المحكمة الثورية ولجنة الدفاع الوطنى : (الأمن العام مارس وابريل)

تقدمت جيوش التحالف ودحرت الجيوش الفرنسية فزاد هياج الشعب وطلب الى المؤتمر أن يشكل محكمة ثورية لمعاقبة أعداء الجمهورية ، فوافق على ذلك (دانتون) رغم معارضة الكثيرين وكوّن المحكمة . وبعد ذلك بشهر تكونت « لجنة الدفاع الوطنى » وهى مكونة من تسعة أعضاء من رجال المؤتمر . وكانت مهمتها أن تمثل القوة التنفيذية فى فرنسا أثناء الثورة . تعاقبت الحوادث سراعاً وهددت فرنسا من كل جهاتها بانتصار جيوش التحالف و بنجاح الثوار فى الغرب ، فقرر الجبليون مصادرة عربات الأغنياء لتنقل الجنود والذخيرة ، وفرضوا اعانات إلزاميه على الأهالى ليسدوا نفقات الحكومة فعارضهم فى ذلك « الجيرونديون » فغضب عليهم الشعب الباريسى ونادى بسقوطهم ، وهجم على المؤتمر وقبض على زعماء ذلك الحزب ففر كثيرون الى الاقاليم ليهيجوا أهلها على الجبليين فتأججت نار الثورة وقتل « مورات » سنة ١٧٩٣ قتلته جارية تسمى « شارلوت كرديه » من ولاية نورمنديا ظنا منها بانه زعيم الجبليين واعتقادا بأن فى قتله راحة للبلاد من شر الغلاة المتطرفين . ولكن جاءت نتيجة عملها معكوسة اذ قام الجبليون وشنقوا رؤساء الجيرونديين

حكم الإرهاب : (٢ يونيه سنة ١٧٩٣ ـ ٢٧ يوليه ١٧٩٤م) ـ ساءت الحال بعد قتل « مارات » فقرر المؤتمر ايجاد قوة تنفيذية ، تأخذ على عاتقها ادارة البلاد حتى تسكن العاصفة ، فزاد فى عدد أعضاء لجنة الدفاع حتى بلغ اثنى عشر عضوا كلهم من اليعقوبيين ، وقد صمموا على أن يعاقبوا بالقتل لمجرد الظنة

قتل الملكة : وفى ١٦ من أكتوبر سنة ١٧٩٣ سيقت الملكة (مارى انطوانت) الى المقصلة (الجيلوتين) فقطع رأسها . وكذلك فُعل بعشرين آخرين من زعماء الجيروند يين وقتلت أيضاً (مدام رولاند) الشهيرة . بدأت الأحكام المروعة ترهب الناس بعد ذلك مدة تسعة أشهر كان الناس أثناءها يساقون الى الموت وهم ينظرون ، سواء فى ذلك الرفيع والوضيع . وقد ذهب « فيلب المساواة » الذى كان قد أقر قتل ذوى قرابته من أسرة الملك ، ضحية العاصفة الهوجاء . وقد زادت رغبة الدهماء فى رؤية الدم فكانوا يطلبون المزيد من القتل وكان يسمع لهم ، فتدور المحاكمات ، ويقع القتل على الرجال والنساء والقواد الذين لم يسعدهم الحظ بالنجاح ، وقد امتلأت السجون بمختلف الناس

التقويم الجديد (الجمهورى) : فى وسط تلك العواصف كان المؤتمر يشرع قوانين جديدة ، وقد أراد أن يتناسى الماضى بتاتا فابتدع تقويما جديداً جعل فيه أول السنة من ٢٢ سبتمبر ، وقسم العام اثنى عشر شهراً فى كل شهر ثلاثون يوما ؛ وسميت الأشهر بأسماء تنبىء عن حالة الجو أو الحوادث كشهر النبيذ وشهر الجليد وشهر الزهور وشهر القيظ وغير ذلك . أما (الخمسة الايام الزائدة على (٣٦٠ يوما) فقد جعلت أيام عطلة وراحة . وقسم كل شهر ثلاثة أقسام ، عاشر كل قسم هو يوم البطالة وفى نوفمبر سنة ١٧٩٣ محى الدين النصرانى وعبد الناس الآهة العقل بدل عبادتهم الخالق وكانوا يوقدون النار أمام هيكلها[1] ، وكان أول من فعل ذلك (جوبل) رئيس أساقفة باريس

«١» حولت كنيسة « نوتردام » فى باريس الى هيكل تقام فيه الشعائر الدينية الجديدة التى احتفل باعلانها وتنفيذها جميع الهيئات المسئولة، وقد نصبوا على المعبد صورة جميلة تمثل الاهة العقل ليتوجه اليها الناس فى عبادتهم .

فتبعه كثير من القساوسة . وحذا حذوهم عمال الحكومة فى مختلف البلدان . وصودرت أموال الكنيسة ونزعت منها (نواقيسها) وحليها ، وأذيب معدن الأجراس لتصنع منه المدافع .

النزاع بين الجبليين : — انقسم الجبليون على أنفسهم ، وشنق « دنتون » لأنه رأى ألا داعى لقتل الناس بعد أن تم الاصلاح ، « وقتل هبرت » فى ابريل سنة ١٧٩٤ فأصبح روبسبيير السيد المطلق التصرف . وأول عمل عمله الغاء البدعة الدينية الجديدة والعود الى عبادة الخالق الأعظم ، ففتحت الكنائس ثانيا ، ثم استمر فى إرهابه وترويعه الناس ، فاشتغلت المقصلة بجد ونشاط وذهب الألوف ضحية ، ويقال ان عدد القتلى فى مدة سبعة أسابيع من (١٠ يونيو الى ٢٧ يوليو) بلغت فى باريس وحدها ١٣٧٦ نفساً . ولم يكن حكم الأرهاب فى الاقاليم بأقل منه فى باريس فقد قتل أحد القائمين به نحو خمسة آلاف فى مدة أربعة اشهر ، أكثرهم من النساء . استمر حكم الأرهاب فى فرنسا نحو التسعة الأشهر وكان روبسبيير يذكى ناره كلما خمدت ، فسئم الناس الفظاعة وقاموا يعملون على انهائه

انتهاء حكم الأرهاب : شعرت الأمة أن لا ضرورة لكثرة القتل والشنق خصوصا بعد انتصار جيوش فرنسا ، وبعد ان تقوى المؤتمر وأصبح القوة الفعالة فى المملكة واستقر الرأى على ابطال القتل وانهاء حكم الأرهاب واحلال حكم القضاء محله ؛ فلم يقبل الكثير من أعضاء لجنة الدفاع . فعزم روبسبيير على التغلب عليهم بالقتل هم وبعض أنصار المؤتمر ، وتآمر مع أعوانه على ذلك ، فاكتشفت المؤامرة وقرر المؤتمر شنقه بالأغلبية ، وبتأثير أعدائه وحساده فشنق هو وكثيرون من أعوانه فى ٢٨ يولية سنة ١٧٩٤ بنفس الآلة التى طالما استعملها فى ازهاق أرواح أعدائه السياسيين . وبموته انتهى حكم الأرهاب فى فرنسا

أثر حكم الارهاب : قد حفظ حكم الأرهاب الوحدة الفرنسية بان أخمد الثورات الداخلية الكثيرة فتمكنت فرنسا من طرد أعدائها الأجانب عن بلادها ، ولكنه أوجد أعداء كثيرين لمبادىء الحرية والمساواة

إن الحركة التى قامت ضد حكم الارهاب ، ونجحت فى شنق رو بسبيير وأعوانه أكسبت فرنسا موافقة بعض الامم على قيام (الجمهورية الجديدة) و بقائها ؛ وقبل أن ينتهى ذلك الحكم كانت فرنسا قد قهرت أعداءها واستعادت كثيرا من أملاكها الضائعة .

حكومة الادارة (٢٣ من اكتوبر ١٧٩٥ ـ ٩ من نوفمبر ١٧٩٩) ـ بعد أن قتل رو بسبيير استولى على أزمة الحكومة بقية الجيروندين ، وسن لفرنسا دستور جديد (هو الثالث منذ ١٧٨٩) . شرع القوانين فى هذه المرة مجلسان هما مجلس (الكبراء) « الشيوخ » ومجلس الخمسمائة . وكان الأول مكونا من مائتين وخمسين عضوا ممن تزيد سنهم على الخامسة والأربعين ، وكانت مهمته النظر فى رفض المشروعات أو تقريرها . وكان الثانى يتألف من خمسمائة عضو لا تقل سن كل منهم عن ثلاثين سنة . وقد أنيط به وضع مشروعات القوانين ، أما تنفيذ القوانين فقد وكل إلى خمسة رؤساء ، كان ينتخبهم المجلسان معا . وكان كل رئيس منهم يلى الأمر ثلاثة أشهر فقط ، و ينتهى انتخاب واحد منهم كل عام بعد الاقتراع

وقد فتح الجيروند يون أبواب السجون فخرج من بها ، فهدأت الأحوال ولم يعد أحد من بيت الملك يناضل الحكومة الجديدة فثبت مركزها

ولكن كان هناك طائفة من أشياع الملكية ثاروا بحكومة الأدارة لعدم رضاهم بالشرط الذى كان يقضى بانتخاب ثلثى أعضاء المجلسين من أعضاء « المؤتمر الوطنى » فأعدت الحكومة لا طفاء الثورة ما استطاعت من قوة ، ولكنها ما لبثت أن تدبرت الموقف فلم ترسل الجيوش التى جيشتها الى باريس مخافة الفتنة ، واختارت القائد « برا » ليسير الأمور ، فما كان جوابه الا أن قال « أعرف الرجل الذى يعلم كيف تخمد ثورات الدهماء » يعنى بذلك ضابطا صغيرا من رجال المدفعية اسمه « نابوليون بونابرت » وفى (٥) من اكتوبر سنة ١٧٩٥ هجم الغوغاء على مكان المؤتمر فقوبلوا بنار حامية من المدافع التى أقيمت حول مكان المؤتمر لحمايته بقيادة نابليون ، فمزقهم شر ممزق .

ولما انتهى المجلسان من سن القوانين اعتزمت فرنسا جعل باقى الامم جمهوريات تماثل حكومتها فى نظمها الاجتماعية والسياسية ، فنجحت فى مسعاها نجاحا باهرا ؛ وكان أهالى كل قطر يقابلون الجيوس الفرنسية بالترحاب لانها هى العاملة على نشر الحرية والمساواة ؛ ومع أن الجمهوريات التى تكونت فى بعض الممالك كانت قصيرة الأجل فان الملوك الذين تبوأوا عروشها بعد ذلك لم يجرؤوا على الاستبداد بها كما فعل أسلافهم من قبل .

سياسة الحكومة : استمرت انجلترة والنمسا وحدهما أعداء فرنسا بعد معاهدة « بال » التى أبرمت بين فرنسا و بروسيا عام ١٧٩٥ م . بعد انتصار الجيوش الفرنسية عليها ؛ فقر قرار الحكومة على غزوهما ، وأخذت تعبىء الجيوش ضد النمسا أولا ، وعهدت بقيادة الجيشين اللذين جهزتهما الى الجنرالين « مورو » و « جوردان » فخرجا يريدان غزو النمسا ، ثم أعدت جيشا ثالثا (٤٢ الف) وجعلت قيادته فى يد « بونابرت » وكلفته اخراج النمساويين من ايطاليا ، فانتصر انتصارا مبينا فاق انتصارات القائدين الآخرين (وسيجىء ذكر هذا)



الباب الثاني

نابليون بونابرت

الفصل الاول



نابليون بونابرت

ولد نابليون فى ١٥ من أغسطس عام ١٧٦٩ بمدينة (أجاكسيو) عاصمة جزيرة قرشقه. وكان أبوه محاميا، أدخله المدرسة طفلا، ولما شب درس الفنون الحربية بمدرسة (برين) فتخرج فيها ضابطا صغيرا مالبث أن نبه ذكره فى حصار مدينة طولون(١) عندما كانت تقاوم الحكومة الفرنسية بعد قتل الملكة. وقد عرفه القائد (برا) فى ذلك الوقت، فتنبأ له بمستقبل حسن. فكان ذلك. وأصبح القائد الفذ الذى شغل أوربة والعالم المتمدين بحروبه وفتوحه نحو ربع قرن.

---

(١) مدينة طولون تنقم على الحكومة أعمال العنف عند ما كانت لجنة الأمن العام قائمة به فانتقم من اهلها، وكانت سلمت نفسها للانجليز، واعترفت للويس السابع عشر بالملك. ولما صوب نابليون (وهو يوزباشى) مدافعه عليها انسحب الاسطول الانجليزى، وحمل معه من استطاع حملهم من الاهالى، وترك الباقين فلقوا حتفهم بفظاعة

﴿ نابليون فى ايطاليا سنة ١٧٩٦ – ١٧٩٧ ﴾

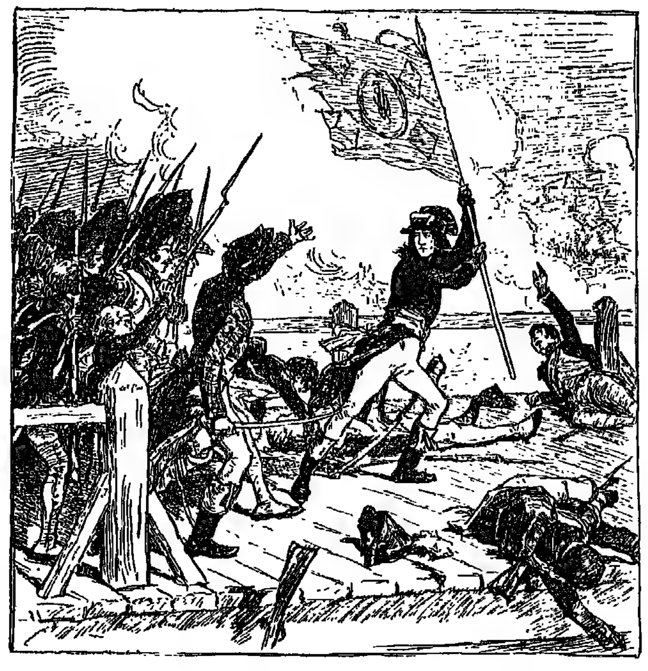
تسلم «نابليون» القيادة الايطالية وهو فى السابعة والعشرين من عمره فسافر تواً الى « نيس » فى ٢٦ من مارس ليلتحق بجيشه هناك ، وعند وصوله وجد الجنود متذمرين فألقى خطابا حماسياً مؤثرا فيهم(١) استفز به حميتهم ، و بث فيهم روح النشاط ، وزحف بهم قبل أن ينتهى فصل الثلوج على ايطاليا ، وعبر ممرات الجبال على وعورتها ، عند ملتقى جبال الابنين بجبال الألب البحرية ونجح ، بسرعة مدهشة ، فى فصل قوات السردانيين عن باقى القوات النمساوية وكانوا يحمون الجبال . وتمكن فى مدة أسبوعين من هزيمتهم فى ملزيمو ، وأرغمهم على طلب الصلح بعد أن نزلوا عن معاقل كثيرة . وبعد ذلك تفرغ لمحاربة النمساويين وانتصر عليهم فى سلسلة من الوقائع انتصاراً باهراً : ففى مايو سنة ١٧٩٦ هزمهم فى واقعة «لودى» ، وفى أغسطس فى واقعة « كاستليونى » ، وفى نوفمبر فى واقعة « أركولى » ، وهى من أهم الوقائع وقد غنم فيها ٣٠ مدفع وأسر ١٠ آلاف مقاتل . (انظر الصورة بعد)

وفى يناير سنة ١٧٩٧ هزمهم فى واقعة « ريفولى » ، وفى فبراير سقطت مدينة « مانتوا » بعد حصار دام ثمانية أشهر ، وقد خطب هنالك خطبة عظيمة قصيرة تعرف منها مقدار نصره وتأثيره فقال : «أيها الجنود إن سقوط « مانتوا » جعل ايطاليا تحت رحمتنا ، وأنتم قد انتصرتم فى أربع عشرة واقعة فاصلة ، وهزمتم النمساويين فى سبعين مناوشة ، وأسرتم منهم مائة الف مقاتل ، وغنمتم خمسمائة مدفع ميدان ، والف مدفع حصار ، وأربع قاطرات ، وأن الضرائب التى فرضتموها على البلاد المغلوبة سدت نفقات الجيش ، وقد أرسلتم عدا ذلك ثلاثين مليونا من الفرنكات الى وزير ماليتكم ليملأ بها خزائن بلادكم ، وقد أرسلتم التحف النفيسة فملأت متاحف باريس . أيها

---

(١) قال فى خطبته : أيها الجنود انكم تطعمون غذاء رديئا وقد أصبحت ملابسكم خلقة ، وها أنذا اتيت لاقودكم الى أحسن بلاد الدنيا خصبا ، يستجدون فيها مدنا عظيمة ومقاطعات غنية فيها ينتظركم الشرف والمجد والثراء . أنتم ياجنود ايطاليا هل تعوزكم الشجاعة .

الجنود انتظروا نخراً أجمل من ذلك ، فأنكم أكفاء قادرون ، واعلموا أنه لم يبق من أعداء جمهوريتنا الذين أرادوا القضاء علينا الا الامبراطور ، وها نحن أولاء ذاهبون اليه . »



نابليون يعبر قنطرة اركولى

انتصر « نابليون » فى ايطاليا ثم دخل « ميلان » . و بعد ذلك صالح أمراء ايطاليا والبابا على شريطة أن يدفعوا المغارم الحربية ، وهزم القائدان « مورو » و « جوردان » فى المانيا أمام القائد القدير « الارشيدوق شارل » ، فعزم نابليون أن يزحف على (فينا) وعبر جبال الألب الشرقية ، وصار الطريق مفتوحاً أمامه ، فخاف الأمبراطور (فرنسيس الثانى) العواقب ، وابتدأ يفاوض فى الصلح ، وعقدت هدنة بين المتحاربين تسمى هدنة « ليوبن » وهى مدينة قريبة من فينا فى ابريل سنة ١٧٩٧ م . وفى أثناء الهدنة تدخل نابليون فى شئون البندقية وقلب نظام حكومتها

صلح كامبو فرميو : و بعد أشهر قلائل وصل المتحاربان الى عقد صلح

« كامبو فرميو » الشهير فى ١٧ من اكتوبر سنة ١٧٩٧ م. و به(١) نزلت النمسا عن أملاكها البلجيكية بما فيها مدينة أنفرس «انتورب» لفرنسا ،(٢) واعتبر نهر الرين الحد الشرقى لفرنسا ،(٣) واعترفت باستقلال جمهورية «السيسالبين» التى كونها نابليون بعد انتصاراته فى ايطاليا ،(٤) أخذت النمسا نظير ذلك أملاك البندقية ماعدا الجزر الأيونية التى استولت عليها فرنسا ، واحتفظ بها نابليون لتكون قاعدة أساسية فى تحقيق أحلامه فى الشرق ،(٥) أن تمحى جمهورية البندقية من الوجود ، وتقسم أملاكها بين النمسا وسيسالبين وفرنسا . فرغ نابليون من معاهدة « كامبو فرميو » ورجع بصورة منها الى باريس ليقدمها للحكومة فاستقبلته الأمة استقبالا عظيما لم يسمع بمثله من عهد يوليوس قيصر ، كيف لاوقد فتح ايطاليا وأخضع أكبر دولة فى أوربة ، ورفع رأس أمته فى أقل من سنة

﴿ نابليون فى مصر سنة ١٧٩٨ ١٧٩٩ ﴾

استقبلت الأمة الفرنسية نابليون ذلك الاستقبال الفخم العظيم ، فشعر بعض أعضاء حكومة الأدارة أن مركزه أصبح خطراً عليهم ، فأرادوا إبعاده عن فرنسا ، فقرّ رأيهم على غزو انجلترة لأنه لم يبق أمامهم غيرها ، بعد ما أخضعوا النمسا ، فعارض نابليون الفكرة ونادى باستحالتها وقال (يمكننا أن نغزو انجلترة فى مستعمراتها الشرقية وننتزعها من أيديها اذا غزونا القطر المصرى وتملكناه) . وفى خطاب طويل أقنع حكومة الادارة بفوائد الحملة على مصر ، فوافقت الحكومة على اقتراحه ؛ وفعلا جهز حملته الكبيرة وهى تتركب من عدد كبير من جنوده الذين رجعوا من ايطاليا ، واستصحب كثيرين من أنصاره وأركان حربه ، وعددا من علماء الأمة الأثريين ليستكشفوا آثار المصريين ، وحمل الجميع على اربعمائة سفينة أقلعت من ثغر (طولون) فى مايو سنة ١٧٩٧م. وفى طريقه نزل بجزيرة « مالطة » وانتزعها من أيدى فرسان القديس يوحنا المشهورين واتخذها قاعدة بحرية له ؛ وفى يوليو وصل الى مصر ، ونزل بالأسكندرية بعد ماتغلب على حصونها وترك بها فرقة من جيشه ثم واصل سيره الى القاهرة ، فقهر بمهارته الحربية المعهودة المماليك فى واقعة (الأهرام) ودخل القاهرة

ظافرا ، وأصبح سيد الوجه البحرى فى أقل من شهر . ولكن لم يمض على انتصاره أ كثر من أسبوع حتى وصلته الأخبار بأن الأسطول الأنجليزى بقيادة الاميرال « نلسن » الذى تعقبه فى البحر الأبيض المتوسط حطم أسطوله الراسى فى خليج « أبى قير » فى أغسطس سنة ١٧٩٨ وأصبحت العمارة البحرية الأنجليزية سيدة البحر ، وأصبح نابليون شبه أسير فى القطر المصرى ، فحول نظره الى الاصلاحات الداخلية فنظم حكومة البلاد ، وعامل الأهلين بالحسنى فأحبوه . وقد أرسل الباب العالى حملة لأخراجه من القطر ، فعزم نابليون على غزو الدولة العلية فى سورية ، فسار اليها



نلسن

بجيشه وفتح « غزة » و « يافا » وتقدم الى « عكاء » ولكنه لم يتمكن من فتحها لمناعة حصونها ، ولمساعدة الاسطول الأنجليزى لها بحرا بقيادة « السير سدنى سمث » فانثنى خائبا . رجع نابليون بعد ذلك الى مصر وتغلب على قوة تركية قريبا من (أبى قير) . ولنترك الآن نابليون فى مصر وننظر نظرة عامة الى الأحوال فى فرنسا ، بعد سفر نابليون منها



الفصل الثاني

سقوط حكومة الأدارة سنة ١٧٩٩

لما كان نابليون فى مصر كانت حكومة فرنسا أمرت بغزو البلاد المجاورة ، ونجحت فى إقامة ثلاث جمهوريات أخرى ، فقد خلعت البابا ، وحولت أملاكه الى جمهورية ، وذلك أنه فى عام ١٧٩٨ أرسل يوسف بونابرت أخو نابليون الأكبر الى روما لتحريض أهلها على البابا ؛ وعلى أثر ذلك سار جيش فرنسى الى روما وأعلن الحكم الجمهورى فيها ، وقبض على البابا وحمل أسيراً الى فرنسا حيث مات سنة ١٧٩٦ م. وتدخلت فى ثورة سويسرة وحولتها الى جمهورية[1] ، وبعد ذلك طردت ملك نابولى الى صقلية وحولت أملاكه الى جمهورية . ولكن كل هذه الانقلابات لم تدم طويلا ، اذ قامت أوربة وكونت تحالفاً جديداً زعيمته الروسيا فى عهد القيصر بولس لوقف فرنسا عند حدها ، وأعلنت الحرب بين الفريقين فى أوائل سنة ١٧٩٩ ودارت رحاها فى ايطاليا وفى هولندة وفى سويسرة ، فهزمت الجيوش الفرنسية فى الجنوب ، وطردت فرنسا من ايطاليا بعد أن هزم جيوشها فى روما القائد (ماك) النمسوى ، وألغيت الجمهوريات هناك ، فهاج الشعب الفرنسى واتهم حكومة الأدارة بنفى « نابليون » غيرة منه ، وتقوى حزب الملكيين ، وقام الباريسيون يهددون الحكومة بعود حكم أرهاب آخر بحجة أن فرنسا أصبحت مهددة بعد توالى الهزائم ، فوصلت الأخبار الى « بونابرت » فى مصر عقب رجوعه من سورية ، فترك القيادة الى أحد أركان حربه « الجنرال كليبر » وعاد الى فرنسا ، فقوبل فيها بحماسة نادرة المثال ، وتقابل مع « ديكو » « وسايس »[2] وهما من أعضاء مجلس الشيوخ ، وتآمر الجميع على تغيير الحكومة ونظامها فقرروا أن يجتمع المجلسان

---

(١) تألب أهالى سويسرة على الحكومة ، وأظهروا ميلهم الى فرنسا بعد أن كانوا على الحياد ، فانتهزت فرنسا فرصة هذه الثورة ، وعزمت على غزو سويسرة لتكون منها جمهورية ، ولتستولى على ما فى بلادهم من نفائس . وقد نجحت فرنسا فى ذلك وسمتها الجمهورية «الهلفية» . ووضع لها عام ١٨٠٠ قانون نظامى لا يزال جوهرة متبعاً فى سويسرة الى اليوم

(٢) كان الاثب سايس مشرعا عظيما ولكنه ضعيف

فى (سان كلو) . وهو مكان يبعد عن باريس بخمسة أميال ، ووضعت (حاميات) كلها من الجنود الموالين لبونابارت فى باريس لتقضى على أية ثورة أو مظاهرة يقوم بها الشعب . و بعد ذلك استقال العضوان المذكوران وقبض على اثنين آخرين فلم يبق فى حكومة الادارة إلا فرد واحد فبطل عملها . ثم توجه نابليون الى مجلس الشيوخ وخطب فيهم مبيناً أن نظام حكومتهم غير مفيد وأن فرنسا بعد ذهابه قد أصابها الفشل وأنه هو لا يزال له الحظ الاخذ بيدها فهتف له المجلس . ثم ذهب الى مجلس الخمسمائة . وكلهم بنفس اللهجة فنادوا « كرومول » !! فليسقط المستبدون وهددوه بالنفى ، وقاموا يدفعونه الى الخارج ، وكان أخوه لوسيان بونابرت يدافع عنه ، وكان هو يُرى جنوده آثار المشاحنة . فتحمس الجنود ، وحضر القائد مورا ودخل المجلس ، ونادى بأعلى صوته « انفضوا » فهاج الأعضاء ونادوا بسقوطه ، فأمر نابليون بعض الجند بطردهم من مكانهم فطردوا . وفى نوفمبر سنة ١٧٩٩ أصبح نابليون رجل الموقف والسيد المطلق فى أحوال فرنسا .

وانتهت الجمهورية الأولى ومعها الثورة الفرنسية . وسيبتدىء عهد القنصلية وعهد الأمبراطورية ، ويأخذ نجم نابليون فى الصعود والظهور



الفصل الثانى

(القنصلية وامبراطورية نابليون سنة ١٧٩٩ - سنة ١٨١٥)

النقابة القنصلية : بعد أن سقطت حكومة الأدارة سُن دستور جديد (وهو الرابع منذ ١٧٨٩) وعرض على الأمة فوافق الجمهور الفرنسى عليه بالأجماع تقريبا ، وأهم صفاته أن تحصر القوة التنفيذية فى البلاد فى ثلاثة قناصل هم (بونابرت وكمباسيريه ولبران) يعينون لمدة عشر سنوات ويكون أولهم هو المنفذ لقراراتهم والمتصرف الوحيد ، والأثنان الآخران عضوين استشاريين . وقد انتخب بونابرت قنصلا أول . وكان يساعد هذه القوة التنفيذية فى البلاد أربعة مجالس أخرى (مجلس الأمة ـ المحكمة العليا ـ الهيئة القضائية أى التشريعية ، مجلس الشيوخ ، والعضوية فيه مدى الحياة) ينتخب أعضاؤها بأمر القنصلية وليس للشعب فى انتخابهم صوت ، وعلى ذلك صار القنصل الأول هو الآمر الناهى فى جميع الأحوال فكان له حق اعلان الحرب وامضاء المعاهدات وانتخاب الوزراء وكبار الموظفين ورآسة الجيش والأدارة بفروعها ، وبقيت فرنسا جمهورية اسما ، وفى الواقع تحولت الى ملكية مطلقة ، كما كانت أيام لويس الرابع عشر ، ولكن تحت ستار النظم الدستورية ، وكما كانت فى انجلترة على عهد أسرة تيودور . ونظم نابليون طريقة الحكم فى المملكة ، وطرد الموظفين السابقين واستبدل آخرين بهم معينين من قبله ليحكموا البلاد باسمه ، وسكن هو قصر التويلرى مع زوجه جوزفين واتخذ بطانة فخمة وحللا رسمية



جوزفين

(انجلترة وسبب عدائها لنابليون)

عادى نابليون حكومة النمسا وحكومة انجلترة لما كان بينهما و بين حكومة الادارة من العداء ؛ ولما آلت مقاليد الأمور اليه عرض عليهما الصلح فلم تقبل النمسا أن تتنزل عن لمبارديا التى كانت قد استردتها حديثاً ، ورفضت انجلترة قطعياً أى اقتراح للصلح أو اعتراف بحكومة ؛ وذلك لأسباب كثيرة أهمها أن رئيس وزارة انجلترة « وليم بت الصغير » كان يعتقد أن نابليون من حزب اليعقوبيين ، وأن حكومته ستكون متطرفة ثورية . فلا تلبث أن تنفض ؛ ثم حكم عليه بماضيه وسياسته مع حكومة الادارة فلم يأمنه ، وظن أيضاً أن فرنسا قد خارت قواها بعد حروبها ، وترقب الفرصة ليملى عليها شروطه ؛ ولكن كان أهم عامل لعداء انجلترة لنابليون مدة حكمه أنها ظننته يريد القضاء على سيادتها البحرية ، وبخاصة بعد أن انتصرت فرنسا على النمسا وأخذت منها الفلندر النمسوية (الأراضى الواطئة) بما فيها مدينة أنتورب (انفرس) وهى (لندرة) أوروبة ، ثم تدخلها فى شئون البحر الأبيض المتوسط ، وتصريح نابليون بأن البحر الأبيض إن هو إلا بحيرة فرنسية طبيعية ، فكان من غير المعقول أن تعترف حكومة انجلترة بحكومة نابليون ، وهى تعلم علم اليقين أن قوة فرنسا مهددة لسيادتها التى اكتسبتها بحروب دموية طوال القرن الثامن عشر

(حرب نابليون مع النمسا — والحروب الأيطالية الثانية)

جهز نابليون جيوشه لتأديب النمسا ، ألد أعدائه بالقارة لرفضها الصلح ، واتبع السياسية السابقة ، فعهد بقيادة الجيش الذى تجمّع على الرين الى الجنرال (مورو) ليغزو النمسا فى المانيا ، وجهز حملة أخرى قادها هو بنفسه ليغزوها فى ايطاليا كرةأخرى . وفى ربيع سنة ١٨٠٠ عبر نابليون جبال الألب من ممرات سنت برنارد ، وقابل قواد النمسا فجاءة فى (بيدمونت) ومعه أربعون الفاً بينما كانت جيوش الاعداء ١٢٠ الفاً . وفى ١٤ يونيو انتصر انتصاراً فاصلا على النمساويين فى واقعة (مارنجو) المشهورة ، وصار شمالى ايطاليا تحت رحمته مرة أخرى، وصارت الطريق الى فينا مفتوحة أمامه ،

ولهذا ثبت مركزه كثيراً كقنصل أول؛ ولكن في هذه اللحظة فشل (كليبر) في مصر، وسلمت القوة الفرنسية الى الأنجليز. غير أن هذه الهزيمة لم تؤثر في مركز نابليون في أوروبا اذ انتصر الجنرال (مورو) انتصاراً مبينا في ديسمبر سنة ١٨٠٠ على النمساويين في (هوهنلندن على نهر الأيزر) وكان قائدهم الأرشيدوق يوحنا فصار الطريق الى (فينا) في قبضة الفرنسيين، فاضطر الامبراطور (فرنسيس الثاني) الى طلب الصلح، وعقدت معاهدة (لونيفيل) في فبراير سنة ١٨٠١ م. وكانت شروطها تماثل شروط معاهدة (كامبوفرميو) وزيد عليها شرط ذو أهمية عظمى هو تكوين اتحاد ألماني كان الحجر الأول في بناء الأمبراطورية الألمانية الحالية، وذلك ان امتداد حدود فرنسا الى نهر الرين سلب كثيراً من أملاك الأمراء الالمانيين، فأراد نابليون أن يعوض عليهم خسارتهم بمنحهم أملاكا أخرى في شرق الرين، وتكونت لذلك لجنة أضافت الولايات الدينية الى الأمراء السياسيين وأضافت أيضاً كثيراً من المدائن المستقلة. وسنتكلم عن ذلك في موضع آخر

معاهدة أميانه مع انجلترا مارس سنة ١٨٠٢: كان نابليون يحارب النمساويين، وكانت انجلترا تحارب الممالك البحرية (الروسيا. السويد. الدانماركه. بروسيا) لخلافات تجارية، وقد انتصرت عليها في واقعة (كوبنهاجن) فتمكن الاميرال (نلسن) من تحطيم الأسطول الدينماركي سنة ١٨٠١م ولما خرجت انجلترا من هذه الحروب رأت أن تعقد صلحاً مع نابليون عرف بمعاهدة (أميان) اعترفت فيها بحكومة فرنسا وبمركزها الدولي؛ ونزلت عن المستعمرات التي كانت قد استولت عليها ما عدا جزيرة سيلان وترينداد، ثم سحب قوتها من جزيرة مالطة. وفي نظير ذلك خرجت فرنسا من نابلي ومن الولايات البابوية، ثم اعترفت باستقلال الجزر الأيونية

(سياسة نابليون الاستعمارية)

فتحت البحار لفرنسا بعد صلح أميان، وتمكن نابليون من استعادة المستعمرات الفرنسية في أمريكا، وكان قد أخذ من اسبانيا مقاطعة لويزيانا في امريكا الشمالية

سنة ١٨٠٠ م . و بمعاهدة اميان استرجعت فرنسا كذلك مستعمرات جزائر الهند الغربية الفرنسية ولكن لم يتمكن نابليون من اخضاع الثائرين فى جزيرة هايتى الذين كانوا قد ثاروا ضد استبداد الملكية فى فرنسا ، وأقاموا لهم جمهورية ؛ وارسل اليهم جيشاً مؤلفا من ٣٠ الف مقاتل فنجح فى بادىء الأمر ، ولكن أبيد عن آخره ، ووقعت الجزيرة فى أيدى الوطنيين من الثوار

(سياسة نابليون واصلاحاته الداخلية)

فرغ نابليون من مشاغله الخارجية ؛ وتفرغ الى الأصلاحات الداخلية فأظهر مقدرة فائقة فى ذلك حتى ان بعض المؤرخين يعدونه من أكبر المصلحين الذين ظهروا فى العالم وقد حذا حذو « فردريك » الأكبر و يوسف الثانى وغيرهما من كبار المصلحين أثناء القرن الثامن عشر وكان غرضه الأول أن يضمد جراحات فرنسا التى أصابتها أثناء ثورتها فدعا الملكيين الى العود اليها ، وأدخل كثيراً منهم خدمة حكومتها ، وأبطل الأحزاب ، وافرج عن المسجونين ، وتناسى الماضى وغفر اغلاطه ثم التفت الى المسألة الدينية التى كانت قد قسمت فرنسا الى فريقين (وكانت الحكومة قد أوقفت دفع المرتبات الى القساوسة ورجال الدين منذ عام ١٧٩٤ فخلت الأديار والكنائس من خدام الدين) فاتفق نابليون مع البابا فى ١٥ يوليو سنة ١٨٠٠م على أن يعين أساقفة ورؤساء أساقفة من رجال الحزبين (الحزب المضاد للثورة — وحزب الثورة) وأن تدفع الحكومة مرتبات لهم ، ثم تعترف فرنسا بأن « البابا » هو رئيسها الدينى ، وعليه أن يوافق على تعيين من اختارهم (القنصل الأول) وانتهى الأمر بأن رجعت المياه الى مجاريها وأعيدت الوحدة الدينية فى البلاد ، وانضم الكاثوليك الى نابليون وحكومته . ثم التفت بعد ذلك الى اصلاح الطرق وتنظيم المواصلات ، وحفر الترع ، وترميم الثغور ، وغير ذلك مما كان قد ذهبت به الثورة من المبانى العامة فأعاد اليها رونقها ، وزاد فى تنسيقها ، وملأ فرنسا بالتماثيل التى بقيت الى يومنا الحالى . ولم تكن اصلاحاته من الوجهة العلمية ، بأقل منها فى أية ناحية أخرى فانه أكثر من المدارس والكليات وأسس جامعة فى فرنسا ، وشجع الآداب والعلوم والفنون الجميلة . وكان أعظم

شيء قام به نابليون فى ذلك العصر جمعه القانون المدنى الذى جعله فى مصاف أكبر المشترعين فى التاريخ : عين نابليون بمجرد تسلمه زمام الامور بفرنسا لجنة تتكون من خمسة قانونيين وأناط بها العمل فاشتغلت اللجنة ليل نهار مدة أربع سنوات ، وكان هو يمدها من آن لآخر باقتراحاته وآرائه الثمينة المفيدة ، وأخيراً أخرج للناس سراجا تشريعياً تتمشى على نوره من ذلك العهد ، وكان تأثيره عظيما فى غرب أوربة فقد قضى على العادات القديمة بمظالمها ، وقضى على عدم المساواة فيها ، تلك العادات التى كانت باقية من عهد الاقطاعيات . وقد سوى القانون بين الناس وسارت عليه ايطاليا ، واسبانيا ، وبروسيا ، وسويسرة ، وهولندة ، ومصر ، وغيرها .

سار نابليون فى اصلاحاته فشعرت الأمة الفرنسية بضرورة ابقائه على رأس حكومتها مدة طويلة ليتمم بنفسه برنامج تلك الاصلاحات . وقد انتخبه الشعب قنصلا مدة حياته فى أغسطس سنة ١٨٠٢م . كانت هذه هى الخطوة الاولى لتبوء نابليون عرش فرنسا بصفة رسمية ، فأنه أخذ بعد ذلك فى محاكاة الملوك والأمراء فى طباعهم وأحوالهم فأوجد (نظام الشرف) ليحل محل النظم الأقطاعية التى نسختها الثورة ، وشرط ألا ينتظم فى سلكه إلا كل من امتاز بخدماته العسكرية أو مقدرته الفنية . وقد أغضب هذا النظام كثيراً من الجمهوريين لأنه ينافى مبدأ المساواة ، فلم يعبأ نابليون بانتقاداتهم . وبعد ذلك أتتمر الناس بقتله وقلب نظام الحكومة فاكتشفت المؤامرة وقبض على المدبرين لها ، وشنق كثير منهم فى مارس سنة ١٨٠٤ بطريقة استبدادية محضة ، نفرت أوربة من نابليون ، وجعلتها تكوّن محالفاً جديداً ضده نقرأ عنه فيما بعد .



الفصل الثالث

(امبراطورية نابليون ١٨٠٤ — ١٨١٥)

زادت ثقة الناس بنابليون ، وكثر اعجابهم به ففتنوا بأعماله الحربية ، ونادوا به امبراطوراً رغم اعتدائه على حرية الناس واهماله حقوق الممالك المجاورة له .

وافقت الأمة على ذلك بالأجماع تقريباً ؛ وفى ٢ من ديسمبر سنة ١٨٠٤ وضع التاج على رأس نابليون فى « كتدرائية نوتردام » فى باريس ، وقد اشترك البابا پايوس السابع فى حفلة التتويج ، لأن نابليون كان يريد من صميم فؤاده أن يعيد ذكرى امبراطورية شارلمان فكان يحاكيه فى كثير من أجراءاته . ولكن مثل هذه الأمبراطورية كان نصيبها الفشل لأن الحكم فى هذا الوقت كان للأمم والقوة القومية وكان لا ينتظر ان تندمج أمم أوربة فى أمة واحدة بعد كل الانقلابات الكثيرة التى حدثت فى العالم من (أحياء العلوم والاصلاح الدينى والثورة الانجليزية وحرب استقلال امريكة والثورة الفرنسية)

تبوأ نابليون العرش ، واتخذ (قصر التويليرى) مسكنا له ، وكون له حاشية تماثل بطانة ملوك البربون . و بعد ذلك حوّل الجمهوريات الأخرى الى ملكيات . وفى مايو سنة ١٨٠٥ ذهب الى ميلانو ولبس تاج اللمبارديين الحديدى ولقب نفسه بملك ايطاليا . وفى يونية من السنة عينها أضاف « جنوة » و « بيدمونت » الى امبراطوريته ، ثم حول (هولندة) الى ملكية . وفى مايو سنة ١٨٠٦ أجلس أخاه لويس ملكا عليها فأصبحت فرنسا ، وهى امبراطورية ، أخطر منها على أوربة وهى جمهورية ، فتنبهت دول أوربة ووقفت لفرنسا بالمرصاد ، وكونت التحالف بعد الآخر لتقفها عند حدها . وكانت انجلترة زعيمة هذه الحركة فى كل أدوارها . واشتبكت أوربة فى حروب دموية لم ترها من القدم ، استمرت مدة احدى عشر سنة ، (١٨٠٤ - ١٨١٥) وقد أظهر نابليون فيها من البراعة الحربية ، والذكاء الفطرى ، والمقدرة النادرة ، ما أدهش العقول ولا يزال يدهشها حتى يومنا هذا . وسنتناول تاريخه بالأجمال منذ صعوده العرش فى سنة ١٨٠٤ حتى سقوطه النهائى سنة ١٨١٥ م .

استعدادات نابليون لغزو انجلترا

المعسكر فى بولونه (سنة ١٨٠٣ ـ سنة ١٨٠٥) :— لم يكن صلح «أميان» غير هدنة مؤقتة بين انجلترة وفرنسا ، فقد احتجت انجلترة على غزو نابليون لسويسرة وضمه ولاية « بيدمونت» ورفضت اخلاء مالطه قبل أن يقوم نابليون بتنفيذ شروط معاهدة «أميان» فوقعت المناوشات السياسية بينها و بينه . وابتدأ نابليون عداءه بأن باع مقاطعة «لويزيانا» (التى استولى عليها حديثا من اسبانيا) للولايات المتحدة بثلاثة ملايين من الجنيهات ، وقد بنى هذا البيع على اساسين الاول عـدم مقدرته على حمايتها لبعدها عنه ، وثانياً أنه أراد أن يساعد الولايات المتحدة على التوسع والاستعمار ليخلق منها منافسا عنيدا فى البحار يقف فى وجه انجلترة يوما ما فى المستقبل. باع نابليون تلك المقاطعة وابتدأ يعد المعدات ، ويجهز الجيوش ، ويبعثها الى ثغر بولون على بحر المنش ، ووضع الأساطيل حتى يتمكن من مهاجمة انجلترة فى عقردارها ، وأخذت الصحف الفرنسية تحبذ خطة الامبراطور وتشجعه على مهاجمة بريطانيا وتخريبها . وحقاً لو أتيح لنابليون التغلب على انجلترة لدام له الملك طول حياته . هذا وقد اختلف المؤرخون اختلافا كبيرا فيا قصده نابليون بتعبئة جيوشه فى (بولون) هل نوى حقيقة الاغارة على انجلترة فى بلادها أم أراد عدواً آخر . تلك كانت نيـة ظلت غامضة حتى يومنا الحاضر

الحملة على النمسا وموقعة استرالتز (دبسمبر سنة ١٨٠٥) : — قامت انجلترة وقعدت لما رأته من استعداد نابليون الحربى فى بولون ؛ وأخذ رجالها يتأهبون للطوارىء ويعدون عدتهم لتلافى الخطر المهدد . واشتغل قادة الانجليز بالأمر فوقف الأسطول الانجليزى على قدم الأهبة ، واستعد الجيش للتحرك عند أى أمر ، وجدّ رجال السياسة وعملوا ليل نهار ، ونجح (وليم بت الصغير) وزيرهم الأكبر فى تكوين حلف ضد نابليون فتحالفت انجلترة ، والروسيا ، فى اوائل ابريل سـنة ١٨٠٥ م . وانضمت النمسا اليهما مع ولايات أخرى ، ثم زحفت النمسا لتهاجم نابليون فى (بفاريا) فسمع بذلك نابليون ونقل جيوشه من بولون على جناح السرعة ليقابل الجيوش الزاحفة.

وفى اكتوبر سنة ١٨٠٥ اشتبك نابليون مع جند النمسا وهزمهم هزيمة منكرة في مدينة (ألم) على حدود وريمبرج وزحف على (فينا) ودخلها ظافراً وترك بها حامية ثم صار شرقا لمقابلة النمساويين والروسيين فى ميدان (استرالتز). وفى ديسمبر ١٨٠٥ انتصر انتصارا فاصلا على عدويه بفضل مواهبه العسكرية وابتكاراته الحربية لأنه اخترق قلب الجيش ، وفصل جناحيه ، ثم هاجم كل قسم على حدة وتغلب عليه بعد ما نكبت الروس نكبة عظيمة ، ولم يفقد نابليون من رجاله الا عددا قليلا . كانت هزيمة الحلفاء تامة فرجع قيصر الروس الى بلاده خاسرا ،



وليم بت الصغير

واضطر أمبراطور النمسا أن يبرم معاهدة (برسبورج) سنة ١٨٠٥ وتملك بها نابليون (فينسيا) وتنازلت النمسا عن التيرول و بعض الاراضى فى (دلماسيا) لبفاريا . ثم صعق (وليم بت الصغير) لخبر الهزيمة فمات . و بعد ذلك بدأ نابليون يكوّن ممالك وأمارات يوليها أفراد أسرته

الطرف الأغر : انتصر نابليون على النمساويين فى واقعة (ألم) كما علمنا وقبل أن يزحف على فينا بلغه خبر تحطيم أسطوله فى موقعة (الطرف الأغر) على يد القائد (نلسن) الذى كمن للاساطيل الفرنسية والاسبانية المتحالفة وانتصر عليها انتصارا فاصلا فى اكتوبر سنة ١٨٠٥ وقد مات نلسن عند انهاء الموقعة بطلقة نارية من يد ملاح فرنسى فقال قبل أن يلفظ النفس الأخير (الحمد لله لقد قمت بواجبى

ونجوت بمملكتي) وحقا لقد أعطى انتصاره هذا السيادة البحرية لانجلترة فأمنت شر غارة نابليون عليها ولم ينازعها السيادة البحرية بعد

اتحاد الرين وانتهاء الدولة الرومانية المقدسة : أراد نابليون من تنظيم ولايات المانيا وإماراتها أن يخلق له حلفاء يعتمد عليهم فى وقت شدته ، ولتكون تلك الولايات حاجزا بين فرنسا من جهة ، وبين النمسا وبروسيا من جهة أخرى وعلى ذلك كوّن نابليون من ٣٠٠ إمارة أربعين إمارة لاغير ، فأضاف الى الولايات الكبيرة الولايات الدينية ، ورقى بفاريا وورتمبرج الى مملكتين ووسع فى أملاك إمارة (بادن) ثم تحالف عدد منها تحت حماية نابليون ، واعلنوا انفصالهم عن الدولة الرومانية المقدسة وكونوا اتحاداً يسمى (اتحاد الرين) فى يونيو سنة ١٨٠٦ . فلما رأى الأمبراطور فرنسيس انفصال الامارات عنه لم يصبح امبراطوراً واكتفى بلقب «امبراطور النمسا» وبذا حلت الأمبراطورية الرومانية المقدسة بعد أن دامت نحو الف سنة ، وصار المقام الأول فى أوربة لنابليون

ان تنظيم نابليون للولايات الألمانية وربط الواحدة منها بالأخرى كان أساساً لتكوين (الامبراطورية الالمانية) ، وقد استفاد أهل المانيا كثيراً بذلك التنظيم فألغيت العبودية ، وزالت الفوارق الصناعية بين الجماعات ، فتساوت أمام القانون .

الحرب ضد بروسيا (١٨٠٦) : وقد جاء دور بروسيا بعد ذلك فكان خضوعها محققاً : وقفت بروسيا محايدة بعد حربها الأولى مع فرنسا فى بدء الثورة فكلفتها هذه الحيدة ضحايا كثيرة ففى سنة ١٨٠٥ كانت الجنود الفرنسية ذاهبة لمحاربة النمسا ، وكان طريقها من بروسيا ، فمرت من غير اذن ، فغضب البروسيون وطلبوا من نابليون ترضية فراوغهم حتى انتهى من معركة «استرالتز» ثم عاد فأرغم فردريك وليم الثالث ملك بروسيا على إبرام معاهدة معه تنازل فيها عن ولاية (هانوفر) التابعة لملك انجلترة ، ولم يقصد نابليون بطلب هذه الولاية غير احراج فردريك وليم الثالث . أخذ نابليون بعد ذلك ينظر الى بروسيا نظرة السيد لتابعه فلم يطق البروسيون اهانته وأعلنوا عليه الحرب فى اكتوبر ، ولكنهم كانوا غير مستعدين ؛ ففى يوم واحد دحر نابليون الجيش

البروسى فى واقعتى «جينا» و «أرستادت» فكأنما أذل المملكة بضربة واحدة ؛ وما زال يجار بهم حتى استولى على حصونهم كلها ودخل « برلين » مظفراً بين أسف أهلها وعويلهم ، وفرض على الناس ضرائب فادحة ضطر النساء فيها لنزع حليهن واستعاضوا عنها بخواتم وأقراط من حديد برلين ، وجرد نابليون المتاحف من نفائسها ، وهزأ بقبر فردريك الأكبر ، ولكن الناس لم ينسوا أثر ذلك وظلوا يحملون الحقد بين جنوبهم وكونوا (جماعات الفضيلة) ١٨٠٧ التى كان أفرادها من زهرة الشبان الذين ابتعثوا فى النفوس الحمية والغيرة ، وما زالوا بالناس ينظمونهم ويحرضونهم حتى هبوا مرة واحدة عام ١٨١٣ فكان ذلك من أسباب سقوط نابليون

وقد حول نابليون سكسونيا الى مملكة ضمها الى اتحاد الرين . ثم كوّن من برنزويك مملكة (وستفاليا) وجعل عليها (جيروم بونابرت) .



الفصل الرابع

الحرب مع الروسيا (١٨٠٧)

استمرت الروسيا فى الحرب بعد هزيمة بروسيا وعند ذلك أسرع نابليون الى بولنده لمقابلة الجيش الروسى الذى أرسله القيصر اسكندر لمساعدة بروسيا . تقابل الجيشان لدى مدينة (رايلو) فى فبراير ودارت بينهما معركة من أشد المعارك هولا ولكنها لم تك حاسمة لأن الجو كان غير ملائم لبرده ومطره ، فرجع كل فريق الى موضعه . استعد بعد ذلك نابليون للمعركة التالية فى الصيف وعزز قواته ونازل الروس فى يونيه فى ميدان (فريدلند) فظهر عليهم حتى اضطر القيصر اسكندر الأول لطلب الصلح ، فالتقى مع نابليون على رمث وسط نهر (نيمن) عند حدود روسيا الغربية واتفقا على عقد :—

معاهدة تلست ١٨٠٧ — وكانت تنص على أنهما يكونان حليفين وأن تكون فرنسا سيدة الأجناس اللاتينية وذات المقام الأول فى أواسط أوربة ، مع اعتراف الروسيا لها بالممالك التى خلفها نابليون وهى (نابلى وهولندة ووستفاليا) ومع اقرارها لاتحاد الرين وجعل دنتزج مدينة حرة . واعترف نابليون فى مقابل ذلك بسيادة الروسيا على شرقى أوربة وأن يمهد لها السبيل لاغتصاب فنلنده من السويد و(البغدان والافلاق) من الترك . وقد اتفق القيصران علاوة على ذلك اتفاقاً سرياً ، كانت روسيا تطمع فى أخذ تركيا بمقتضاه ، وتستولى فرنسا على الجزر الأيونية ثم تنضم اليها الروسيا فى الحرب ضد انجلترة اذا لم يفلح القيصر فى التوفيق بين نابليون وانجلترة وأن يعلن الحرب الاقتصادية عليها أيضاً ، وقد تفاهم القيصران على المسائل الخاصة ببولونيا و بروسيا، فكان إسكندر قيصر الروسيا يريد القضاء على بولونيا وضم مايبقى منها الى أملاكه الواسعة ، وأراد نابليون إبقاءها ، ولكنه لما رأى أن تمسكه برأيه يغضب القيصر نزل عنه ، وتخلى عن مطالب البولونيين الذين وضعوا كل آمالهم فيه

ليساعدهم على استرجاع استقلالهم الذى وعدهم به من قبل . أما بروسيا فقد أراد بها نابليون شراً لأنه فكر فى القضاء على استقلالها ، ولكن تدخل القيصر فى الأمر لمصلحة شخصية ، ومنع نابليون من تنفيذ مآربه لتبقى حاجزاً بين أملاك الروسيا وأمبراطورية نابليون . وقبل نابليون رأى القيصر بعد أن أخذ من بروسيا المقاطعات البولونية التى كانت استولت عليها فى زمن « فردريك الكبير » واستولى أيضاً على كل أملاكها الواقعة غربى نهر الألب، وضم هذه الأملاك الى مملكة وستفاليا الجديدة، وفوق هذا كله فرض عليها غرامة حربية كبيرة بلغت ألف مليون من الفرنكات مع دفع نفقات جيش يحتل أرضها (عدده خمسة وسبعون ومائة الف عسكرى) وأن ترسل مدداً حربياً كلما طلب منها ذلك

(الحصار البرى — قرارات برلين وميلانو ١٨٠٦ — ١٨٠٧) بقيت انجلترة العدوة الوحيدة لنابليون بعد معاهدة (تلست) فأراد أن يقضى عليها ولكنه رأى تعذر محاربتها فى أراضيها لتملكها سيادة البحار بعد واقعة (الطرف الأغر)، ولأنه لا يستطيع انشاء أسطول كبير بسرعة عمد الى محاربتها اقتصادياً والقضاء على مواردها التجارية، فأصدر منشورات عرفت بقرارات (برلين وميلان) لأنه أصدرها وهو فى (برلين مرة وميلان مرة أخرى) حذّر فيها معاملة انجلترة تجارياً ، وأمر أن تغلق ثغور أوربة فى وجه السفن الانجليزية ، وأن تعتبر سفنها الراسية فى تلك الثغور غنائم حرب ، ويكون جميع البريطانيين أسرى حرب أينما وجدوا ، وأن تصادر أملاكهم ؛ بهذا قضت القرارات ولكنها نفّرت أوربة من نابليون وسببت سقوط أمبراطوريته النهائى لأن تنفيذ الحصار كان من أصعب الأمور لسيادة انجلترة البحرية ، وعلى ذلك استمرت البضائع الانجليزية تباع فى أوربة بأثمان مرتفعة فاستفادت انجلترة من ذلك بدل أن تخسر، ثم ان الممالك التى حرمت عليها التجارة مع انجلترة خسرت خسارة كبيرة لأنها لم تجد أسواقاً تجارية غير الأسواق الانجليزية ، فأصبح السخط عاماً على نابليون

ابتدأت تظهر نتائج تلك السياسة لأن انجلترة اتخذت خطة الهجوم ، ولم تنتظر الدفاع، فقابلت القرارات بمثلها. ولما علمت أن من شروط معاهدة تلست السرية

استيلاء نابليون على أساطيل الدانمارکة والبرتغال رأت فى ذلك ضرراً بمصالحها البحرية فقررت أن تستولى هى على تلك الأساطيل قبل أن يأخذها نابليون . وفى سبتمبر سنة ١٨٠٧ سافر الأسطول الانجليزى الى كوبنهاجن وطلب من الحكومة الدانماركية أن تسلم اليه الأسطول ، ولما رفضت أطلقوا النار عليها فتخرب جزء عظيم منها ، فاضطرت الحكومة الى تسليم جميع السفن البحرية الحربية التى تملكها ، وبعد أن كانت على الحيدة انضمت الى نابليون ضد انجلترة .

نابليون ملك البرتغال (نوفمبر سنة ١٨٠٧) طلب نابليون من حكومة البرتغال أن تنفذ قراراته بأن تعلن الحرب الاقتصادية على انجلترة، وأن تصادر أملاك الانجليز فيها فلم تستطع الحكومة البرتغالية تنفيذ المطالب كلها ، فاتفق مع اسبانيا فى اكتوبر سنة ١٨٠٧ بموجب محالفة (فونتنبلو) وأرسل جيشا بقيادة الجنرال (جونو) لغزو البرتغال ، ولما قربت الجنود الفرنسية من مدينة (لشبونة) هاجرت الأسرة المالكة مع الأساطيل البرتغالية الى البرازيل، وعلى ذلك أصبحت البرتغال جزءاً من الأمبراطورية الفرنسية . ولم يقبل نابليون أن يتنازل عن أى جزء منها الى اسبانيا كما نصّت المحالفة

(نابليون ينصب أخاه يوسف ملكا على اسبانيا فى يونيه سنة ١٨٠٨) كان امتلاك نابليون للبرتغال الخطوة الاولى فى سبيل تملكه لجميع (شبه الجزيرة) وفعلا تدخل فى أحوال اسبانيا الداخلية بدعوى أن حكومتها ضعيفة لا تقدر على ادارة البلاد وأجبر الملك « شارل الرابع » أن يتنازل له عن عرشه فى ٦ يونيه سنة ١٨٠٨ وأجلس أخاه يوسف على العرش ، وأعطى نابلى الى الجنرال « مرات » وهو زوج لاخته، فلم يقابل الأسبان هذه الانقلابات بقلوب مطمئنة كغيرهم من الأمم، بل قاموا على بكرة أبيهم ورفعوا السيف ليستردوا مملكتهم ، ومثلهم فعلت البرتغال وثارت . فأرسلت انجلترة برئاسة السير « ارثرولزلى » الذى صار فيما بعد « الدوق ولنجتون » لمساعدتهم، ونجح الثائرون فى استرداد ممالكهم بعد أن هزمت الجيوش الفرنسية فى


دوق ولنجتون

كل مكان وطوردت حتى الحدود واضطر « جونو » أن يعقد صلحاً مع « ولزلى » تعاهد فيه أن يخرج من البرتغال ويتركها ، وترك « يوسف » العرش الأسبانى وفر من البلاد ، وكتب الى أخيه يقول له (سيلقى مجدك حتفه فى اسبانيا)

(**المقابلة فى ارفورت — سبتمبر سنة ١٨٠٨**) رأى نابليون أن يسير حملة لتأديب اسبانيا والبرتغال ، وقبل أن يفعل ذلك رأى أن يقابل « القيصر اسكندر » ليقوى روابط الصداقة بينهما ، لأنه علم ان القيصر ينّ من نتائج الحصار البرى ، وفى سبتمبر أقيمت الزينات ونصبت أقواس النصر ورتبت الحفلات ، ودعى أمراء أوربة وملوكها ، وفتحت المقاصف ودور التمثيل فى بلدة « ارفورت » وحضر نابليون وأتباعه والقيصر وأنصاره ، وهرع الى المكان أئمة السياسة والأدب فى ذلك العصر ، وتقابل القيصران ، ولم تر أوربة مجداً أفخم من هذا ولا جلالا أعظم ، وظهر نابليون فى أعظم مكانة ، وعلا نجمه ولكن كل هذا لم ينسه الغرض من المقابلة ، وجدد المحالفة بين فرنسا وروسيا ، فى نظير اعترافه للروسيا بضم فنلندا . وفى نظير ذلك تعهد القيصر بمراقبة النمسا حتى يفرغ نابليون من حملته ضد اسبانيا

نابليون فى اسبانيا — يناير سنة ١٨٠٩ ترك نابليون الملاهى فى « ارفورت » وأسرع بجيش عدده مائة ألف مقاتل لمقارعة الأسبان ، وفى أقل من شهرين دخل مدريد ظافراً وأجلس أخاه مرة أخرى على العرش ، وهدد الاسبانيين بأنهم إن لم يذعنوا لحكمه جاء بنفسه وحكمهم بيد من حديد ، ثم ترك قيادة الجيش الى واحد من

قواده ورجع هو الى باريس ، و بقيت الجيوش الفرنسية تطارد الانجليز الذين كان يقودهم « السير جون مور » فى البرتغال حتى فتحت المملكة وتم النصر النهائى

(**الحملة الثالثة ضد النمسا سنة ١٨٠٩**) انتهزت النمسا غياب نابليون فى اسبانيا وأعلنت الحرب عليه ، وكان نابليون لا يريد الحرب، ولكن أضطر اليها وابتدأ القتال فى ربيع سنة ١٨٠٩ وانتصر نابليون ، كما هى عادته ، بعد أن هزم النمساويين فى وقائع كثيرة منها (أسبرن ووجرام) واضطر الامبراطور فرنسيس بموجب معاهدة ويانة أو شون برون أن يتنازل عن أملاك واسعة لبفاريا ولولاية وارسو الجديدة ، وان يعطى لفرنسا أراضى جديدة حرمت النمسا من ثغورها على بحر الادرياتيك ؛ والذى شجع النمسا على الحروب فى هـذه الدفعة أن شعبها هاج وطلب من الحكومة إيقاف نابليون عند حده ؛ وفى هذا دليل واضح على تنبه القوميات

(**نابليون والبابوية . مايو سنة ١٨٠٩**) أوجد الحصار البرى مشاكل لنابليون مع (اسبانيا والبرتغال) كما رأيت ، والآن يقع فى مشكلة مع البابا « بابوس السابع » لأنه رفض أن ينفذ أغراض نابليون ؛ فعاقبه نابليون بأن اعتبره من الأمراء الروحانيين لاغير، وجرده من أملاكه التى يمتلكها فأخرجه البابا من الدين ، فقبض عليه نابليون وحجزه أسيراً ثلاث سنوات ، ثم نقل مجمع الكرادلة مع باقى موظفى البلاط البابوى وكثيراً من نفائسه وكتبه الى باريس ، وكان غرضه من ذلك ان يرأس المجالس الدينية كما رأسها « قسطنطين » و « شرلمان » من قبله

(**نابليون وزواجه الثانى سنة ١٨١٠**) طلق نابليون زوجه الأولى «جوزفين» عقب انتصاره على النمسا ليتزوج بغيرها ؛ وفى ابريل سنة ١٨١٠ تزوج بالأرشيدوقة « مارى لويز » ليجعل بينه و بين بيوتات أوربة القديمة صلة نسب ، وأن يترك بعد موته من يخلفه على عرشه ؛ و بعد ذلك بسنة رزق بولد لقبه (ملك رومية) وقد فقد الامبراطور « فرنسيس » مركزه الأدبى فى ألمانيا بارتباطه بالنسب مع نابليون ، وأصبح الأمراء الألمانيون يتطلعون الى بروسيا لتكون زعيمة لهم بدل النمسا ، وأبعد نابليون كثيراً

من أنصاره بزواجه هذا ، فضلا عن أنه أهمل فى كثير من أموره العسكرية مرتكناً على مساعدة النمسا له .

(**هولنده والشاطىء الالمانى**) جلس (لويز بونابرت) على عرش هولنده. ولما وجد أن سياسة أخيه التجارية مع انجلترة جرت مصائب كثيرة على المملكة ، نزل عن عرشها ، فأضافها نابليون الى امبراطوريته فى يوليو سنة ١٨١٠ م. وبعد ذلك بستة شهور أضاف الى أملاكه الشاطىء الألمانى من هولنده الى لوبك ، بما فيها مدائن همبرج ولوبك ، وذلك ليتم له مقاطعة انجلترة ؛ وكانت أسباب الضم واهية جداً فأغضب الكثيرين



الفصل الخامس

(امبراطورية نابليون فى أقصى مجدها سنة ١٨١١)

بلغ نابليون أعلى درجات المجد، وأصبح يسيطر على أملاك كثيرة لا ينازعه فيها منازع ، وامتد سلطانه من لوبك الى رومية ، يحكم فرنسا، والأراضي الواطئة، ومملكة غرب ألمانيا وشمالها، وغرب ايطاليا، وشمال الادرياتيك ، والجزر الأيونية ؛ وكان يحيط به أمراء خاضعون وملوك تابعون ، وأخوته على عروش الممالك ، وكذلك قواده ؛ وكان ملكا لايطاليا ، وحامياً لاتحاد الرين تخضع لادارته النمسا وبروسيا . أما الروسيا والدانمارك فكانتا ترتبطان معه برابطة التحالف .

هكذا كانت امبراطورية نابليون ، ذلك الجندى الذى لم تر له الدنيا نظيرا من عهد قياصرة الرومان الذين ملكوا العالم قبل القرون الوسطى .

(**مبادىء ضعف امبراطورية نابليون واضمحلالها**) — قامت هذه الامبراطورية المترامية الأطراف بذكاء نابليون ومهارته الحربية ، فكانت حياتها متوقفة على وجود ذلك البطل العظيم على رأسها ، فاذا ما قضى نحبه هددت بالزوال ، ولا غرو فأنها دولة مكونة من عناصر مختلفة الجنسية ، متباينة اللغات ، مفترقة فى العقائد ، شتى المصالح الأدبية والمادية ، إن أذعنت لحكم السيف حيناً ، وألّفت بين عناصرها اليد الحديدية ، لا تلبث أن تنهار . على ان عوامل الضعف دبت فيها قبل أن يضع نابليون سيفه من يده . نعم تسرب اليها الوهن لأخطاء سياسية منها أن « قرارات برلين وميلان » ولدت فى أوربة سخطاً عاماً، وحنقاً على نابليون، بل على فرنسا كلها ، لأن الممالك الأوربية البحرية خسرت من جرّاء مقاطعتها التجارة الانكليزية ، كما ان تجارتها هي أدركها البوار. زد على ذلك ان خطة فرنسا جرّت عليها كما رأيت غضب اسبانيا والبرتغال اللتين حاربتاها ، وفوق هذا وذاك فان الحالة الداخلية كانت منذرة بسوء العقبى ، فان الضرائب الكثيره التى انتزعها نابليون من

الناس لسد نفقات الحرب وَقَرّت ظهور الأهالى الذين كانوا يألمون لسوق أبنائهم الى الحرب، وأكبادهم لا تزال مقروحة من عسف الثورة وارهاقها . يضاف الى ما تقدم اعتداء نابليون على البابا وأسره وسوء معاملته له، مما أحفظ الطوائف الكاثوليكية فى أوربة وأوغر صدورها .

كل هذه الأعمال وتلك ألّبت على نابليون الناس والأمراء والأشراف ، وبخاصة الأمراء ذوى الجاه الذين ثلّ عروشهم وأهانهم وأجلس غيرهم على كراسيهم ، فبدءوا جميعاً يعملون على اسقاطه . وقد رأوا فيه ملكا مستبداً ، لا رجلا دستوريا يرعى الديمقراطية ويقرها فى نصابها . وقد اسخط الناس كذلك زواجه الثانى بأميرة من أسرة مالكة مكروهة فى أوربة .

واذا اعتبرنا العوامل السالفة كلها ذات تأثير مباشر فى سقوطه ، فيجب ألا ننسى أن الأمم والشعوب المكاوية الذين عضهم حد سيفه ، قد أفاقوا من سباتهم ورأوا فى ذلك الفاتح « مسيطراً مستبداً مستعبداً » . نعم انهم فطنوا الى نزعتـه فنازعوه الأمر ولم يستكينوا للذلة وكان أول من هب فى وجهه اسبانيا ، وقفت على آثارها الروسيا، وتلتهما بروسيا ، وشدت ظهورها انجلترة ، فكونت التحالف يتلوه التحالف حتى أسقطته

﴿ بروسيا تستعيد قوتها ومجدها ﴾

خضعت بروسيا لسيف القائد ونزلت على شروطه صاغرة ؛ ولكن سوء معاملته لها ابتعثت فيها حياة استيثاس فهبت من سُباتها لتخلع ربقة العبودية بفضل شعرائها وكتابها الذين ما فتئوا يوقظون الحمية الوطنية والنعرَة القومية فى مواطنيهم فكان الشاعران «أرنت» و «كورنر» يكتبان القصيد بعد القصيد، فيحركان بها العواطف المستميتة ، على أن الفيلسوف «فشت» كان يكتب المقالات فتنزل على القلوب فتحركها، ويلقى الخطب فى كل ناد داعياً الى تعليم الناشئة ، الوطنية الحقة .

شعر الألمان بحياة جديدة ، حياة ملؤها الايمان بالوطن وحبه ، ووجوب اسالة النفوس على الظُّبي فى سبيله ، وقاموا من فورهم بتأسيس جامعة برلين سنة ١٨١٠ لتحل

محل جامعة (هول) التى استولى عليها نابليون من جملة ما استولى عليه من بلادهم ، وقال الملك (فردريك وليم الثالث) عند افتتاحها « يجب أن تستعيض الأمة مافقدته من القوة المادية بقوة أدبية » . ولقد أصبحت الجامعة معهداً كبيراً يضم بين جدرانه الاساتذة الافذاذ ، والفحول من المفكرين ، وبهم نشطت العلوم والمعارف ، وقام رئيس وزراء بروسيا « البارون فون ستين » وسن قوانين التحرير ، فألغى العبودية وجعل الناس سواسية فى الحقوق المدنيـة ، فتماسكت الأمة وشعرت بقوة وحدتها ، ثم الغى كل الفوارق الصناعية بين طبقات الأمـة ، ومهد السبيل للحكومة الثورية فى البلاد ، وهنالك أوجس نابليون فى نفسه خيفة من عواقب سياسته ، فأجبر الملك على طرد الوزير من الخدمة فطرده ، وخلفه الأمير «هاهرنبرج» فنفذ سياسة سلفه بدقة ، وقام وزير الحربية «شورنهورست» ونظم الجيش وجهزه بكل مايلزم له ، فكان خيراً من الجيوش السابقة ، ولكن نابليون لم يسمح لبروسيا بزيادة جيشها على ٤٢ الف مقاتل ولـكن «شورن هورست» لم ييأس من ذلك التحكم ، وأخذ بطريقة مفيدة وهى أنه كان يلغى خدمة الجنود كل ثلاثة أشهر بعد أن يتعلموا فن الحرب ، ويستعيض عنهم بغيرهم من الجنود الجدد ، فـكانت هذه الخطة مقوية لبروسيا . وسنسمع عنها وهى تمثل دوراً كبيراً فى (حرب التحرير) ضـد نابليون حتى أنها أصبحت فخر العناصر الالمانية بأجمعها

(حملة نابليون على الروسيا ١٨١٢ — ١٨١٣ م)

نشأت ظروف كثيرة وترت العلاقات بين فرنسا والروسيا ، منها أن سياسـة نابليون فى ولاية (ورسو) « فرسوفيا » جعلت الاسكندر يخشى عواقبها ، ومنها أن قرارات « الحصار البرى » أخرت الروسيا ماديا فأراد القيصر أن يبطل مفعولهـا ولو أغضب بذلك نابليون . فلما رأى منه نابليون هذا عزم على إخضاع الروسيا ، فأعد عدته وجمع جيشاً يقرب عدده من (نصف مليون) وزحف به فتجنبت الروسيا منازلته فى مواقع فاصلة ، وأخذت تستدرجه حتى وصل الى «بوروديتو» وهى تبعد عن موسكو

بنحو سبعين ميلا ، وهناك صمد الجيش الروسى لنابليون . والتحم الجيشان ودارت رحى معركة عظيمة دحر فيها الجيش الروسى ، ودخل نابليون العاصمة القديمة فوجدها خاوية على عروشها ، و بعد يومين شبت النار فيها فأصبحت أثراً بعد عين ، وتحرج مركز نابليون حتى اضطر الى طلب الصلح ، ولكن الاسكندر أبى عليه طلبه حتى تجلو الجنود الفرنسية عن أراضى الروسيا ، فلم يرتح نابليون لذلك الشرط ، و بقى فى موسكو حتى ١٨ من اكتوبر ، ولما حل الشتاء قفل راجعاً ، ووصل الى نهر « نيمن » ففتك البرد برجاله ، وفرغت ذخيرته . فهوجمت جنوده أثناء ذلك ، وقتل منها الوف كثيرة. ولما وصلت الجنود الفرنسية الى نهر « بريزينا » تركها نابليون الى أحد أركان حربه « الجنرال ناى » ورجع هو الى فرنسا ، لم يبق من جيش نابليون بعد فعل البرد والجوع به غير ربعه ، وكان فى ذلك الخسران اضعاف لنابليون كما تبين ذلك فى حرب سنة ١٨١٣ م .

حرب التحرير وموقعة ليبزج : (اكتوبر سنة ١٨١٣ م .)

تقهقر الجيش الفرنسى وأفل معه نجم نابليون اذ قامت أوربة وتحالفت عليه مرة أخرى (ست مرات الآن) وأعلنت الحرب ضده من الروسيا ، وانجلترا ، و بروسيا والسويد ثم النمسا .

قابل نابليون استعداد هذه الدول باستعداد مثله ، وزحف بجيشه عام ١٨١٣ الى « لوتزن » وانتصر على الروسيين والبروسيين ، انتصاراً مؤزراً . ولكن النمسا انضمت الى جيوش الحلفاء لأن نابليون قضى على ما طلبته ثمناً لحيدتها واجتمعت الجيوش لدى مدينة ليبزج « فى سكسونيا ، وقاتلت نابليون قتالا عنيفاً مدة ثلاثة أيام ، فهزمته واضطرته الى التقهقر الى باريس

زحفت جيوش التحالف فى أثر الجيوش الفرنسية ، ودخلت حدود فرنسا من جهات متفرقة : دخلها ولنجتون « من الجنوب بعد أن انتصر فى اسبانيا ، وزحفت السويد من الشمال بعد أن اجتاحت « الندرلند » ؛ وتقدمت جيوش روسيا والنمسا وبروسيا من جهة الرين بقيادة الجنرالين « بلوخر » « وشوارزنبرج » وفى ٣١ من

مارس سنة ١٨١٤ سلمت باريس الى الحلفاء ، وقرر مجلس الشيوخ ، باستشارة « تليراند » وزير خارجية نابليون خلع نابليون وارجاع الملك الى أسرة آل بوربون. وبهذا أجبر الامبراطور الفاتح على التنازل . ونفى الى « جزيرة البا » فى البحر الابيض المتوسط وصرح له أن يحتفظ بلقب (امبراطور) كما منح حاشية مكونة من حرسه واتباعه

فترة المائة اليوم وواقعة واترلو (٢٠ مارس سنة ١٨١٥) — دعا مجلس الشيوخ « اخا » لويس السادس عشر ليجلسه على العرش باسم « لويس الثامن عشر » وفى ٣٠ مارس سنة ١٨١٤ عقدت معاهدة تسمى « معاهدة باريس الاولى » مع الحلفاء وبها عادت حدود فرنسا الى ما كانت عليه عام ١٧٩٢ ، وكان « تليراند » هو المندوب (من قبل الملك) للمفاوضة مع الحلفاء .

صعد لويس على العرش ، وكان قد وعد الأمة حكومة دستورية ولكنه سمى نفسه « ملك فرنسا ونافار بارادة الله » وتناسى الماضى وحوادثه ، وأحيا عصر الاستبداد فأحفظ الامة فعم سخطها عليه ، ومال الناس الى ارجاع نابليون . وفى مارس سنة ١٨١٥ بينما كان مندوبو الحكومات الاوربية مجتمعين فى مدينة فينا «ويانه» لاصلاح أوربة وتعديل ممالكها ، فر نابليون من « إلبا » ورجع الى فرنسا فاستقبله الجيش بحماسة ، وألقى هو خطابا حماسياً عطّف به الأمة عليه ، وزحف على العاصمة فكان ينضم اليه فى الطريق فرق بأجمعها حتى أن الجنرال « ناى » الذى كان قد أرسل ليقبض عليه سلم عليه وأسلم له سيفه ؛ وأقر له بالطاعة ! وقبل أن يصل نابليون الى باريس هرب لويس الثامن عشر

أراد نابليون الصلح مع أوربة ولكنه لم يُقبل منه ، وتحالفت الأمم ضده لسابع مرة لمقاتلته ، فلم ير الامبراطور مفراً من الحرب ، وجمع جيشاً كبيراً زحف به على البلجيك لمنازلة الجيوش الانجليزية التى يقودها « ولنجتون » ، والجنود البروسية (حليفة الانجليز) التى يقودها « بلوخر » وكانت خطته ترمى الى هزيمة هذين الجيشين ثم يسرع لمقابلة باقى الحلفاء ، فينازلها جيشاً جيشا قبل أن تجتمع فى ميدان واحد .

كانت خطة نابليون هـذه قوية ناجحة فانه قابل البروسيين وانتصر عليهم انتصاراً مبيناً فى واقعة « ليني » فى ١٦ يونيه، ولـكنه تأخر فى مهاجمة ولنجتون تأخيراً أضرّ به وتمكن « بلوخر » من نجـدة حليفه فى آخر لحظة بعد أن كاد يسلم وتعاون الحليفان وأنقضا على الجيوش الفرنسية فى ميدان « واترلو » ونشبت معركة مروعة فى ١٨ يونيه سنة ١٨١٥ فاضطر نابليون الى التقهقر من جراء غلط بعض قواده ، واضطر لثانى مرة الى النزول عن العرش وصعد لويس الثامن عشر على عرش فرنسا مرة أخرى

وفى نوفمبر سنة ١٨١٥ عقد مع الحلفاء « معاهدة باريس الثانية » وكانت شروطها أقسى من الأولى ، اذ انكمشت فرنسا فى حدودها كما كانت عام ١٧٨٩ وفُرِضت عليها غرامة حربيـة قدرها سبعمائة مليون فرنك، وكلفت بدفع نفقات جيش عدده مائة وخمسون الفا يحتل بلادها لمدة خمس سنوات ، واشتُرط عليها رد كل ما أخذته من الآثار القديمة الى الممالك التى أخذت منها

فر نابليون من باريس وذهب الى الشاطئ كى يسافر الى الولايات المتحدة ولـكنه لم يجد سبيلا الا التسليم الى انجلترة وهـذه حملته على السفينة المشهورة (بيلرفون) وقررت نفيه الى جزيرة (سنت هيلانه) فى جنوب المحيط الاطلانطيقى ، فقضى بها بقية أيامه ، ومات مهيض الجناح سنة ١٨٢١ . وبموته انطفأ أعظم نجم ظهر فى التاريخ . كيف لا ويعده كثير من المؤرخين أنه أكبر ذكاء ظهر فى العالم . وليس هنا موضع الـكلام على صفاته وأخلاقه ونقـدها ؛ فقد لمسناها باليـد فى مواقعه وانتصاراته الباهرة المدهشة



الفصل السادس

(أوربة بعد سقوط نابليون وتأثير الثورة الفرنسية فيها)

استمرت أوربة فى تقدمها الاجتماعى والاقتصادى بعد سقوط نابليون سائرة على المبادىء التى ورثتها من الثورة الفرنسية ؛ فكان مبدأ المساواة هو المبدأ المتبع فى معظم ممالكها، وقد قرأنا كيف نشرتها الجيوش الفرنسية على ربوع الممالك التى فتحتها، وقد نظرت الأهالى الى الحكومات بنظر آخر فاعتبرت أن الحكومة انما تستمد سلطانها من الأمة لا من الملوك والأمراء وأنها تستمر فى سلطتها مادامت تعمل للصالح العام أما اذا جارت طردت واستبدل غيرها بها، فمن الواجب عليها ان تخضع لارادة الأمة ، وان تنفذ رغائبها وأن تكون مسئولة أمامها . بدأت الأمم فى هذا العهد تشعر بقوة وحدتها واستقلالها ، ورسم كل لنفسه طريق نظام يسير عليه ، لا يقبل تدخل الأجنبى فى شئونه الداخلية وعلى هذه المبادىء سارت الأمم فى أوربة أثناء القرن التاسع عشر فقامت كل مملكة وولاية تساوى بين طبقات رعاياها دينيا واجتماعيا، فألغيت العبودية وباقى القيود الاجتماعية التى كانت باقية فى القرون الوسطى ، ثم قررت الأهالى سيادتها فأصبحت الحكومات الاوروبية حكومات دستورية شورية، وكونت ممالك أصبحت الآن من أقوى الممالك فى العالم . وسندرس تاريخ القرن التاسع عشر ونرى كيف تغيرت الحكومات ، وكيف ضعفت الملكيات ، وكيف قامت أمم واندثرت أخرى

ويمكن إجمال نتائج الثورة فيما يلى :

(١) جرف سيلها القوانين العتيقة والنظم السيئة ، ومساوىء العهد الأقطاعى

(٢) صار الفلاحون عماد الأمة بعد أن كانوا أذلة مسخرين ، ومع ذلك انحطت فرنسا خلقياً

(٣) مهدت الطرق لأعمال نابليون الذى أوقد نار الحرب فى أوربة كلها كما رأيت

(٤) نما روح القومية بين الشعوب المختلفة ، والحرية الشخصية بين الناس ،

والحرية السياسية بالقضاء على استبداد الملوك ، وتاريخ القرن التاسع عشر (كما سترى) سلسلة حوادث تحقق تلك الأغراض العالية

(٥) وحكم الاعقاب على الثورة أنها كانت نتيجة طبعية لما تقدمها من الأسباب ، ولكن تقع تبعة الاهوال التى ارتكبت إبانها على من مهدوا لوقوعها .

مؤتمر فينا والتسوية العامة (سبتمبر ١٨١٤ — يونية ١٨١٥ م)

غير نابليون النظام الدولى والسياسى فى أوربة كلها ، فكان واجباً على الدول بعد فشله وسقوطه أن تعدّل ما أفسدته حروبه ، وترجع حدودها الى ما كانت عليه قبل ظهوره ؛ إجتمع لهذا الغرض فى مدينة فينا عام ١٨١٤ مندوبو الدول من ملوك وأمراء ووزراء ، عقب هزيمة نابليون ونفيه الى جزيرة (إلبا) ، وكان «تليراند» دخل المؤتمر بدعوى ان أوربة ما كانت تنازع فرنسا ، بل تنازع نابليون دخله مندوباً عن لويس الثامن عشر . وكان يمثل انجلترة « لورد كسلرا » و « الدوق ولنجتون» ومثل بروسيا «البرنس فون هردنبرج» و «فون همبولد» . ومثل النمسا «فرنسيس الاول» و «البرنس مترنيخ » الذى يرد ذكره كثيراً بعد . وكان يمثل الروسيا القيصر ووزيره نسلرود ، ومثلت جميع الدول فى المؤتمر عدا تركيا

اجتمع هؤلاء المندوبون حول « المنضدة الخضراء » ووضعوا نُصب أعينهم ارجاع حال اوربة الى ما كان عليه قبل الثورة الفرنسية ، فأهملوا الشعوب ورغائبها ، واهتموا فقط بمصالح الأمراء والملوك ، واطّرحوا جانباً «مبدأ القومية وسلطان الأمم» وعدّوهما هادمين للنظام ، داعيين للفوضى ، وصمموا على القضاء على هذه الروح الدستورية التى تشبعت بها النفوس ؛ قام مندوب فرنسا المسيو « تليراند » وقرر شرعية وراثة العرش ، ونادى بأن العرش يورث كغيره من الممتلكات ، وليس يجوز لكائن من كان أن ينازع الوارث له لانه قد آل اليه عن آبائه وأجداده . وعلى هذه القاعدة التى ذكرها (تليراند) قرر المؤتمر أن يطرد كل الأسر المالكة التى أقامها نابليون

فى أوربة ، واعادة أملاكها الى الاسر القديمة ، فأعيدت أسرة البوربون فى فرانسا واسبانيا ونابلى .

وقد أرجع المؤتمر للبابا جميع الممتلكات التى انتزعها منه نابليون ، ولكنه أقر عمله فيما يختص بالأمراء الألمان الروحانيين ، وأهمل مئات الامراء الآخرين الذين حرمهم نابليون أملاكهم فى ألمانيا، فلم يرجع لهم منها شيئاً

نظر المؤتمر بعد ذلك فى أمر المقاطعات التى انتزعها الحلفاء من نابليون وقرر توزيعها بين الأسر التى أعادها المؤتمر الى عروشها . وعلى هذا المبدأ أرادت الروسيا أن تستولى على « بولنده » ؛ وأرادت بروسيا مملكة «سكسونيا» ، وطمعت السويد فى أخذ « النرويج » ، ورغبت النمسا فى تملك «ايطاليا» . رغب كل هؤلاء فى الاملاك المذكورة غير ناظرين الى حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، بل عدوها قطعاناً من الأغنام لا رأى لها ، ولا احترام لأرادتها ، كأن رابطة الجنسية واللغة لا قيمة لها فى نظرهم، مع أنها هى الرابطة التى جمعت الشعوب وقوت القومية ، فكأن المؤتمر بذلك قد خلق مشاكل جديدة فى أوربة شغلتها طوال القرنين التاسع عشر والعشرين ولا يزال لها أثر فى بعض الممالك

فرغ المؤتمر من عمله فى يونيه سنة ١٨١٥ وأعلن قراراته الشهيرة التى من أهمها :

(١) ما يختص بالروسيا : قرر أن تحتفظ الروسيا بفنلندة و بسارابيا وأن تستولى على الجزء الأكبر من امارة «غراندوقية» « وارسو » ، وأن يطلق على الأراضى التى صارت الى روسيا اسم « مملكة بولاندة » وملكها القيصر ، وأفهم البولنديون أنه لا فائدة ترجى لهم من الشغب فقد قضى على استقلالهم

(٢) ما يختص ببروسيا : قرر أن تستولى بروسيا على ما يقرب من نصف سكسونيا الشمال و بلاد واسعة على جانبى نهر الرين تشمل ولايات وستفاليا وكولونيا وأجزاء من لكسمبرج وغيرها ، وقرر أن تؤخذ منها بعض أملاكها الشرقية . فكان ذلك مقويا لبروسيا، وممهداً لها السبيل لتولى زعامة المانيا ، ومناهضتها فرنسا والوقوف فى وجهها

(٣) مايختص بالنمسا : قرر وجوب نزول النمسا عن الأراضي المنخفضة « بلجيكا » لهولندة لتتكون منها مملكة قوية تكون حاجزاً فى سبيل طغيان فرنسا ، وتستولى النمسا مقابل ذلك على البندقية ولمبرديا ، وتسترد مقاطعات « ايليريا » و « غاليسيا » الشرقية و « التيرول » وغير ذلك من الأراضي المجاورة لها التي تهم الأسرة المالكة من الوجهة الوراثية . فكان ذلك من أفظع القرارات لأنه قضى على وحدة ايطاليا مما أدى بعد الى قيام الايطاليين يطالبون باستقلالهم ويعملون على طرد النمساويين من بلادهم ، فتقع بينهم الحروب المروعة

(٤) مايختص بالمانيا : قضى أن تجعل المانيا ٣٩ ولاية (وكانت ٤٢ فى عهد نابليون) يتكون منها اتحاد يسمى « الاتحاد الالمانى » يدير أموره مجمع تمثل فيه الولايات كلها بمدينة فرنكفورت على نهر المين ، برياسة النمسا ، فأدى ذلك الى قيام نزاع بين النمسا وبروسيا على سيادة المانيا ، والى معارضة صغار الامراء لحرمانهم من النفوذ الذى نالوه أيام نابليون ، وسترى أثر هذا الاتحاد عند الكلام عن « الوحدة الالمانية »

(٥) مايختص بايطاليا : قرر المؤتمر أن يعاد كل شيء فى ايطاليا الى ما كان عليه قبل ظهور نابليون ، واستولت النمسا على ولايات الشمال ، فأصبحت ايطاليا مكونة من ولايات عدة مستقلة ؛ وقد منح المؤتمر ولاية بيدمونت مقاطعة « جنوة » بقصد تقويتها حتى تقف فى وجه الغارات الفرنسية التى ربما تقوم بها فرنسا فى المستقبل . واسترجع البابا املاك الكنيسة

(٦) مايختص بسويسرة : قرر أن تستولى سويسرة على ثلاث مقاطعات جديدة من بينها جمهورية « جنيف » فأصبح عدد المقاطعات اثنين وعشرين ، وقد تعهدت الدول بضمان استقلالها ، واعترفت بحيادها

(٧) مايختص بالسويد : أخذت السويد « النرويج » بعد أن نزعها المؤتمر من الدانيمركة عقابا لها على تحالفها مع نابليون ، واستمرت النرويج خاضعة للسويد حتى سنة ١٩٠٥ وفيها أعلن انفصالها واستقلالها ، وجلس على عرشها الأمير « شارل » الدانيمركى . وقد أخذ من السويد فنلندة للروسيا ، وبوميرانيا لبروسيا .

(٨) ما يختص بانجلترة : قرر أن تستولى انجلترة من الدانيمركة على جزيرة «هليجولند» وجزيرة «مالطة» وأن تضع تحت حمايتها «الجزر الأيونية» كما قرر أن تستولى خارج أوربة ، من هولندة على جزيرة موريس ، ورأس الرجا الصالح ، وغينا البريطانية ، ومن فرنسا على جزيرتى توباجو وسنت لوشيا من جزر الهند الغربية ، وقد تنازلت انجلترة عن هليجولند لالمانيا سنة ١٨٩٠

وقد قضى المؤتمر بأن تمنح الدساتير الى الشعوب فى الممالك المختلفة ، وألزم لويس الثامن عشر أن يمنح شعبه الدستور بمقتضى معاهدتى باريس .

انفض المؤتمر وقد ظن أنه أعاد النظام الى نصابه ، وأقر العدل فى مكانه ، ولكنه كان مؤتمرا للملوك لا للشعوب ، ولذلك لم يمض عليه خمس سنوات حتى ثارت الشعوب تكافح حكامها ، كما أنها ثارت مرة أخرى عام ١٨٣٠ ومرة عام ١٨٤٨ حتى فازت آخر الأمر بما كانت تصبو اليه نفوسها ، وصارت الكلمة العليا « للعصبية القومية » . وسترى فيما يلى ذكرا لكل هذا .

٢ ـ الحلف المقدس وعهد نفوذ مترنيخ

البرنس مترنيخ : كان البرنس مترنيخ ممثلُ النمسا فى المؤتمر ووزيرُ خارجيتها رجعيا متطرفا ، كره الثورة الفرنسية ومن قاموا بها ، ونادى بأن المبادىء الديموقراطية لا تفلح فى حكم الشعوب ولذا يجب محاربتها والقضاء عليها لانها هى التى سببت الحروب واراقة الدماء ، واعتقد ان شرعية الحكومات القائمة حقة لا يجب منازعتها ، بل يجب اقرارها والخضوع لها والاعتراف بحقوقها . ولذلك رأى ان يحكم البلاد بعصا الاستبداد ، وأن يقضى على كل حركة يراد بها تقييد سلطان الملك . أنه كان


« البرنس مترنيخ »

سياسياً محنكا ، قادرا ، عالما بدقائق السياسة الأوربية ، ولذلك استطاع أن يسير الحوادث وفق ارادته ، وحسب ما رسمه لها ، فكان المتصرف العام فى الشئون الأوربية بين عامى ١٨١٥ و ١٨٤٨ م . حتى اطلق المؤرخون على هذه الفترة « عصر مترنيخ » الذى كان يدس الدسائس بين امراء المانيا ويولد عندهم التنافس حتى لايتحدوا . ولم يصل مترنيخ الى هذا المركز إلا بفضل دولته التى أصبحت أقوى دول أوربة بعد سقوط نابليون

الحلف المقدس ، مترنيخ ، القيصر : كان أعضاء مؤتمر فينا راضين بما أقروه حتى أن القيصر اسكندر فكر بعد سقوط نابليون فى تكوين حلف من ممالك أوربة وأماراتها يعرف بالحلف المقدس ، للمحافظة على النظام والسلام بأن يتعهد كل من وقع على شروط المؤتمر بأن يتعاونوا على إقامة العدل على المبادىء المسيحية ، وقد نجح القيصر فى تنفيذ فكرته ؛ وتكوّن الحلف من الروسيا والنمسا وبروسيا وباقى ممالك أوربة ماعدا انجلترة التى نظرت الى سياسة القيصر ومشروعاته بعين الشك والريبة ، واتفقوا على عقد اجتماعات فى أوقات معينة للنظر فى مهام الأمور التى نشأت عن تطبيق قرارات المؤتمر ، وعدم صلاحيتها عملياً . وقد عقدت معاهدة فرعية تفسيرية كثيرة بين أعضاء هذا الحلف بين سنة ١٨١٥ و سنة ١٨٢١ م . وكثرت المؤتمرات كذلك فى هذه الفترة عينها لاتخاذ مايلزم من التدابير لحفظ نظام العالم . اتفقوا على ذلك لأن الاحوال كانت تنذر بالخطر فان الأمم قد تنبهت فيها روح العاطفة الوطنية ، ومالت الى الدفاع عن حقوقها ، خصوصاً بعد أن منحها نابليون نظما عادله كما حدث فى ايطاليا ، فنشأ نزاع بين « الروح الرجعية والعصبية القومية » . نشأ ذلك لأن الأمراء الذين أعيدوا الى أملاكهم استبدوا بالناس وأسخطوهم : فمن ذلك أن البابا عزل كل من لم يكن قسيساً عن عمله ، وحرم اضاءة الشوارع لأنها بدعة فرنسية . وألغى ملك (سافوى) كل القوانين التى سنت منذ سنة ١٧٨٧ م . وذبح فى فرنسا خلق كثير ممن كانوا يميلون الى نابليون . وفى اسبانيا الغى فردنند الرابع الدستور الذى قضى على نفوذ الأشراف واستشارهم بالمناصب وأعيدت فيها محاكم التفتيش فاضطهد الناس كثيراً .

وبالجملة ساءت الأحوال ، وهددت الحكومات القائمة بالاضطراب . ولكن مترنيخ أوعز الى الحلف بأن يوجه خطابا الى شعوب أوربة فيه أنهم سيحكمون حكماً عادلا ، عماده الحب ، والاخلاص فى العمل . أوعز بذلك فى حين أنه حارب كل حركة ديمقراطية فى جميع الممالك ، بواسطة حلفائه . وبهذا كان نفوذه عظيما فى ممالك التحالف وغيرها .



الباب الثالث

تاريخ القرن التاسع عشر

الفصل الاول

الحركات القومية الدستورية فى أوربه

تمهيد — مميزات القرن التاسع عشر

(١) هو قرن التقدم فى جميع مظاهر الحياة :

ا — يبتدىء القرن بالثورة الفرنسية (عند بعضهم) أو بمؤتمر فينا (عند غيرهم)

ب — خطت المدينة فيه خطا فسيحة ، أكثر منها فى أى قرنين آخرين

(٢) حدث تغيير واضح فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والفكر :

ا — نالت الشعوب فيه حق الانتخاب والاشتراك الفعلى فى الحكومات ، اشتدت النعرة القومية ، وازداد الرأى العام قوة بحرية الصحافة ، فأثر ذلك فى القوانين ، وتكافأ أصحاب المذاهب الدينية فى الحقوق السياسية ، واستتب الأمن بالشرطة المنظمة

ب — عُنيت الحكومات بالصحة ، وتنظيم المساكن ، وأعيل الفقراء والعجزة ، وجعلت الصناعة عماد الثروة ، وظهرت المذاهب الاشتراكية ، وانتشر التعليم الاجبارى بالمجان ، ونهضت اللغات والآداب والفنون ، وتغيرت أساليب القتال وآلاته ، ونظم العمل فى المصانع .

حـ — تقدمت الزراعة والصناعة باختراع الآلات وكثر التعاون على الاعمال بالشركات .

و — عرفت قوة البخار والكهرباء ، واخترعت الآلة المصورة والحاكى ، واستؤصل

الجدرى ، واستعملت المخدرات فى الجراحة ، وتحسنت وسائل السفر ، ونهضت العلوم الطبيعية وذللت القوى الطبيعية فى الأمور المختلفة .

ه ـ محصت المسائل الدينيـة ، وتقدمت وشرحت بمنتهى الحرية ، وقرر مبدأ التسامح الدينى تقريراً نهائياً ، وأصبح أهل الوطن الواحد اخوانا لا يفرق بينهم اختلاف الأديان .

و ـ التفتت شعوب أوربة الى التوسع والاستعمار فمدت نفوذها فيما وراء البحار ، واستعبدت الشعوب الضعيفة .

(١) فرنسـا (١٨١٥ — ١٨٧٠)

استمرت فرنسا بعد سقوط نابليون تجاهد فى سبيل حريتها ، وظلت المبادىء الديمقراطية تصارع الاستبداد والمبادىء الرجعية ، حتى انتصرت عليها بفضل قيام الشعب وثوراته المرة بعد الاخرى ، ولم يهدأ لفرنسـا ثائر حتى قضت على الحكومة الملكية نهائياً ، وقررت الحكم الجمهورى . ولم تصل الى غايتها هذه الا بعد أن ثارت ثورتين غير ثورتها الكبرى تقرأ عنهما فيما يلى :

لويس الثامن عشر (١٨١٥ — ١٨٢٤) ترك لويس الثامن عشر قصر التويلرى عند مافر نابليون من (البا) ودخل باريس ولكنه عاد الى عرشه بعد معركة (واترلو) ونفى الامبراطور الى « سنت هيلانه ». تسلم لويس زمام الأمور للمرة الثانية ، وكأنه قد استفاد من حوادث الماضى فأعلن أنه صعد على العرش ليعمل على اسعاد شعبه ورخائه ، وقد بر بوعده حيث تمشى مع ميول الأمة ورغباتها ، ولكنه كان كلما تقدم فى السن مال الى الاستبداد ، وتأثر بميول أخصائه وحاشيته ، حتى أصبح حاكما مطلق التصرف ، وظل كذلك حتى مات وخلفه على العرش أخوه شارل :

شارل العاشر وثورة عام ١٨٣٠ (١٨٢٤ ـ ١٨٣٠)

خلف شارل العاشر لويس الثامن عشر على عرش فرنسا ، وكان عنيداً مستبداً ، أراد أن يهدم كل ما قررته الثورة الكبرى ، متناسـياً عظاتها ، فصح تطبيق المثل

الفرنسي عليه : (لا يتعلم البربوني شيئاً ولا ينسى شيئاً) . وكان مثله في فرنسا مثل (جيمس الثاني) في انجلترة الذي عاد الى الاستبداد بعد الحروب الأهلية والثورة التي تلتها وتقرير الحكم الجمهوري فيها . جلس شارل على العرش وأعلن الأمة أنه يفضل أن يعيش عيشة قاطع أشجار في غابة على أن يحكم البلاد كما يحكم ملوك الانجليز بلادهم ، وكانت الجمعية التشريعية تعضده في بادىء أمره ، فوهبت الف(مليون) من الفرنكات من مال الأمة ليدفعها الى الأشراف الذين عادوا الى فرنسا بعد هجرتهم ، تعويضاً لهم على ما فقدوه من أملاكهم ، فتشجع الملك ، وأهمل الدستور ، وأرجع لرجال الدين سلطانهم ونفوذهم القديم ، وقيد حرية الصحافة وراقبها مراقبة شديدة ، واستعاض عن القوانين بأوامر ملكية [1] ، فجرد الملك حملة عسكرية لتفتح بلاد الجزائر ، ليلهي الشعب عنه ، ولكن أعماله أثارت عليه الأمة ، فثار أهل باريس ، وهجموا على قصر التويليري ونهبوا ما به ، ففر الملك الى انجلترة ، وأسس الثوار حكومة مؤقتة وانتخبوا « لافايت » المشهور رئيساً لها في يوليه سنة ١٨٣٠

انتهت ثورة يوليه بطرد الملك ، وكان الثوار يميلون الى تقرير الحكم الجمهوري ، ولكن خوفهم من تدخل دول أوربة في أحوال فرنسا الداخلية جعلهم يقررون الاستمرار تحت ملك دستوري ، واختاروا الدوق أورليان « لويس فيليب » ملكاً على فرنسا . وقبل أن نذكر سيرته يحسن بنا أن نقول كلمة موجزة عن نتائج ثورة يولية ، وأثرها في ممالك أوربة .

نتائج ثورة يوليه سنة ١٨٣٠ ان جراثيم الثورة قوية ، سريعة الانتشار ،

---

(١) النزاع بين الملك والشعب (١٨٢٧ ـ ١٨٣٠) سخط الشعب من جراء هذه السياسة الرجعية ، فتآلفت الاحزاب ، وتكون منها حزب جديد يجمع الجمهوريين والأحرار الدستوريين واصحاب المصالح الاقتصادية وغيرهم ، وكان على رأس هذا الحزب لافايت وجيرو وتيير ، وكان غرض هذا الحزب مقاومة الملك في مبادئه الرجعية بالطرق الدستورية ان استطاع ذلك والا فبالطرق القهرية . تقدم الحزب الى الانتخاب بعد حل المجلس الاول ، فأحرز فوزاً كبيراً ، وعارض خطبة العرش فلم تسقط الحكومة وحلت المجلس ، ولكن عاد للانعقاد عند حلول موعد الانتخاب وصمم على اسقاط الوزارة واثارة الشعب

عظيمة التأثير ، خصوصاً اذا كانت الظروف صالحة لتغذيتها ، والعمل على انمائها ، وكانت ممالك أوربة وشعوبهـا إذ ذاك وسطاً صالحاً لجراثيم الثورة ، ولذلك قامت الثورات فى (مملكة النذرلند) وفى (ايطاليا) و (المانيا) وكان البولنديون ثائرين ضد استبداد (الروسيا) . وما كانت كل هذه الثورات الا نتائج الأغلاط السياسية التى قررها مؤتمر فينا ، وسنتكلم عنها تفصيلا فى موضع آخر ، ولنعد الآن الى فرنسا

لويس فيليب (١٨٣٠ — ١٨٤٨)

لم تفكر الأمة الفرنسية فى ذلك الوقت فى إعادة الجمهورية ، وانما أرادت ملكية مقيدة فدعت « لويس فيليب » أحد أفراد أسرة البربون الى الجلوس على العرش ، فقبل (لويس) الدعوة وتبوأ عرش فرنسا ، ومنح الأمة الدستور ، ولقب نفسه ملك الفرنسيين « بفضل الله وارادة الامة »

البرنس مترنيخ : أراد مترنيخ أن يحرك ملوك أوربة للتدخل فى شأن فرنسا كى يهدموا ما أحدثته الثورة الجديدة فيها ، ويعيدوا ملكها الشرعى ، ولكنه فشل فى مسعاه إذ كان الملوك منهمكين فى تهدئة الثورات فى بلادهم وممتلكاتهم كما علمنا

سافر لويس فيليب كثيراً فى طول أوربة وعرضها قبل أن يصعد على العرش ، وعاش عيشة ديمقراطية بحتة ، فكان فى أمريكا وقت سقوط الباستيل ، وقد فرح لسقوطه ، ثم رجع الى سويسرة واشتغل بمهنة التدريس ، ولذلك فرحت الطبقات الوسطى كثيراً باعتلائه العرش لانها كانت تعده كأحد أفرادها ؛ واستمر يحكم البلاد زمناً طويلا ، ولم يحدث أثناء حكمه فى فرنسا حادث خطير ، بل سارت الأمور بهدوء نوعا ما . ولكن كانت المبادىء الديمقراطية تتقدم ، وتكون الحزب الجمهورى فى البلاد ، وأخذ ينادى بزيادة عدد الناخبين ، ورفع قيود الانتخاب واباحته لكل فرد عاقل رشيد ، فعارضته الحكومة وعلى رأسها « جيزو » معارضة شديدة ، ورفضت أن تعدل قانون الانتخاب فبدأت القلاقل ، وهب القوم يطالبون بالأصلاح فلم تتنبه الحكومة لخطورة الأمر ، وقمعت الهياج بالقوة ، ولكن ذكت ناره ، واستفحل خطبه فخاف الملك وطرد

(جيزو) من الخدمة ، ولكن انقلب الهياج الى ثورة فنزل الملك عن العرش لابنه فلم يعترف الشعب بهذا التنازل وأعلن الحكم الجمهورى ، وفر الملك الى انجلترة هو وزوجه وولده . وهجم الباريسيون على « قصر التويليرى » وأحرقوا كرسى الملك على ملأ من الناس . وتعرف هذه الثورة بثورة فبراير سنة ١٨٤٨

الجمهورية الثانية : — رجعت فرنسا الى الحكم الجمهورى مرة ثانية ، وتألفت فى البلاد حكومة مؤقتة كان من بين أعضائها « لامارتين » الشاعر المشهور وزير الخارجية ، وفازت الأمة بدستور جديد اقتبس كثير من مواده من دستور الولايات المتحدة . وقد قُضى على القيود الانتخابية فأصبح عدد الناخبين ثمانية ملايين ، بعد ان كان لا يزيد على مائة الف فى عهد لويس فيليب . وفى ١٠ من ديسمبر سنة ١٨٤٨ انتخب لويس بونابرت وهو ابن أخى نابليون رئيساً للجمهورية فى فرنسا ولكن لم تعمر هذه الجمهورية غير ثلاث سنين

تأثير ثورة سنة ١٨٤٨ فى أوربة : وقعت الثورة فى فرنسا فى فبراير سنة ١٨٤٨ فأوقدت نار الثورات فى ممالك أوربة كلها ، فثارت وعرف عام ١٨٤٨ (بعام الثورات)

عند ذلك أسرع الملوك ومنحوا رعاياهم الدساتير ، ولقب شهر مارس بشهر الدستور(١) وعلى ذلك يمكن القول بأن فرنسا غزت أوربة مرة أخرى ، لا بحد السيف كما حدث فى المره الاولى بل بقوة مبادئها الديمقراطية و بتصميمها على تقرير سلطانها على حكامها

---

(١) لا نبالغ لو قلنا انه فى شهر مارس سنة ١٨٤٨ لم يمض يوم واحد بدون سن دستور جديد فى قطر ما

الفصل الثاني

الأمبراطورية الثانية (١٨٥٢ — ١٨٧٠)

لويس نابليون — هو ابن لويس بونابرت ملك هولنده السابق - اشتهر لويس قبل انتخابه لرئاسة الجمهورية فى العالم السياسى شهرة واسعة فقد ظهر فجأة سنة ١٨٣٦ فى مدينة (ستراسبرج) واندس بين عساكر حاميتها وأثارهم ضد الحكومة ، فقبض عليه ونفى الى أمريكا فظل فيها أربع سنوات ، وانتهز فرصة قيام الفرنسيين لتمجيد ذكرى نابليون وتكريمه عند نقل رفاته من (سنت هيلانه) وترك أمريكا ووصل الى بولون ، وأثار القوم على الحكومة ، ولكن قبض عليه وحكم عليه بالسجن المؤبد . وبعد أن قضى خمس سنوات فى السجن تمكن من الفرار الى انجلترة ، وظل فيها حتى قامت ثورة عام ١٨٤٨ فرجع الى فرنسا ، وتقدم للانتخاب ففاز فى خمس مقاطعات (دوائر) فوزاً باهراً بفضل برنامجه الخلاب ، ولما بدأت الانتخابات لرئاسة الجمهورية فاز كذلك وتقلد رئاسه الجمهورية . انه كان رجلا كبير المطامع فلم يهدأ له بال حتى قلب النظام الجمهورى ونجح هو ، كما نجح نابليون الأول ، إذ انتهز فرصة خلاف قام بينه وبين الجمعية الوطنية وأمر البوليس بالقبض على الزعماء السياسيين . ولما استيقظ الباريسيون فى صبيحة يوم ٣ من ديسمبر سنة ١٨٥١ وجدوا إعلانا بحل الجمعية الوطنية وقرءوا دستوراً جديداً . وفى خطاب مؤثر طلب لويس بونابرت من الأمة اقرار ما عمله فأقرت عمله بالأجماع تقريباً ، وكافأته بأن جعلت مدة رئاسته عشر سنوات ، فسار فى تنفيذ برنامج اصلاحاته وكان واسعاً ، فانتخبته الأمة امبراطوراً فى السنة الثانية باسم نابليون الثالث (١٨٥٢) ويرجع السر فى نجاحه هذا الى أمرين : الأول خوف فرنسا من تكرار حكم الأرهاب ، والثانى تعلق الفرنسيين باسم نابليون الكبير وحبهم له إذ ذاك .

كانت الأمبراطورية الثانية احياء للأمبراطورية الأولى ، وكانت تماثلها فى

التكوين ، وفى الروح العسكرية ، وفى السياسة الخارجية ، فقد جلس نابليون الثالث على العرش وأعلن العالم الأوربى أنه يريد سلاماً سيعمل دائماً على توطيده ؛ ولكن هذا لم يمكن ، فقد ملأت الحروب صفحات تاريخ امبراطوريته ، إذ قامت فى أوربة ثلاثة حروب عظيمة اشتركت جنود فرنسا فيها اشتراكاً فعلياً بإرادة نابليون وتحقيقاً لأطماعه:



(نابليون الثالث)

(١) انه اشترك فى حرب القرم ١٨٥٣ ـ ١٨٥٦
(٢) واشترك فى الحرب بين النمسا وسردانية سنة ١٨٥٩ م (٣) وحاربت فرنسا بروسيا سنة ١٨٧٠ م وعلاوة على ذلك فقد أرسل حملات عسكرية الى سورية والصين والهند الصينية والى بلاد المكسيك . وسنعلم شيئاً كثيراً عن سياسته ومطامعه عند ما ندرس تاريخ المسألة الشرقية والوحدة الأيطالية والوحدة الالمانية

الباب الرابع

هولنده والبلجيك

علمت أن مؤتمر فينا وحّد حكومتى هولنده و بلجيكا لينشىء دولة قوية فى شمالى فرنسا تقف حائلا فى وجه مطامعها، ولكنه أغفل ما بين هاتين الدولتين من وجوه الخلاف التى أهمها :

(أولا) أن هولنده مملكة زراعية تجارية و بلجيكا مملكة صناعية

(ثانياً) يتمذهب الهولنديون بالبروتستنتية ، بينما يعتنق البلجيكيون الكاثوليكية .

(ثالثاً) أن الهولنديين من العنصر التيوتونى ، والبلجيكيون من العنصر الكلتى ، و يتكلم الأولون الهولندية ، بينما يتكلم البلجيكيون الفرنسية

(رابعاً) خالفت هولنده بلجيكا فى نوع الحكومة إذ كانت جمهورية، وكانت بلجيكا تابعة لاسبانيا .

وحدت المملكتان وجلس على رأس حكومتها (وليم الأول) واتبع سياسة خرقاء ، فبذر بذور الثورة فى البلاد بيده إذ كان الهولنديون يشغلون جميع الوظائف العالية ويعاملون البلجيكيين معاملة السيد للعبد ، وفرضوا عليهم ضرائب فادحة مثل ضريبة الدقيق ليتحملوها دونهم، وفوق ذلك كانت اللغة الهولندية هى اللغة الرسمية ولغة التعليم

أراد رجال الدين فى بلجيكا أن يديروا الشئون الدينية، ويراقبوا التعليم، ولكن تدخل الملك وعين مفتشين من البروتستانت يراقبون المدارس الكاثوليكية ؛ وعلاوة على ذلك كان ينوب عن البلجيك فى المجلس النيابى عدد من الأعضاء يساوى عدد النواب من الهولنديين مع ان سكان بلجيكا كانوا ضعف سكان هولنده تقريبا

تألم أهل البلجيك من تلك القيود والاضطهادات السياسية، فانتهزوا ثورة يوليه سنة ١٨٣٠ فى فرنسا وثاروا فى بروكسل فانتشرت الثورة بسرعة البرق فى جميع أنحاء المملكة ، وطلب الثائرون فى أول الأمر إدارة المصالح البلجيكية التى تخصهم دون سواهم ، فوعدهم الملك بعرض الأمر على المجلس النيابى ؛ ولكنه أسرع وأرسل جنوداً طاردت الثوار فى كل مكان واحتلت بروكسل فلم يثن هذا من عزم الثوار وتدفق سيل المتطوعين من فرنسا لشد أزرهم ، واشتد سعير الثورة وأخيراً تغلبوا على الجنود الهولندية وأخرجوهم من بروكسل وأعلنوا الاستقلال

وكان لويس فيليب ملك فرنسا اذ ذاك فى أحرج المواقف لسببين :

(الاول) . اشترك الشعب الفرنسى فى الثورة اشتراكا فعليا ؛ ولم تشترك الحكومة بصفة رسمية

(الثانى) . خاف الملك تدخل الدول العظمى فى الأمر رغبة فى المحافظة على شروط معاهدة (فينا) فتضطر الحالة الرأى العام الفرنسى أن يجبر حكومته على مساعدة البلجيك فتكون النتيجة هزيمة فرنسا وعزل (لويس فيليب) . لم ير لويس أمام كل هذه المصاعب بداً من أن يطلب من انجلترة أن تشترك معه للنظر فى المسألة الهولندية البلجيكية وأعطى التأكيد اللازم لرجال السياسة من الانجليز بأن فرنسا لا تنوى بحال توسيع مساحتها بظلم البلجيك ، فقبلت انجلترة وكانت هذه صفقة رابحة ، فلما لجأ الملك (وليم) الى الدول ليشكو اليها أمر البلجيك، وكانت فرنسا وانجلترة متفقتين ، والروسيا مشتغلة بثورة بولندة ، والنمسا بثورة ايطاليا ، لم يحصل تدخل فعلى من جانب الدول ، وصدرت مذكرة دولية فى لندن فى يناير سنة ١٨٣١ تضمنت فصل الدولتين ، وعينت الحدود بينهما ، ووزعت الدين العمومى عليهما معاً

بعد ذلك لم يبق أمام الدول غير نقطة اختيار ملك البلجيك، فانتخب البلجيكيون « الدوق نامور ابن لويس فيليب » ليكون ملكا عليهم فلم يقبل اللورد « بالمرستون » وزير خارجية انجلترة ووافقته الدول على رفضه ، وأخيراً أعطى العرش الى « ليوبلد » أمير (كوبرج) الذى كان رفض عرش (اليونان) من قبل

اعتلى ليوبلد العرش وطلب من الدول اعفاء البلجيك من الديون السابقة على

مؤتمر فينا) فلم يوافق « وليم الأول » الهولندى على هذه الشروط ، وزحف بجنوده (غزو البلجيك ، وهزمها فاستنجدت البلجيك فرنسا ، فمدت اليها يد المساعدة واضطر الهولنديون للخروج من بلادها ؛ واتفقت الدول العظمى على اعطاء القسم الأكبر من (لكسمبرغ) الى هولندة ، ولكن وليم الاول استمر فى عناده ، ولم يقبل التسليم مقامت فرنسا وحاصرت (أنفرس) وفتحتها ، وأرسلت انجلترة عمارة بحرية أطلقت قنابلها على بلاد الهولنديين ، فقبل الملك وليم الشروط المعروضة عليه وانتهى الأمر . وانفصلت المملكتان



الباب الخامس

الفصل الاول

الوحدة الايطالية

أثر الثورة الفرنسية فى ايطاليا : أحيت الثورة الفرنسية فى صدور الايطاليين ، كما أحيت فى صدور غيرهم من الشعوب ، آمالا عظيمة؛ ولكنها كانت آمالا جميلة لم تحقق ، ووجد الايطاليون أنفسهم ، وهم يخضعون لنابليون، يحكمون بعصا الاستبداد ، ولم يتمتعوا بالنظم الدستورية ، والحكومة الذاتية إلا فترة قصيرة ، فكأنهم قد استبدلوا بأسيادهم الأجانب أسياداً آخرين ، سلبوهم حريتهم واستقلالهم، وسرقوا كنوزهم الفنية الجميلة ، وأثقلوا عاتقهم بالضرائب الفادحة ،وجندوهم ليحاربوا ارضاء لشهوة الامبراطور نابليون ، فى حروب لا دخل لهم فيها ؛ ولذلك هبوا فى سنة ١٨١٤ يساعدون الحلفاء على إسقاط نابليون ، وطرد الفرنسيين من بلادهم . كما هبوا من قبل فى سنة ١٧٩٦ يساعدون نابليون على طرد النمساويين من بلادهم

نجح الحلفاء فى إسقاط نابليون ، وقام لايطاليون بنصيبهم فى حرب التحرير ، ولم يحاربوا فى الدفعتين إلا ليصلوا الى الحرية ، والتمتع بنعمتها ، ولكنهم كما فشلوا فى المرة الأولى أخفقوا فى الثانية ، إذ قضى مؤتمر فيينا على آمالهم ، وعاملهم معاملة الأغنام ، ووزعهم بين جملة ممالك ، غير مراع الوحدة الجنسية ، أو صلة اللغة والدين التى تربطهم ، وفضلا عن ذلك فانه أرجع حكامهم المستبدين الى عروشهم ، فاستولت النمسا على البندقية ولمبارديا . وتحكمت فى كل شؤون ايطاليا ، واستولى أمراء من أسرة هبسبرج على « تسكانيا » و « مودينا » و « برما » و « نوفا » وأعيدت (نابلى)

الى حكامها من أسرة البربون ولم يبق فى إيطاليا من الحكام الوطنيين غير البابا و «فكتور إمانويل الأول» ملك سردانية، ولكنهما كانا مستبدين مطلقى التصرف لم يتقيدا فى أحكامهما بدستور، وعلى ذلك أصبحت إيطاليا فى عرف «مترنيخ» اسماً جغرافياً لا غير. ولكن الاستبداد والظلم يولدان فى النفوس الميل الى الحرية، وينبهان الشعوب من مرقدها، فقد غرست الثورة بذور الحرية فى إيطاليا، وتركتها للزمن يتعهدها بالنماء فأن الجمهوريات التى أقامها نابليون فى إيطاليا، رغم قصر عمرها قد أيقظت النفوس وحببت الدستور الى الناس، كما أن الملكية التى أقامها الأمبراطور فيما بعد، علمت الايطاليين فضل الوحدة، ورسمت لهم طريقها

حكام ايطاليا بعد مؤتمر فينا : رجع الحكام الى عروشهم، وهم ماقتون لكل شىء فرنسى، فمحوا النظم الفرنسية الدستورية، وطمسوا كل شىء تشتم منه رائحة للحرية، فأقام البابا فى ولاياته محاكم التفتيش، وراقب الصحافة مراقبة شديدة وأعاد فتح الأديار، والغى التطعيم، ومصابيح الشوارع، لأنها من عمل الفرنسيين، واتبع (فكتور إمانويل الاول) فى أملاكه سياسة رجعية: فأعاد الاديار لليسوعيين وهدم المعامل والكليات والمستوصفات التى كان الفرنسيون أقاموها فيها، وأعطى لليسوعيين السيطرة على أمور التعليم، وقذف بكل الاثاثات التى من صنع الفرنسيين من نوافذ قصره بمدينة (تورين) وأمر بقلع الاشجار والنباتات التى غرسها الفرنسيون وكذلك اتبع باقى الأمراء سياسة رجعية شديدة؛ فخمدت الانفاس، وظلت ترقب الفرصة حتى تنفض عنها غبار الاستبداد

الكربونارى وثورة سنة ١٨٢٠ — سنة ١٨٢١ : كان نتيجة الاستبداد فى إيطاليا أن تألفت الجمعيات السرية لتعمل على توحيد إيطاليا وتخليصها من حكم الأجنبى، وقد اشتهرت من هذه الجمعيات جمعية «الكربونارى» أو الفحامين؛ التى بثت عوامل السخط والاستياء بين الأهلين. وفى سنة ١٨١٠ م. قامت ثورة فى أسبانيا من جانب أحرار الأسبان يطلبون من ملكهم البربونى الدستور، والاشتراك معه فى حكم البلاد، فتشجع الأيطاليون وثاروا فى نابلى؛ واضطروا (فرديننד) ملكها

أن يمنح الدستور . ولكن مترنيخ لم يقف جامداً ؛ بل تحرك وتدخل فى الامر بحجة تدخل الفتن الى أملاكه ، وأنذر (الكربونارى) بأن النمسا ستتدخل فى الامور لتحفظ النظام ،وطلب حل الجمعيات الثورية. وبعد أن حصل على موافقة الروسيا وبروسيا ، أرسل ستين الف جندى من النمساويين الى نابلى ، لأن أهلها ثاروا محتجين عليه ، ونادوا بسقوطه لتدخله فى أحوالهم الخاصة . نجح الجيش النمساوى فى إخماد الثورة ، وقضى على قوات الثوار والغي الدستور ، وأرجع الى فرديننددسلطته المطلقة القديمة . وبينما كانت الثورة قائمة فى جنوبى إيطاليا ، قامت ثورة أخرى فى (بيدمونت) أشعل نارها الأحرار ، طالبين الدستور لمملكة سردانيه ، ومنادين بطرد النمساويين من لمبارديا وضمها الى سردانية . قاموا بالثورة محتجين على احتلال النمسا لنابلى وطلبوا مطالبهم فنزل الملك فكتور عن عرشه لأخيه « شارل فيلكس » وكان مستبداً غشوماً ، أخمد الثورة بكل قسوة ، مهدداً رعاياه بطلب المساعدة من النمسا ان لم يهدأوا . قضى على آمال الأحرار بفضل تدخل الأجنبي ، بعد ان زج كل زعمائهم فى السجون ، وكان من بينهم نخبة من أمهر رجال العصر وأنبلهم ، فبقوا فيها أعواماً ذاقوا فى خلالها العذاب الوانا ، ورقص مترنيخ طربا وهو يقول الحمد لله الذى أراد ألا تنجح الثورة وتسود الفوضى ، وانى أشيم نور الفجر لأيام البهجة والسرور

الثورة ١٨٣٠ — ١٨٣١ : رزحت إيطاليا تحت قدم المستبد عشرة أعوام ولما قامت الثورة فى فرنسا فى يوليه سنة ١٨٣٠ هبّ الايطاليون فى الولايات البابوية منتهزين موت البابا فى أواخر سنة ١٨١١ وأقاموا حكومة ثورية ، معلنين انتهاء السلطة الزمنية للبابا ، وانتخبوا رئيساً للولايات الايطالية المتحدة ، وقام الأهلون وطردوا أمير (مودينا) ودوقة (برما) من بلادهم ، ولكن تدخلت النمسا مرة ثانية وأرسلت جيوشها فاخمدت الثورات ، وأعادت الامراء الى عروشهم ،وانتخب البابا ، واسترد ولاياته بعد أن أخذ على عاتقه القيام باصلاحات فيها . فشلت الثورة الثانية بتدخل الأجنبى ، ولكنها امتازت عن سابقتها بانضمام الكثيرين من العمال والصناع اليها ، وتجلى فيها عزم الأيطاليين على طرد النمساويين من البلاد.

الأحزاب الثلاثة : أجمع الأيطاليون على كراهية النمساويين الذين تدخلوا فى بلادهم ، وحالوا بينهم و بين أمانيهم القومية ، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم على الوسائل التى يتخذونها لطرد الأجنبى ،وعلى نوع الحكم لذى يجب أن يسود فى البلاد متى حررت إيطاليا . فأرادفريق أن تكوّن ولايات متحدة ، وأراد آخر أن تكون إيطاليا دستورية على رأسها ملك سردانية . وأراد حزب ثالث (وهو حزب إيطاليا الفتاة) أن تكون إيطاليا جمهورية موحدة . وقد شجع البابا (بايوس التاسع) الذى اعتلى كرسى البابوية سنة ١٨٤٦ م الحزب الأول وعمل على ترويج مبادئه لأنه أراد أن تكون رومية عاصمة لايطاليا المتحدة ؛ فيكون هو على رأسها ، على حين تطلع الحزب الثانى الى ملك سردانية بصفته الملك الوطنى الوحيد بين أمراء إيطاليا وملوكها ؛ أما الحزب الثالث فكان على رأسه البطل الايطالى المشهور يوسف مزينى



(يوسف مزينى)

يوسف مزينى — ولد هذا البطل الوطنى فى مدينة جنوه سنة **١٨٠٥** م . ونشأ محباً لبلاده ، متشبعاً بمبادىء الحرية والاستقلال ، ولما بلغ سن الرشد انضم إلى جمعية الكربونارى ، ولكنه اختط لنفسه طريقا سياسياً آخر ، فقد أراد أن يرى إيطاليا حرة وجمهورية موحدة ؛ وفى سنة ١٨٣١ م أنشأ جمعية إيطاليا الفتاة لتعمل على تكوين مجد إيطاليا .

بهذه المبادىء القوية ، تمكن (مزينى) من اجتذاب القلوب ، ومن خدمة إيطاليا المتحدة أجل خدمة .

سقطت الملكية فى فرنسا سنة ١٨٤٨ ، وسمع الايطاليون بسقوطها فهبوا ثائرين

ورأى مزينى أن خير الوسائل الموصلة الى ذلك هو نشر التعليم ،وبث روح الواجب فى نفوس الشعب ، والتدريب على حمل السلاح واستعماله ، وأخذ يكتب وينشر ويخطب فى أنحاء ايطاليا معلنا مبادئه ، وكان خطيباً مفوها خلابا للافئدة فاكتسب بهذه الصفات قوة كبيرة ، وأصبح لحزبه أثر كبير إذ انضم اليه الألوف من الوطنيين . ولم يمض عامان على تأسيس حزبه حتى أصبح عدده يفوق الستين الفاً من الشبان الاقوياء منهم البطل المشهور غريبلدى (الذى سنقول عنه كثيراً فيما بعد) وهاك نموذجا قصيراً من أقوال مزينى « خبروا أهل ايطاليا بماضيهم المجيد خبروهم بمزايا الحرية والاستقلال لقنوهم الاعمال المجيدة التى قام بها إخوانهم فى فرنسا، وفى البلجيك، وفى بولندة ، وفى المجر ،حتى اكتسبوا الحرية وطردوا الأجنبي . انظروا الى جبال الألب ونادوا بأعلى صوتكم هذه هي حدود ايطاليا الطبيعية ، فلتخرج أيها الأجنبي »

أراد مزينى أن يدرب الشبان على حمل السلاح واستعماله بعد أن يعلموا ويهذبوا ومتى اتقنوا ذلك يقومون بتأليف العصابات التى تتقن الفر والكر ، وبعد ذلك تنقلب العصابات الى جيوش منظمة، فتقلب الطغاة من على عروشهم ،وتطرد الأجنبي وتحرر ايطاليا . نادى بان الحرية حق طبعي فيجب أن تمنح للشعوب المظلومة مثل أسبانيا ، والبرتغال ، والمجر ، وبولندة ، والروسيا ، وتركيا

الثورة ١٨٤٨ — ١٨٤٩ سقطت الملكيه فى فرنسا سنة ١٨٤٨ وسمع الأيطاليون بسقوطها فهبوا ثائرين فى طول بلادهم وعرضها طالبين الحرية والاستقلال وتمكنوا بفضل مجهوداتهم أن يأخذوا الدستور من حكامهم . ولكن تطورت الحوادث فى شمالى ايطاليا تطوراً فجائياً اذ منح « شارل البرت » ملك سردانية شعبه الدستور . ولما وجد أن النمسا مشغولة باضطراباتها الداخلية أعلن عليها الحرب وزحف بجيشه على قواتها فى لمبارديا فى مارس سنة ١٨٤٨م وانضمت اليها تسكانيا ونابولي والولايات البابوية وغيرها بالحاح الاهلين فيها . وكون «غريبلدى» فرقة

للتطوع ،وأسرع مزيني من منفاه وانخرط في سلكها ، وقام الكل يشترك في طرد الأجنبي،ونجحت الجيوش الايطالية في بادىء أمرها واستولت على فينيسيا (البندقية) وقام الاهالى فى هاتين الولايتين وأعلنوا انضمامهم الي ملك سردانية . ولكن النمسا فرغت من مشاكلها وأرسلت جيشاً بقيادة القائد الماهر « رادتزكي » استرجع الولايتين وزحف علي (بيدمونت).وفى يوليه سنة ١٨٤٨ انتصر فى موقعة كبيرة عند مدينة (كستزا) وفى موقعة دموية أخرى انتصر أيضاً فى سنة ١٨٤٩ عند مدينة (نوفارا) ولما رأى (شارل البرت) أن آماله لم تحقق نزل عن العرش لابنه (فكتور امانويل الثانى) رجاء أن ينال هذا من النمساويين شروطاً أخف مما يرضون بها مع أبيه . وذهب الى البرتغال فمات فيها مهيض الجناح . قام أهل رومية بنداء من مزيني وغريبلدى وثاروا ضد البابا وطردوه ،وأعلنوا الجمهورية. ولكن الجنود الفرنسية أسرعت وتدخلت لصالح البابا،وأخمدت الثورة فى املاكه واعادته الي عرشه ، وتدخل لويس بونابرت غيرة من نفوذ النمسا فى ايطاليا، ورغبة منه في اكتساب عطف الكاثوليك فى أوربة وخصوصاً رجال الدين فى فرنسا فاخمدت الثورة فى سنة ١٨٤٨ بتدخل الأجنبي فى أحوال ايطاليا لثالث مرة. ولكن تعلم الثوار درساً نافعاً .فوحدوا خططهم واتحدت الاحزاب ونظرت الي سردانية وملكها لتكون الاساس الذى تبنى عليه ايطاليا الموحدة


(فكتور أمانويل)

الفصل الثانى

فكتور امانويل الثانى . الكونت كافور . غريبالدى : — اعتلى فكتور إمانويل الثانى عرش سردانية كما رأينا ، وكان الملك الدستورى الوحيد فى كل ايطاليا . وبذلت النمسا جهدها معه ليسحب الدستور وتحكم حكما استبداديا ولكنه رفض رفضاً باتا ، فتطلع اليه الأيطاليون بأنه عماد وحدتهم، واليه أخذ يتطلع الأحرار لتحرير بلادهم من نير الاجنبي ، ولا غرو فانه أعرق حاكم ايطالى بين الاسرات الايطالية الوطنية ، فقد حكمت أسرته في بادىء أمرها في مقاطعة سافواى فى جنوب فرنسا ، وبمرور الزمن امتلكت أملاكا جنوبى جبال الالب حتى أصبحت تسيطر فى أوائل القرن التاسع عشر على بيدمونت وجزيرة سردانية التي امتلكتها سنة ١٧٢٠ م وبتملكها ارتقى رئيس الأسرة الي لقب الملكية ولهذا أصبحت هذه المملكة قبلة الانظار فى ايطاليا بفضل ملكها ، وحزم رجالها فكانت فى ايطاليا مثل قشتاله في اسبانيا ، وبروسيا فى المانيا . وكان من حسن حظ فكتور إمانويل الثانى أن استوزر رجلا من أكبر سواس أوربا فى عصره هو الكونت (كافور) بسمارك ايطاليا ولد هذا الرجل سنة ١٨١٠ م من أبوين شريفين ونشأ نشأة حربية كرغبة والده ، ولكنه ترك الجيش من الحادية والعشرين من عمره واشتغل بالزراعة وبرع فيها ، ثم سافر الى ممالك أوربة وخبر أحوالها ، وتشبع بالروح الدستورية ، وحينما رجع الى (بيدمونت) أنشأ جريدة سياسية أكسبته شهرة سياسية عظيمة ، وفى سنة ١٨٥١ م عينه فكتور إمانويل وزيراً للمالية ، وبعد سنتين اختاره رئيساً لوزارته فنهض بسردانية نهوضاً عظيما ، وأدار الشئون الايطالية بحذق ومهارة ، وتحالف مع الدول الاجنبية ليكتسب عطفها ، تحالفاً مزيفى فى سياسته اذ كان من رأيه ألا تنهض ايطاليا الا باعتمادها على أهلها دون امرائها ومحالفيها

أما غريبالدى (بطل القميص الاحمر) فقد ولد فى نيس سنة ١٨٠٧ م ولما ترعرع انتظم فى سلك « ايطاليا الفتاة » وحكم عليه بالأعدام بسبب ذلك ، ولكنه تمكن

من الفرار الي امريكا سنة ١٨٢٤ م واشترك فى الحروب الكثيرة التي قامت فى أمريكا الجنوبية.ولما قامت الثورات في ايطاليا سنة ١٨٤٨ عاد اليها ليشترك فيها ولكنه نفي لامريكا مرة ثانية واشتغل بصناعة الشمع فى مدينة نيويورك سنة ١٨٥٠ وظل فيها حتي سنة ١٨٥٤ فرجع الي ايطاليا واشتغل بالزراعة ، فاستماله كافور الى جانبه فكان ساعده الأيمن فى سياسته.وستظهر الحوادث إقدامه وشجاعته فيما يلي:

سردانية فى حرب القرم — رأى كافور من حسن السياسة أن يشترك فى حرب القرم فى جانب فرنسا وانجلترة ليكسب عطفهما ضد النمسا وليعمل على هدم قيصر الروسيا المستبد واذلاله وليكتسب لسردانية مكانة بين دول أوربة ، وعلى ذلك أرسل خمسة عشر الف مقاتل فى سنة ١٨٥٥ الى شبه جزيرة القرم ليشتركوا فى الحرب .ولما انتهت وجاء مندوبو الدول الي باريس لعقد معاهدة الصلح ذهب كافور اليها من غير دعوة رسمية ،وبفضل مساعيه ومساعدة نابليون صرح له بالدخول فى مؤتمر الصلح رغم احتجاجات النمسا ورفضها ، واشتركت سردانية لأول مرة فى المؤتمرات الدولية،ففرح الأيطاليون كثيراً وعلموا أن سياسة كافور أنجح من خطة مزيني ، وقام رجال فى كل ولايات ايطاليا ينادون بفكتور إمانويل ملكا على ايطاليا الموحدة

كافور يستنصر لمحاربة النمسا ـ استمر كافور بعد صلح باريس فى تنفيذ برنامج اصلاحاته لتقوية سردانية وتنمية مواردها ماديا وحربيا ، فبنى نفق(منت سنس) في جبال الالب ليصلها بباقي ممالك أوربة ، ثم أخذ يسعي جهده فى التقرب الي نابليون الثالث ، وفي مقابلة سرية معه فى مدينة (بلومبير) في جبال « الفوج » فى يوليه سنة ١٨٥٨ م . حصل منه علي وعد صريح بأن ترسل فرنسا مائتى الف جندي لمساعدة سردانية فى حربها القادمة ضد النمساويين نظير استيلاء نابليون على مقاطعتى (نيس وسافوى)

الحرب النمساوية السردانية سنة ١٨٥٩ — ١٨٦٠ ـ عمل كافور كل مافي استطاعته ليحرج صدر النمسا حتي يعلن الحرب علي بيدمونت ، فأخذ يجهز جيشه

بأحسن العدد، ويدربه أحسن تدريب ، وفى أوائل سنة ١٨٥٩ أخذ يعبىء الجيش وهرع اليه المتطوعون من كل حدب وصوب فى ايطاليا ، فشعرت النمسا بأن التعبئة موجهة ضدها فطالبت من كافور تسريح الجيش فرفض ، فأعلنت الحرب علي سردانية وكانت علي غير استعداد ، وأرسلت فرنسا جنودها لنجدة حليفتها وفى موقعتين عظيمتين (مجنتا) و (صلفرينو) فى يوليو سنة ١٨٥٩ م انتصرت سردانية وفرنسا على النمسا ، واجلتاها عن لمبارديا . وفى هذه اللحظة هددت بروسيا و بعض ولايات المانيا بالتدخل فى الحرب لصالح النمسا ، وخاف نابليون عواقب توحيد ايطاليا تحت امرة سردانية لانه كان يريد أن يوحد شمالها فقط تحت حكم فكتور إمانويل ، ويوحد باقى ولاياتها تحت إمرة البابا، حتى يتحكم فى الشطرين لذلك خابر امبراطور النمسا « فرنسوا جوزيف » وكان حاضراً فى ميدان القتال فى أمر الصلح و بعد مخابرات عقد صلح بينهما يعرف بصلح (فلافرنكا) سنة ١٨٥٩ م . بمقتضاه تنازلت النمسا عن لمبارديا الى سردانية واستبقت النمسا فينيسيا فى يدها ، وأن يعود الحكام الذين هربوا من أملاكهم التى فى وسط ايطاليا الى أمارتهم . وأن تكون ولايات ايطاليا اتحاداً يكون البابا رئيس شرف له .



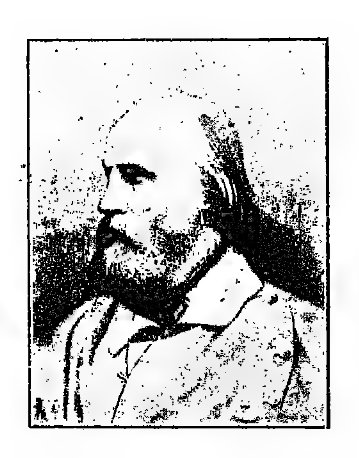
(كافور)

غضب السردانيون غضبا شديداً لخيانة نابليون لأنه عقد الصلح بدون علمهم ومن غير استشارتهم ، وقبل أن يتمكنوا من طرد النمساويين من شمال ايطاليا ، ولكنهم وجدوا تعويضاً كبيرا بانضمام وسط ايطاليا اليهم ؛ فان الأهالى فى ولايات (تسكانيا ، و برما ، ورومانا .) أعلنوا انضمامهم الى مملكة فكتور إمانويل وكان

عددهم يقرب من السبعة الملايين . وقد وافق نابليون الثالث على الانضمام بعد ان استولى على (سافوى ونيس) رغم معارضة غريبلدى فى ضم نيس الى فرنسا لانها مسقط رأسه .

انضمام صقلية ونابلى وولايات اخرى الى سردانية سنة ١٨٦٠ : —

كان من نتائج اقدام غريبالدى ومخاطرته ان انضمت صقلية ونابلى الى سردانية وتمكن فكتور إمانويل من تحويل مملكته الصغيرة الى مملكة ايطاليا الموحدة وذلك ان « فرديننـد الثانى » ملك صقلية ونابلى كان مستبداً ومكروها من الأيطاليين حتى ان كثيرين منهم هاجروا من البلاد واستوطنوا سردانية ؛ ولمامات خلفه ابنه « فرنسيس الثانى » سنة ١٨٥٩ م وكان ضعيفاً ضيق الفكر ، فأغضب شعبه فثار ضده فى سنة ١٨٦٠ م . وكان فكتور إمانويل ووزيره الاكبر يعطفان على الثوار ولكنهما لم يمداهم بأى مساعدة مادية خشية فرنسا والنمسا ، ولكن غريبلدى جمع الفاً من أعوانه وأنصاره



(غريبالدى)

وأبحر من جنوة الى صقلية وانضم الى الثوار وتمكن من طرد جنود (فرنسيس) من الجزيرة ، ونصب نفسه دكتاتوراً باسم فكتور إمانويل . ثم عبر البحر وزحف على نابلى وطرد ملكها واستولى عليها وقابلته الاهالى بالترحاب وبحماسة نادرة المثال ؛ وخاف كافور أن يزحف غريبلدى على رومية ويطرد الفرنسيين منها فيغضب نابليون ، فتدخل فى الأمر وزحف بجيوش سردانية على أملاك البابا لانه جمع جنوداً مرتزقة ليسترجع روما التى انضمت حديثاً الى سردانية . زحفت الجيوش واحتلت (امبريا) والمستنقعات ثم سارت جنوبا واستولت على حصن (جيتا) ثم عمل استفتاء عام بين أهالى هذه المقاطعات عن رغبتهم فى كيفية الحكم فأعلنوا بالأجماع انضمامهم الى مملكة سردانية

فى اكتوبر سنة ١٨٦٠ م . وفى هذه اللحظة أنسحب غريبلدى من ميدان السياسة بعد أن أتم عمله الجيد ، واعترفت له ايطاليا بالجميل . وفى فبراير سنة ١٨٦١ اجتمع أول برلمان ايطالى فى (تورين) عاصمة سردانية ومنح التاج رسمياً الى ملك ايطاليا الموحدة فكتور إمانويل الثانى . توحدت ايطاليا ولم يبق خارجها الا مقاطعة البندقية ومدينة رومية . وفى هذه السنة مات الكونت كافور موتا فجائياً مبكياً عليه من الجميع .

انضمام البندقية ومقاطعتها الى ايطاليا سنة ١٨٦٦ : صادفت ايطاليا ظروف سعيدة بعد ذلك مكنتها من تحقيق أمانيها فقد اختلفت مع بروسيا اختلافاً شديداً أدى الى حرب بينهما تعرف بحرب السبعة الاسابيع ستقرأ عنها فى مكان آخر . وقد حدثت فى سنة ١٨٦٦ م . فانتهز فكتور إمانويل هذا الخلاف وتحالف مع بروسيا ضد النمسا على أن يستولى على البندقية وفعلا انتصرت بروسيا انتصاراً باهرا على عدوتها وتمكن فكتور من ضم البندقية الى أملاكه

رومية عاصمة ايطاليا سنة ١٨٧٠ : — اتخذ الأيطاليون مدينة تورين عاصمة سردانية عاصمة لمملكتهم ولكنهم كانوا ينظرون الى رومية بانها العاصمة الطبيعية للبلاد . وفى سنة ١٨٦٥ م . نقلوا العاصمة الى فلورنسه مترقبين الفرصة لينتقلوا الى رومية ، وكان يمنعهم خوفهم من فرنسا وشدة نفوذها إذ ذاك وتعضيدها للبابا ، وقد حاول غريبلدى مرتين أن يزحف عليها ويأخذها عنوة ولكن نابليون كان يهدد فكتور فى كل مرة بالحرب فكان يمنع غريبلدى من تنفيذ بغيته ولكن الظروف خدمته أيضا اذ قامت حرب السبعين بين فرنسا وبروسيا واحتاجت فرنسا لجنودها فى رومية ، وكان من نتائج الحرب أن سقط



فكتور امانويل

نابليون وسقطت معه امبراطوريته واعلنت الجمهورية فى فرنسا لثالث مرة ، واخبرت الحكومة الفرنسية الملك فكتور انها تخلت عن مساعدة البابا فأرسلت الحكومة الايطالية انذاراً الى البابا تنبئه بانها اتخذت رومية عاصمة لها وفى يوليه سنة ١٨٧١م. دخلها فكتور إمانويل واتخذها العاصمة الرسمية وقد احتج البابا على هذا العمل بأن سجن نفسه فى قصر الفاتيكان معلنا عدم رضائه عن غزو الجنود الأيطالية للبلدة المقدسة، وانتهت سلطته الزمنية.

بهذه الخطوات تمت الوحدة الايطالية وقد أخذت ايطاليا فى النهوض من ذلك العهد حتى اصبحت فى وقتنا الحاضر من أقوى الممالك فى أوروبة. وقد ظل فكتور إمانويل يعمل لخير بلاده حتى مات سنة ١٨٧٨ وخلفه على العرش ابنه « همبرت الأول » ولما قتل فى سنة ١٩٠٠ خلفه ابنه الوحيد « فكتور إمانويل » الثالث ملكها الحالى

الباب السادس

الفصل الاول

تكوين الأمبراطورية الألمانية

ان توحيد المانيا وامارتها وصيرورتها الى امبراطورية عظيمة لمن أهم الحوادث التاريخية السياسية التى مرت على اوروبة منذ معركة وترلو العظيمة؛ وان فى سرد الخطوات التى توصلت بها المانيا الى مجدها الحديث لعظة كبرى وانتصاراً مبيناً لمبدأ حق تقرير المصير، وقوة الشعوب فقد قام نحو الأربعين امارة ونفضت حكم المستبدين وانضمت بعضها الى بعض بحكم الجنسية واللغة، وكونت امبراطورية سجدت لسلطانها الأمم وملأت العالم علوماً ومعارفا ولولا ان صادفها الحظ العاثر فى الحرب الاوربية العظمى الأخيرة لسادت على العالم بمن فيه

المانيا بعد مؤتمر فينا : — علمنا أن نابليون كون اتحاد الرين، وكون مملكة وستفاليا، ومحا كثيراً من الامارات الصغيرة ليكافىء بها الأمراء العظام الذين أمدوه بالمال والرجال فى حروبه . ولما سقط نابليون قرر مؤتمر فينا اعادة تكوين المانيا فجعلها تسعا وثلاثين امارة ، على رأسها النمسا ، ومنها مملكة بروسيا ومملكة بفاريا ، ومملكة سكسونيا ، ومملكة ورتمبرج ، وأمارات برنزويك ، والبلاتينات وغيرها . وقرر أن يكون لهذا الأتحاد مجلس او مجمع يسمى (بالدياط) يتكون من مندوبين من جميع الممالك والولايات ويكون مقره مدينة (فرانكفورت) على نهر المين ، واختص بالنظر فى المسائل المتعلقة بشئون المانيا العامة ، وكان عليه أن يفض المشاكل التى تقع بين اعضاء الأتحاد . وقد تقرر أن يكون للاتحاد جيش مكون من ثلثمائة الف مقاتل ينتخب (الدياط) قواده ، وفيما عدا ذلك احتفظت كل مملكة وكل امارة باستقلالها

فكان لها أن تحارب أو تتحالف مع من شاءت من غير أن تمس مصالح الاتحاد . ولذر الرماد فى العيون كان من شروط الاتحاد منح الحرية الدينية للجميع ، وكان على كل عضو من أعضاء الاتحاد أن تكون حكومته حكومة نيابية

نقائص الاتحاد : كان الاتحاد مفكك العرى ، متباين الأغراض والغايات ، حرصت كل مملكة وامارة من أعضائه على استقلالها كل الحرص ولذلك اشترط الاجماع فى قرارات « الدياط » الهامة ، فكان من نتائج ذلك استحالة الوصول الى قرارات محدودة تسير بالاتحاد الى الأمام، ولم يوجد للاتحاد قوة تنفيذية ، بل تركت قرارات المجمع تحت رحمة الولايات ورغبتها ، فاذا صادفت هوى فى نفسها نفذتها والا أهملتها إهمالا تاماً . أضف الى ذلك المنافسة الشديدة بين النمسا وبروسيا، هذه المنافسة التى أدت الى قبر الاتحاد وخلق اتحاد آخر يخالفه كل المخالفة فى التكوين وفى السياسة ، لأن بروسيا أرادت اتحاداً المانياً صحيحاً حقيقياً تكون لها السيطرة العليا بين أعضائه ، ولكن مترنيخ تغلب عليها لانه أوهم الأمراء الالمانيين أن بروسيا تريد أن تمحو سلطانه ، وتقضى على استقلالهم وقد عمل ما عمل لضعف النمسا لان مصالحها أصبحت على شواطىء البحر الأبيض المتوسط ، وكان أكثر رعاياها من العنصرين المجرى والصقلبى . وقد نجح فى مسعاه إذ جعل الاتحاد مفككا كما قلنا

مترنيخ والروح الرجعية : قامت فى المانيا حركتان بعد مؤتمر فينا ، حركة تؤيد الديمقراطية وتعمل على نشرها بين الشعوب حتى تقرر مبدأ الحكومات النيابية ، والثانية أرادت توحيد المانيا توحيداً جديا . وقد نجحت الحركتان نجاحا أدى الى توحيد المانيا وتقرير الدستور فيها . وكان (مترنيخ) يرقب سير الحوادث فيها بقلق ولذلك انتهز أول فرصة وتدخل فى الأمر وقضى على الحركة الديمقراطية قضاء مبرماً واليك البيان :

تشبع أمراء المانيا الأصاغر ، خصوصاً هؤلاء الذين وقعت أملاكهم فى حوض الرين بالروح الفرنسية الديمقراطية ، ومنحوا رعاياهم حكومات نيابية. وقد امتازت الحركة الحرة فى المانيا بان أشياعها لم يكونوا من الطبقة الوسطى كما كان الحال فى انجلترة ،

بل كانوا من أساتذة الجامعات وطلابها وأصحاب الصحف . وكون الطلبة جمعيات كثيرة أخذت تنشر الآراء الحرة فى طول البلاد وعرضها وفى اكتوبر سنة ١٨١٧م اجتمعت هذه الجمعيات فى قصر « وارتبرج » لتحتفل بذكرى موقعة (ليبزج) وبذكرى الأصلاح الذى قام به « لوثر » وبعد ان تم الاحتفال عمد بعض الطلبة المتحمسين الى محاكاة احراق لوثر قرار الحرمان ، وأشعلوا ناراً أحرقوا فيها بعض رسائل الرجعيين من الالمان ، فهاج الشعب وقام طالب وقتل رجلا يسمى « كتزبو » كان متهما بالجاسوسية لقيصر الروسيا ، ونقل أخبار المانيا اليه ، فانتهز مترنيخ هذا الهياج وعقد مؤتمراً فى مدينة (كرلسباد) حضره ممثلون من امراء المانيا وملوكها . وبعد مباحثات ومفاوضات قرر المؤتمر قرارات كان مترنيخ قد حضرها من قبل . وفى سبتمبر سنة ١٨١٩ وافق المجمع الالمانى على هذه القرارات وأرسلها للحكومات المختلفة لتنفذها وكان محصلها وضع مراقبة شديدة على الصحف ، ووضع مراقبة على الأساتذة فى الجامعات ، وملاحظة كل ما يلقونه على الطلبة ، وقفل أندية الطلبة وحل جمعياتهم ، وكتب مترنيخ فوق ذلك الى الحكومات المختلفة فى المانيا ينبهها الى الخطر الذى ينشأ عن استسلام الحكام الى مطالب شعوبهم ، مذكراً إياهم بما حدث للويس السادس عشر من جراء استسلامه الى الشعب الفرنسى واجابة طلبه فى عقد مجلس النواب . تمكن مترنيخ من التأثير فى امراء المانيا وحكامها ، وسادت الروح الرجعية فى البلاد لمدة عشر سنوات ، وانتهت حرية التعليم ، وطرد الاساتذة الذين اتهموا بترويج المبادىء الحرة ، وكثرت الجواسيس ، وأصبح كل انسان عرضة للوشايات والسجن . وقد كمت الافواه وتحطمت الاقلام اللهم إلا فى عدد قليل من الولايات الالمانية الصغيرة الجنوبية التى أرادت أن تحافظ على نفسها من شر استبداد النمسا وبروسيا بها

الفصل الثانى

ثورة سنة ١٨٣٠ وأثرها فى المانيا : — لما قامت الثورة فى فرنسا تخطت نهر الرين وانتشرت فى المانيا ، وقام الأحرار فى كل مكان يطالبون بالدستور فيتظاهرون ضد امرائهم المستبدين، و بلغت الثورة أشدها فى (برنزويك) اذ هجم الثوار على قصر الامير وخربوه وطردوا صاحبه منه ، وأقاموا أخاه مكانه بعد ان منح البلاد الحكم النيابى . وفى سنة ١٨٣١ منحت سكسونيا الحكم النيابى لشعبها ، وقد تبع مثلهما كثير من الولايات الصغيرة ، ولكن تمكن مترنيخ ، بعد هدوء الزوبعة ، من التأثير فى الأمراء أن يسحبوا الدستور ويعودوا الى استبدادهم.

الاتحاد الجمركى (الزلفرين)١٦٢٨ — ١٨٣٦ : — لما منع الناس من الاشتغال بالسياسة فى بروسيا وجهوا مجهوداتهم الى الأمور الزراعية والى تنمية،واردهم التجارية والصناعية،واشتغلوا بأمور التعليم ، ووجهت الحكومة همها الى تنشيط الحالة الاقتصادية فى أملاكها بوجه عام ،ورأت أفضل وسيلة لذلك أن تنظم المبادلة التجارية وتسهل السبل أمامها وتمحو العراقيل التى وقفت فى وجهها ،فأزالت الضرائب الجمركية التى كانت تؤخذ على البضائع عند مرورها من جزء من أملاكها الى جزء آخر ،أو من مدينة الى أخرى ،ووحدت بين ممتلكاتها اقتصاديا وقررت مبدأ التجارة الحرة فعاد هذا الأصلاح بالفائدة الكبرى على الامارات التى خضعت له ، فاتفقت فيما بينهـا اتفاقاً تجاريا بمقتضاه أن تمر البضائع البروسية فى عدة ولايات من غير أن تدفع إلاضريبة واحدة. وقد عرف هذا الاتفاق « بالزلفرين » أو الاتحاد الجمركى وقد رأت الولايات الاخرى فوائده وشعرت بمزاياه فانتظمت فى سلكه .ولم تأت سنة ١٨٣٦ حتى دخله كل ممالك الاتحاد وأماراته ما عدا النمسا . اكتسبت بروسيا مركزاً ممتازاً بهـذا الاتحاد وأصبحت مركزا للحياة العمومية ، وتطلعت اليها الولايات الصغيرة بأنهـا زعيمتها .ويمكننا أن نقول أن المانيا توحدت اقتصاديا فأصبح الطريق ممهدا للوحدة السياسية .

ثورة ١٨٤٨ وأثرها فى المانيا — نمت الروح الديمقراطية نمواً كبيراً بين سنة ١٨٣٠ وسنة ١٨٤٨ م . وكان الأمراء يزدادون طغيانا على طغيانهم . ولماقامت الثورة سنة ١٨٤٨ فى فرنسا وثلت عرش لويس فيليب، تعدتها أيضاً الى المانياوهب الأحرار فى البلاد يطالبون بالحكومة النيابية ، فأجابت الولايات الصغيرة مطالب شعوبها بكل سرعة ، ولم ينل الاحرار مطالبهم فى بروسيا وفى النمسا إلا بعدان اريقت الدماء أنهاراً واشتد لهيب الثورة فى انحاء الامبراطورية النمساوية فثارت إيطاليا و بوهيميا ، وثارت المجر ، وثار الأهالى فى فينا . ولم يقتصر الثوار على طلب الحكومة النيابية بل طالبوا بالاستقلال الذاتى . وقد نجح الثوار فى ڤينا وأنزلوا (مترنيخ) من علاه واضطروه الى الفرار من البلاد الى انجلترة ، وتنازل الامبراطور « فردیننـد » عن عرشه فى ديسمبر سنة ١٨٤٨ لابن أخيه « فرنسيس جوزيف » وهذا منح الدستور لكل رعاياه ؛ أما فى برلين فقد اشتدت المعارك فى الطرقات بين الاهلين والجند ولم تهدأ الثورة إلا عندما أعلن الملك «فردريك وليم الرابع »انه منح الدستور لشعبه ، وبراً بوعده أقسم فى فبراير سنة ١٨٥٠ أن يحكم البلاد حكما نيابياً بعد ان منحها الدستور ونفذه و بذلك انجلت حوادث سنة ١٨٤٨ م . عن فوز الاحرار الالمانيين فوزاً مبيناً .

الجمعية التشريعية سنة ١٨٤٨ — ١٨٤٩ : عرف الألمان مزايا الاتحاد الاقتصادى فعزموا على الوحدة السياسية وحاولوا ربط الولايات العديدة برباط وثيق بأن يستبدلوا (بالدياط) برلمانا أهلياً حقيقياً ، فقامت كل ولاية وأمارة وانتخبت ممثلا فى البرلمان الجديد . وفى ١٨ من مايو سنة ١٨٤٨ اجتمعت هذه الهيئة التى أطلق عليها اسم الجمعية التشريعية فى مدينة فرنكفورت ، وأخذت على عاتقها أن تقرر دستورا وطنيا يسرى على جميع ممالك المانيا وإماراتها ، فكان مثلها مثل الجمعية التشريعية التى اجتمعت فى فرنسا سنة ١٧٨٩ م . اجتمع الاعضاء وتباحثوا طويلا ولكنهم لم يصلوا الى شيء مرض نتيجة المنافسة الشديدة التى قامت بين النمسا و بروسيا ، لأن النمسا أرادت أن تسيطر على كل شيء ، وأخيراً قررت الولايات الالمانية اخراجها هى وأملاكها غير الألمانية من الاتحاد المقترح عمله ، و بعد

ذلك قرر الأعضاء الباقون توحيد المانيا ، ومنح التاج الى ملك بروسيا « فردريك وليم الرابع » ولكنه رفض التاج لأنه لم ير الوقت مناسباً ، وكره أن يأخذ التاج بطريقة ديمقراطيـة كهذه ، وعلى ذلك انسحبت النمسا وما يتبعها من الولايات من الجمعية التشريعية ، وانفضت الجمعية بعد ذلك بقليل من غير أن تصل الى حل نهائى ، ولكن يمكننا أن نستنتج مقدار ميل الولايات الالمانية نحو الوحدة السياسية

بروسيا تحاول توحيد المانيا منفردة (سنة ١٨٤٩ — ١٨٥١) اشتغلت النمسا باخماد الثورات الكثيرة التى قامت فى ولاياتها غير الالمانية فانتهزت بروسيا هذه الفرصة وحاولت أن توحد الولايات الالمانية التى تحت زعامتها

وفى سنة ١٨٤٩ م . كونت اتحاداً المانياً سمته (الاتحاد البروسى) ثم فرغت النمسا من مشاكلها وأحيت مجلس (الدياط) القديم وقام « شوارزنبرج » وزيرها الأكبر وانتهز فرصة تردد ملك بروسيا وأصر على حل الاتحاد البروسى ، وبعد مخابرات ومجادلات اعترفت بروسيا بأن نظام سنة ١٨١٥ لا يزال باقياً ، وفشلت فى مشروعها ، ولم تتم الوحدة القومية

بسمارك – مات فردريك وليم الرابع سنة ١٨٦١م . وخلفه أخوه « غليوم الاول » على عرش بروسـيا وكان فى الثالثة والستين من عمره ، وقبل أن يصعد على العرش كان قد اشترك مع أخيه فى الحكم من سـنة ١٨٥٧ ورأى انتصار النمسا على بروسيا واجبارها إياها على أن تحل الاتحـاد البروسى ولذلك صمم على الانتقام ، ورأى أن أحسن وسيلة لذلك هى تقوية جيشه فبدأ باصلاحه واعادة تكوينه ؛ ولما طلب من البرلمان الاعتمادات المالية اللازمة لتقوية الجيش أبى البرلمان



(بسمارك)

الموافقة على طلبه فاستنجد بصديق حميم له هو « أتّوفون بسمارك » وعينه وزيراً للخارجية .

ان بسمارك من أعظم أبناء المانيا ، ومن أكبر رجالها ، لا يقل عظمة عن فردريك الكبير ولا عن لوثر . ولد فى مقاطعة « برندنبرج » ١٨١٥ من أسرة عريقة فى المجد وقضى حياته الأولى مشتغلا بالزراعة ولكنه دخل الحياة السياسية فاكتسب بغاية السرعة شهرة فائقة ، وكان من أنصار السياسة الرجعية فأعجب به الملك (فردريك الرابع) وعينه مندوبا عنه فى مجلس الدياط ، وظل يمثل بروسيا فى هذا المجمع مدة ثمانى سنوات (١٨٥١ — ١٨٥٩) تعرّف فى خلالها بكثير من ساسة أوربة وعرف دخائل السياسة الألمانية ، وعدل آراءه نحو توحيد المانيا إذ كان يرى قبل ذهابه الى المجمع أنه فى الاستطاعة الجمع بين النمسا وبروسيا ، ولكنه استفاد من الحوادث فائدة كبرى وتأكد أنه لا بد من تغلب بروسيا على النمسا حتى تتمكن من توحيد المانيا .

عين بعد ذلك سفيرا لمملكته فى عاصمة الروسيا وهناك أيضاً عرف كثيرا من ميول القيصر ومطامع الروسيا فى البلقان وفى المسألة الشرقية وتشبع بالروح الاستبدادية فجاهر مرارا باحتقاره النظم الدستورية والبرلمانات ، وكان يعتقد فى القوة متحمسا لبروسيا تحمسا شديدا قائلا : ان الدم والحديد هما أفضل الوسائل لحل المسألة القائمة بين النمسا وبروسيا . وكان من رأيه أن تطرد النمسا من المانيا قبل أن توحد المانيا

بسمارك والبرلمان البروسى : وقف البرلمان البروسى فى سبيل تقوية الجيش ، وكان كلما طلب الملك اعتمادات له رفض طلبه فاستعان ببسمارك ، وهذا لجأ الى اقناع البرلمان بضرورة المال لتجهيز الجيش ، ولما رفض طلبه المرة بعد الأخرى ترك النواب وشأنهم وركن الى مجلس الأعيان ، وبمساعدة الملك ونفوذه تمكن من توفير كل ما لزم الجيش من أموال وعدد ، وكانت هذه الخطوة جريئة تشبه الخطوة التى خطاها « شارل الاول » ووزيره عند ما أهملا البرلمان وأخذا يجمعان الاموال

لتسيير الأمور من غير اذن البرلمان ، ولكنهما فشلا فى النهاية فثارت الامة ضدهما وقضت على حياتهما . أما فى بروسيا فقد نجحت سياسة بسمارك نجاحا عظيما أدى الى توحيد المانيا وعظمتها

حرب شلزويج وهلستين ١٨٦٤ — : تمكن بسمارك من تقوية الجيش وجعله أداة صالحة لتنفيذ أغراضه ومآربه السياسية ، ولما آنس فيه هذه الكفاءة ابتدأ ينفذ برنامجه بكل حذق ودقة ؛ وأول شيء عمله محاربة الدانيمارك للاستيلاء على الولايتين (شلزويج وهلستين) لان (هلستين) كانت ولاية المانية بحتة ، استولت عليها الدانيمارك ، وحكمها ملكها كأنها ولاية خاصة به . وكان أهل شلزويج خليطا من الدانيماركيين والألمانيين ، ورغب هؤلاء فى الانضمام الى المانيا ، بينما كانت الدانيمارك تريد ضمها الى أملاكها نهائيا ، بدأ بسمارك يعمل على أخذهما وانتهز الفرصة التى جاءت سنة ١٨٦٣ بموت « فردريك السابع » ملك الدانيمارك وانقراض نسله الذكور فخلا العرش وقام الاهالى فى الولايتين يطلبون الانضمام الى المانيا ، فتحرك الاتحاد الالمانى وهب لمساعدتهم ولكن بسمارك أقنع النمسا بالاشتراك معه فى فض المشكل ؛ وكانت النمسا ترغب فى التقرب من بروسيا خشية من نابليون وسياسته ودسائسه فى ايطاليا ، فوافقت على التدخل ؛ وفى فبراير سنة ١٨٦٤ زحفت الجيوش النمساوية والبروسية على الولايتين وطردوا الجيوش الدانيماركية منهما ، وفى اكتوبر من السنة عينها أمضى ملك الدانيمارك صلحا تنازل به عن كل حقوقه فى فى الامارات ، وفوض الأمر الى النمسا وبروسيا واتفقتا على احتلالهما بالاشتراك ، ولكن رغب بسمارك من أول الأمر ضمها الى عرش بروسيا وكأنه استعمل النمسا آلة لتنفيذ مآربه ، ففطنت النمسا الى ذلك وشجعت أحد أمراء المانيا بالمطالبة بها ، وعضده حزب بروسى كبير وولى عهد بروسيا نفسه ؛ ولما رأى بسمارك أن دولته لم تستكمل استعدادها الحربى أبرم بينه وبين النمسا اتفاقية (جستين) فى اغسطس سنة ١٨٦٥ التى قضت بأن تحتل بروسيا (شلزويج) والنمسا (هلستين) . وكان هذا الاتفاق فوزا سياسيا لبسمارك

الحرب البروسية النمساوية : أخذ بسمارك بعد اتفاقية جستين يُعد عدته لطرد النمساويين جملة من المانيا ، فتقرب من فرنسا واجتمع بالامبراطور نابليون فى مدينة (بيارتز) وجعله يعتقد بانه سيكافئه نظير حيدته فى الحرب المقبلة بين بروسيا والنمسا بأن يصرح له فى ضم البلجيك اليه أو بعض املاك على شاطىء الرين ؛ ثم تقرب من إيطاليا ايضا وعقد معها محالفة تستولى بها (إيطاليا) على مقاطعة البندقية فى حالة انتصار بروسيا ؛ ثم اعطى وعودا كثيرة لأمراء المانيا الأصاغر ليضمن مساعدتهم . ثم ابتدأ بسمارك يستفز النمسا بدسائسه فى هلستين و بوضعه مشروعات لاصلاح الاتحاد الالمانى كى يخرج النمسا منه . ولما التجأت النمسا الى المجمع الالمانى لتحكمه فى مسألة (شلزيج هلستين) عدّ بسمارك ان هذا خرق لاتفاقية جستين واحتل (هلستين) وأعلن الحرب عليها و زحفت الجيوش البروسية بقيادة القائد الكبير « فون ملتكه » وكان جيشه مدربا أحسن التدريب كما كان قائده من أعظم قواد اوربة خبرة ومهارة . زحفت الجيوش فى أواسط يونيه سنة ١٨٦٦ واحتلت سكسونيا و (هس كسل) و (هانوفر) و (ناسو) بعد ان انذرتها بالوقوف على الحيدة وأعطتها مهلة لارد مدتها اثنتا عشرة ساعة ، ولم ترد . ثم زحف البروسيون لملاقاة النمساويين



(فون ملتكه)

معركة سادوه : وفى ٣ من يوليه سنة ١٨٦٦ تقابل الجيشان ، وفى معركة فاصلة فى مدينة سادوه فى مملكة (بوهيميا) انتصرت بروسيا انتصارا حاسما ، وتعد هذه المعركة من أعظم المعارك التاريخية إذ كسبت بروسيا بها الحرب ، وقضت على عظمة النمسا قضاء مبرما . ويشبهها بعض المؤرخين بموقعة وترلو من جهة النمسا ، زحفت الجيوش نحو فينا ولكن بسمارك رأى من الحكمة أن يقف سير الجيوش نحو فينا

ولـكن بسمارك رأى من الحـكمة أن يقف سير الجيوش خوفا من تدخل فرنسا فى الأمر واكتسابا لجانب النمسا فى معركته المقبلة ضد فرنسا ، ولذلك أمر بايقاف الحرب عند ما طلب الامبراطور « فرنسوا جوزيف » الصلح

معاهدة براغ : وفى ٢٣ أغسطس عقـدت (معاهدة براغ) بين النمسا وبروسيا بمقتضاها قبلت النمسا :

(١) حل الاتحاد الالمانى القديم

(٢) صرحت لبروسيا أن تعيد توحيد المانيا على الوجه الذى تراه

(٣) أعطت (البندقية) لايطاليا

(٤) ضمت (بروسيا) اليها (هانوفر) و (هلستين) و (هس كاسل) وناسو ومدينة فرنكفورت

الاتحاد الالمانى الشمالى (١٨٦٧) : — اتفقت إحدى وعشرون ولاية فى المانيا سنة ١٨٦٧ على أن تكوّن اتحاداً المانيا جديدا بزعامة بروسيا التى اتسعت رقعتها اتساعا عظيما بالاملاك الجديدة التى ضمتها اليها، والتى زادت فى عدد سكانها نحو الخمسة الملايين ؛ وقد أصـبح لها شاطىء طويل ذو ثغور عدة صـالحة للملاحة ولا سيما « كيل »

أصبح للاتحاد مجلس نيابى انتخابى مكون من مجلس واحد للشيوخ ويمثـل الامراء ، وآخر ينتخبه الشعب (ريشتاغ) يمثل الأمة . واعترف بملك بروسـيا وأبنائه وأحفاده من بعده بأن يكون رئيساً للاتحاد وقائدا عاما لجيشه . خطت المـانيا خطوة واسعة بهذا الاتحاد نحو التوحيد الحقيقى ولم يبق خارج الاتحاد إلا الولايات التى جنوبى نهر المين مثل (بفاريا) و (بادن) و (ورتمبرج) و (هس درستات) وقد رغب كثير من زعماء الوطنية فى المانيا توحيد الشمال والجنوب ، ولـكن عسكرية بروسيا واستبدادها وبروتستنيتها وقفت حائلا بين أغراض الـكثيرين من الألمان. أضف الى هذا حسد فرنسا ووقوفها عقبة كأداء فى سبيل الوحدة الألمانية إذ أصر نابليون أن يبقى نهر المين حاجزا بين الشمال والجنوب ، وكان يتطلع أن يكوّن أهل الجنوب

اتحادا يشابه اتحاد أهل الشمال ينظر اليه لحمايته لكاثوليكيته ضد أهل الشمال . ولكن وطنية الألمان جعلتهم ينصرفون عن نابليون و يدخلون أفواجا فى اتحاد الشمال خصوصا بعد ان نشر بسمارك مفاوضاته مع نابليون بعد معركة سادوه التى طلب فيها نابليون ضم بعض الأراضى على الشاطىء الأيسر لنهر الرين و إلا أعلن الحرب على المانيا ورفض بسمارك تسليم أى شبر من أراضى المانيا اليه.

كل هذه الأشياء أظهرت بجلاء أغراض نابليون فى الدنيا وجعلت أهل الجنوب يسرعون ويدخلون أعضاء فى اتحاد الشمال

الفصل الثالث

الحرب البروسية الفرنسية سنة (١٨٧٠ — ١٨٧١)

تقدمت الروح القومية فى المانيا ، وأخذت تنظر الى تدخل نابليون فى أحوال المانيا الداخلية نظر ازدراء واحتجاج ؛ وكان موقف نابليون أخذ يتزعزع بعد حرب القرم مباشرة ، وذلك نتيجة بعض أغلاط ارتكبها فى سياسته الخارجية فانه شجع الثوار من أهل بولندة سنة ١٨٦٣ على الثورة ، ولم ينصرهم الى النهاية ففقد عطف الروسيا ، وعطف شعبه الذى أراد أن يحرر البولنديين ، ثم تدخل فى أحوال المكسيك وانتهز ثورتها الداخلية وأغرى (الأرشيدوق مكسمليان) النمسوى أن يقبل عرشها واعدا إياه بالمساعدة الفعلية . ولكن لم يبر بوعده وأعدم المكسيكيون الأرشيدوق رميا بالرصاص سنة ١٨٦٧ م . أراد نابليون أن يقف بروسيا عند حدها وأخذ وزير حربيته « تيير » يجاهر بعدائه لها . وكان سفير فرنسا فى برلين يحذر قومه اشتداد ساعد بروسيا العسكرى ، وأخذ بسمارك من جهته يستعد سياسيا للمعركة المقبلة فتقرب من الروسيا وضمن حيدتها ، واكتسب مودة ايطاليا والنمسا . وفى سنة ١٨٦٩ خلا عرش اسبانيا بفرار « ايزابلا » ملكتها الى فرنسا ، فطلب الثوار الاسبان من أحد أفراد أسرة « هوهنزلرن » البروسية أن يعتلى عرش بلادهم . قبل ليو بولد البروسى العرش بعد تردد طويل ولكن هاج الشعب الفرنسى ورفض أن يسمح لأمير بروسى بتولى عرش الاسبان لأن هذا يقلب التوزن الدولى ؛ وضرب نابليون على نغمة شعبه وأمر « بندتى » سفيره فى بروسيا بمقابلة الملك وليم ومفاوضته فى الامر وفى هذه اللحظة تنازل ليو بولد عن قبول العرش باشارة وليم ، ولكن أصر نابليون على أن يطالب سفيره من الملك ألا يصرح لاى امير آخر من افراد اسرته بقبول العرش الاسبانى .

ذهب (بندتى) لمقابلة الملك البروسى فى مدينة « إيمز » لمفاوضته فى الأمر الجديد ن الملك رفض طلبه بلطف وأرسل برقية الى (بسمارك) بما حدث بينه وبين بندتى

وصرح له بنشرها اذا أراد . وصلت البرقية الى بسمارك وكان ملتكه (وفون دون) وزير (الحربية البروسية) بجانبه فسألهما عما اذا كانا مستعدين للحرب فأجاباه بالايجاب ، فأخذ القلم ونقح البرقية بأن حذف منها بعض كلمات معينة ودفع بها الى الصحف فنشرتها على الصورة الجديدة وكانت تشعر بأن الملك طرد السفير الفرنسى من حضرته ولما قرأت الأمة الفرنسية البرقية هاجت لاهانة سفيرها ، وطلبت من الحكومة الحرب . وبعد أخذ ورد اندفع الامبراطور مرة ثانية وراء عواطف شعبه ، وطوعا لنصيحة زوجه الامبراطورة « أوجينى » وأعلن الحرب على المانيا فى يوليه سنة ١٨٧٠ . صرف بسمارك أوربة عن فرنسا بأن نشر معاهدة كان يراد ابرامها بين فرنسا وروسيا وهى بخط سفير فرنسا وبمقتضاها أرادت فرنسا أن تضم (لكسمبرج) والبلجيك اليها فقامت انجلترة وطلبت من فرنسا كل الضمانات لحياد البلجيك ، وتم لها ذلك .

نشبت الحرب بين الفريقين وبلغت الحماسة أشدها فى اتحاد المانيا شمالا وجنوبا ، وهرع المتطوعون الى الجيش البروسى من كل مكان وقال الملك (وليم) وهو يتسلم قيادة الجيش (تقف كل المانيا المسلحة فى وجه مملكة مجاورة أعلنت الحرب علينا ظلماً ، ولذلك نهب للدفاع عن أرض الآباء والاجداد ، ندافع عن شرفنا ، وعن حرمتنا ومنازلنا ، وانى أتسلم قيادة الجيش الموحد لأقوده الى مواطن النصر كما صنع آباؤنا وأجدادنا من قبل)

كان الجيش البروسى على تمام الأهبة والاستعداد يقوده أعظم قائد فى أوروبة ، ويساعده فى القيادة نخبة من أعاظم القواد خبرة وتدريبا ، وقد وضعت الخطة الحربية بتمام الروية والدقة . وكانت حال فرنسا العسكرية والطبيعية معروفة لدى القواد الألمان معرفة دقيقة . أما الجيش الفرنسى فكان على عكس ذلك سىء النظام والاستعداد والقيادة ابتدأت الحرب وانتصر الفرنسيون فى بادىء أمرهم فى معركة (سابروكن) فهلل الفرنسيون وكبروا ، ولكن سرعان مازحفت بروسيا بجيش يقرب عدده من الثلثمائة والخمسين الفاً ، ولاقت عدوها ، وهاجم جيش ولى العهد البروسى جيش « مكماهون »

الفرنسى فى مدينة (ورث) وانتصر عليه واضطره الى الفرار . وعند ذلك تنازل الامبراطور عن القيادة الى « المارشال بازان » أحد أبطال الحرب المكسيكية ، واستعرت نار الحرب . وفى أوائل سبتمبر سنة ١٨٧٠ ضيّقت الجيوش البروسية الخناق على جيش « مكماهون » فى موقعة (سيدان) العنيفة الدموية فانتصر الألمان ، وسلم نابليون نفسه وجيشه ، وكان يبلغ عدده مائة الف مقاتل . هاج الشعب الباريسى عند ماسمع خبر الهزيمة وأعلن (غمبتا) سقوط الأمبراطورية الفرنسية وقيام الجمهورية ، وأرادت الحكومة الجديدة الصلح ، ولكن الألمان أرادوا أرضاً جديدة من فرنسا . ولما رفضت الحكومة طلباته تقدم ولى العهد بجيشه لمحاصرة باريس وكانت محصنة أحسن التحصين ، وقد هجرتها الحكومة الى (تور) ودافعت باريس عن نفسها دفاع الأبطال ولكن فى ٢٧ من أكتوبر سلم (بازان) الى الألمان فى متز جميع جيشه وكان نحو ١٧٠ الف مقاتل بما فيه الضباط الفارون وبسقوط متز تحولت باقى قوات المانيا الى باريس لنجدة زملائهم والاستيلاء عليها ، وكان (غمبتا) قد حاول انقاذها مراراً بما جمعه من الجيوش التى كانت ينقصها الخبرة والتدريب . ولما رأى الباريسيون أن مجهوداتهم ذاهبة سدى فر وزير خارجية فرنسا الى قصر (فرساى) ليفاوض الالمان فى أمر الصلح وبعد مفاوضات طويلة أبرمت معاهدة الصلح بين الأمتين فى فبراير سنة ١٨٧١ وبها تنازلت فرنسا عن الالزاس واللورين الشرقية بما فيها حصنا (متز) و (ستراسبورج) وأن تدفع غرامة حربية قدرها مائتا مليون من الجنيهات وأن يبقى فى فرنسا جيش المانى حتى تدفع الغرامة .

توحيد المانيا : — بهرت الانتصارات البروسية أعين الألمان ، فاجتمع ملوكهم وأمراؤهم فى قصر فرساى فى يناير سنة ١٨٧١ م . وأعلنوا توحيد المانيا وانتخب « غليوم » امبراطوراً عليها بين مظاهر البهجة والحماسة ، وفى مارس من السنة عينها اجتمع البرلمان الأول للامبراطورية الجديدة فى مدينة (برلين) فتم لبسمارك ما أراد ، ثم انصرف لتقوية المانيا داخليا وخارجياً ، فعقد مع النمسا معاهدة دفاعية هجومية فى سنة ١٨٧٩ م . وعقد معاهدة مع ايطاليا ايضا

مات الأمبراطور غليوم الأول سنة ١٨٨٨ وخلفه ابنه (فردريك الثالث) فمات

بعد أشهر قلائل من جلوسه على العرش ، فخلفه ابنه غليوم الثانى وكان محبا للسلطة ، فاختلف مع البرنس بسمارك فاعتزل هذا الخدمة فى سنة ١٨٩٠ م . واعتزل السياسة أيضا ، وظل كذلك حتى مات سنة ١٨٩٨

خطت المانيا خطوات واسعة بعد ذلك نحو التقدم المادى والاستعمارى وحذقت العلوم والفنون ، وظلت سائرة الى الأمام حتى أعلنت الحرب الأوربية الكبرى سنة ١٩١٤ وخرجت منها خاسرة . وفقد غليوم عرشه ، والآن تجاهد المانيا للخروج من الأزمة التى أوقعتها فيها الحرب الأخيرة . أما فرنسا فقد نهضت بعض النهوض بعد الحرب وهى الآن تسير فى سبيل الارتقاء



الباب السابع

المسألة الشرقيـــــة

استقلال اليونان وظهور ممالك الباقان الحديثة

الفصل الاول

المسألة الشرقية

تمهيد : استمرت تركيا بعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ م. توالى تقدمها فى أوروبة ، وتوسع نفوذها ، وقد تم لها ذلك فى عهد سلاطينها العظام : فهزم محمد الثانى بلاد اليونان وملكها وهدد إيطاليا بالغزو وبعد ذلك أضافت تركيا الى أملاكها البوسنه والبانيا ، وانتزعت شبه جزيرة القرم من الجنويين وغزيت بلاد المجر مراراً وحوصرت « ويانه » مرتين فى القرن السادس عشر ، وبعد ذلك امتد نفوذها فى الممالك الواقعة فى الجنوب الشرقى من أوربة ما عدا بلاد الجبل الاسود الذى اعتصم أهلها بجبالهم الوعرة . ولما جلس على عرش السلطنة السلطان «سليم الاول» حفيد محمد الثانى وسّع أملاكه شرقا فملك ما بين النهرين وآشور وسورية ومصر . وفى عهد ابنه سليمان بلغت الدولة العلية منتهى قوتها ومجدها ولما وقعت واقعة (ليبنتو البحرية) عام ١٥٧١ التى اشتركت فيها ضد الاتراك اساطيل اسبانيا والبندقية وجنوة بقيادة « دون جون » النمسوى ، اضمحلت قوة الاتراك البحرية ووقف تقدمها فى الفتح ، واستطاع أهل بولندة والمجر والنمسا ان يردوا تقدم هؤلاء الفاتحين . ولما نهضت الروسيا فى القرن الثامن عشر صارت عدوا لدودا للأتراك ، وأخذت تناوئهم طمعا فى احراز السيادة

على البحر الاسود الذى كان يعدّه بطرس الأكبر بحيرة روسية يجب ألا ينازع دولته فيه منازع . وقد سارت الروسيا فى خطتها هذه منذ ذلك العهد تناصب تركيا العداء وينضم اليها فى ذلك بعض دول أوربة حيناً ويخالفها بعضها حينا آخر لمصلحة شخصية كانجلترة التى كانت تعارض رجحان كفة الروس .

كانت كل هذه المناورات من جانب الدول الأوربية سببا فى اضعاف تركيا خلال القرن الثامن عشر، ذلك الاضعاف الذى حدا دول أوربة أن تنظر فيما سيؤول اليه أمر الدولة العلية ، ومن يصبح وارثا لاملاكها بعد ذهاب ريحها فنشأ ما عرف فى التاريخ « بالمسألة الشرقية » وهى إن كانت قديمة العهد يرجع تاريخها الى أول مجىء الأتراك الى أوربة بصفة عامة والى معاهدة « كرلوتز » بصفة خاصة، الا أنها أخذت فى القرن الثامن عشر مظهراً جديدا جعل دول أوربة تتنافس فى اغتيال تركيا ، مما أوقع المشاكل بين بعض هذه الدول و بعضها الآخر .

فالمسألة الشرقية إذن هى مسألة النزاع القائم بين بعض دول أوربة و بين الدولة العلية بشأن البلاد الواقعة تحت سيطرتها ، و بعبارة أخرى هى مسألة بقاء الدولة العلية نفسها فى أوربة . ولم تختلف دول أوربة فى وجوب ازالة تركيا و إنما اختلفوا (فيمن يتولى الزعامة فى هذا النزاع ، ومن منهم ينال حصة الاسد فى هذه الغنيمة) وهذه المسألة لا تخص أمة دون غيرها بل هى تهمها كلها على السواء (١) انها تهم روسيا لأنها فى طريقها الى البحر الابيض المتوسط (٢) وتهم انجلترة لانها فى الطريق بينها و بين أملاكها فى آسيا (٣) وتهم النمسا لانها حجر عثرة فى طريق مطامعها البلقانية (٤) وتهتم بها فرنسا لرغبتها الشديدة فى نشر تجارتها فى افريقية (٥) وتهم الدول كلها متجمعة لما بين هذه الدول من روابط التحالف (فكأن الدردنيل حلق اوربة والراية العثمانية حسكة فى ذلك الحلق)

وقد حققت دول اوربة كثيرا من مطامعها لضعف تركيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

اسباب ضعف الدولة العثمانية : — لهذا الضعف أسباب داخلية وأخرى خارجية . فالاسباب الداخلية هى :

أولا ـ اختلاف الأديان والاجناس فى ممتلكات الدولة : أدى هذا الاختلاف الى نزوع أهل الدين الواحد والجنسية الواحدة الى التمرد على الدولة كلما آنسوا فيها ضعفاً ، وكلما رأوا الفرصة سانحة ، ناسين تسامح الدولة معهم فى كثير من الظروف السياسية ، وعدم التعرض للغاتهم ، والاعتداء على قوميتهم ، متناسين انهم كانوا يتولون مناصب راقية ويقدّمون على غيرهم ، كما كانوا يكلفون بأعمال هامة كمخاطبة الدول والحكومات فى الأمور السياسية الخارجية

ثانيا ـ شكل الحكومة كانت حكومة تركيا استبدادية مطلقة يتولى أمورها فرد واحد له الامر والنهى ، وقد حدث ان بعض السلاطين الآخرين استغلوا هذا النفوذ وجاروا على الناس، وظلموهم، فسقطت مهابتهم وضاعت محبتهم من القلوب خصوصا عند ما انتهت فترة الفتوحات العظيمة وأصبح السلاطين ضعاف العزيمة، منغمسين فى الملاهى؛ وفوق هذا جاءوقت كان فيه الجند يتدخلون فى أمور السياسة ويعزلون السلاطين أو يولونهم فاستفحل خطبهم وظلموا الناس وغصبوهم أموالهم،فاذا أضفنا هذا الى جور السلاطين وسرفهم وتبذيرهم فانه ليس بعجيب ان تنكمش الدولة وتنحط السلطة

ثالثاً ـ اهمال المرافق الاقتصادية : لم تُعن الحكومة فى عهد السلاطين الخاملين بالمرافق الاقتصادية فاهملت الزراعة وتعطلت الاعمال ، وكذلك لم تجار الدولة الامم الاخرى فى استغلال المناجم التى تعود عليها وعلى شعبها بالخير العميم ، أما الصناعة فكانت فى حيز العدم ، مع أن فى بلاد الدولة منشأ كثير من الصناعات القديمة التى بادت كصناعة الزجاج والنحت والحفر وصناعة التماثيل والقاشانى ، وكانت المصنوعات التى لا تزال باقية لا يصدر منها إلى اوربة غير السجاجيد والأصواف. وقد كان ينتظر أن يكون للتجارة فى هذه البلاد شأن عظيم لموقعها من قارات العالم القديم . ولكثرة ثغورها البحرية ولكن اهمال الحكومة قضى على التجارة لفساد طرق المواصلات ووعورة السبل ، وفقدان الأمن ، وانتشار الظلم وقلة السفن

رابعا ـ التأخر العلمى : وكان التعليم مهملا شأنه بشكل مزرٍ مع ان الدول الاوربية لم تفتأ تعمل على انهاضه بكل الوسائل

خامساً ـ ضعف الجيش والاسطول : كانت الدولة العلية إبان نهضتها أول دولة عرفها

التاريخ الحديث أقامت جيشا عظيما دوخت به البلاد ، وملكت الاراضى الشاسعة ولكنها فى العهد الأخير أهملت امر الجيش وتركت لجنودها الحبل على الغارب فزاد صلفهم ففقدوا تلك الملكة الحربية التى أكسبتهم الفخر والأعجاب ، ثم جاء سلاطين قعدوا عن تنظيم الجيش والاسطول ، ولم يدخلوا فيه من الاصلاحات ما يجعله يجارى جيوش اوربة من استخدام الآلات الحربية الحديثة ، فضاعت مهابة الدولة وطمع فيها من كانوا يخشون بأس رجالها الحربيين .

أما أسباب الانحطاط الخارجية فتنحصر فى ظهور الأمة الروسية والأمة النمساوية بمظهر العدوان لتركيا والعمل على انتقاص أملاكها من أطرافها إما للاستفادة الشخصية وإما بمساعدة الولايات المسيحية الخاضعة للدولة للانتقاض عليها . وقد تم لها ذلك تدريجا . ولم يأت القرن التاسع عشر حتى كانت نتيجة العوامل المتقدمة هى :

اولا — انسلخت عن الدولة بعض الولايات التى خضعت لها من القدم بسبب اليقظة القومية ، و بفضل مساعدة الروسيا وغيرها من امم اوربة لها كما هو الحال فى استقلال اليونان

ثانيا — أدت العوامل السابقة أيضا الى طمع الولاة فى الدولة واستئثارهم بحكم البلاد التى تحت ايديهم كما كان الحال فى البانيا ومصر .

ثالثا — سلخت الروسيا والنمسا من الدولة بعض الولايات التى طمعت فيها من عهد بعيد فحققتا بذلك ما كانتا ترمى اليه مما سموه « المسألة الشرقية »

والآن نسرد الحوادث التاريخية المباشرة التى أدت الى هذه النتائج

الفصـــل الثانى

استقلال اليونان

حالة اليونان قبل الثورة : — (١) كانت بلاد اليونان خاضعة للدولة العلية خضوعا تاما ، وكان أهلها مقربين لدى الحكومة العثمانيـة ؛ يستخدمون فى مصالحها ، ويستشارون فى بعض أمورها الهامة ، وكانت الضرائب تجبى منهم بواسطة أفراد ينتخبون من بينهم

(٢) وكان اليونان أحرارا فى دينهم بفضل التسامح الأسـلامى ، وكان لهم فى القسطنطينية (بطريق) له نفوذ على جميع الكنائس فى تركيا وأوربة وآسيا، عدا الصرب التى كان أساقفتها يعينون من قبل السلطان رأسا ، فيكون لهم حق النظر فى جميع احوال المسيحيين الشخصية ، ومع هذا التسامح كان اليونان يشعرون بأنهم عضو غريب فى جسم الدولة العثمانية الاسلامية

(٣) وقد توصل اليونان بمهارتهم وحذقهم الى المناصب الكبيرة فى الدولة العثمانية فكان منهم دائما ناموس (سكرتير) البـاب العالى أو ترجمانه ؛ وقائد الاسطول ، ومنصب حاكم الافلاق ، وحاكم البغدان (ولاشيا وملدافيا)

(٤) وكان اليونان متقدمين فى التجارة فكانوا يتجرون فى البحر الأسود منذ معاهدة كينارجى(١٧٧٤) مستظلين بالعلم الروسى ، وقد صنعوا الفلك الكبيرة وسلحوها ليدفعوا عنهم خطر قرصان تونس والجزائر ، وخرجوا بسفنهم الى البحار النائية فبلغوا أمريكا ، وكان هذا أساسا لتكوين أسطول عظيم لهم ، وقد جعلوا « أودسا » ثغرهم التجارى ، واليه هاجر كثير من اليونان

(٥) وكانت حالتهم الأدبية تضارع تقدمهم المادى والسياسى ،وخاصة من سكن منهم القسطنطينية « الفناريين » الذين عملوا على رقى الآداب اليونانية القديمة التى كادت تعفيها يد البلى ؛ وظهر من بينهم (كوريس) (١٧٨٤ — ١٨٣٣) فاوقف

حياته على إحياء لغة بلاده فأصلح فاسدها وغريبها ، فأوجد لغة قومية ذكّرت اليونان بمجدهم القديم اذ جعلتهم على اتصال بتاريخهم المجيد الدارس

(٦) أما الفلاحون فكانوا أنعم حالا من فلاحى الروسيا والنمسا وانجلترة وغيرها من الممالك الراقية ، وكانوا يستمتعون بثمرات بلادهم وكدهم، كما كانوا معفيين من الخدمة العسكرية اذ لم يجند الأتراك غير المسلمين . وكان الفلاحون ينعمون بشبه استقلال داخلى ، يلى أمرهم قوم منهم فلم يربطهم بالسلطة العليا التركية غير الجزية الصغيرة المفروضة عليهم ، وغير تقديم عدد معين من البحّارة يخدمون فى الاسطول ، وقد جعلت الدولة العلية حراسة الطرق لمكافحة العصابات التى تسلب المارة وزعهم لشرطة يونانية كانت هى اساساً لجيوش الثورة المقبلة ؛ وقد سلح اليونان سفائنهم التجارية بحجة مطاردة القرصان فكان ذلك نواة للقوة البحرية التى استخدمها اليونان ضد الترك

ترى مما تقدم أن اليونانيين كانوا فى رغد من العيش لا يشكون حيفا ، ولا يشعرون بذلة ، فلم يكن هناك ما يبرر انتقاضهم على الدولة ، اللهم اذا اعتبرنا أن خروجهم عليها كان يقظة قومية ، وشعوراً بوجوب الاستقلال وعملا على الوحدة الأهلية . وما كان يتسنى لهم القيام بحركتهم الثورية لو عاملتهم تركيا معاملة الشعوب المستعبدة فراقبت كل حركاتهم وسكناتهم . على ان هناك مبرراً لقيامهم وهو أنهم رأوا ان بعضاً من ممتلكات الدولة العلية ادارت شئونها الداخلية بنفسها كمصر والبانيا ، كما أنه كان بالبلاد جمعيات سرية أخذت توعز الى الناس ان تبعيتهم للترك صغار لهم وهوان لمجدهم القديم . ونتيجة القول ان ثورة اليونان نشأت من حسن حالهم ورغد عيشهم

جمعية الأخوان : (هيتريا فيلكى) تأسست هذه الجمعية عام ١٨١٤ بمدينة أودسا وكان غرضها العمل على طرد العثمانيين من أوربة ؛ واحياء دولة الرومان الشرقية ، وقد كثر أتباعها وانتشروا فى كل مكان يوقظون الشعور القومى و ينبهون الروح الثورية الكامنة ، وصار (هبسلنتى) الضابط فى الجيش الروسى رئيساً لها . وقد كانت هذه الجمعية فى بادىء الأمر تتجر باسم قيصر الروسيا فتدعى أنه رئيسها . وباسم وزيره

اليونانى « كابود سترياس » الذى عرضت عليه رآسة الجمعية قبل هبسلنتى فأبى ، لعلمه ان القيصر يميل الى سياسة مترنيخ الرجعية .

الثورة فى ولاشيا ومولدافيا : لما اشتد ساعد جمعية الأخوان بكثرة من انضم اليها من ذوى الحيثيات من الأغريق ؛ أعلن هبسلنتى رئيسها الثورة فى (ياش) فى مارس سنة ١٨٢١ وكتب الى القيصر يستعينه فوصل الخطاب الى القيصر وهو فى (ليباخ) يفاوض الدول فى طريقة لاخضاع الثائرين فى نابلى ، وارجاع صاحب الحق الشرعى الى عرشه ، فرفض القيصر المساعدة ، ونقم على الثوار ، وطرد هبسلنتى من خدمته ؛ كذلك غضب (بطريق) القسطنطينية على هبسلنتى وحكم عليه بالحرمان ؛ وتنبه السلطان الى الثوار فأرسل اليهم جيشاً عبر الطونة ، وأخمد الثورة نفر هبسلنتى الى النمسا حيث أسر ومات .

الثورة فى المورة : (١٨٢١–١٨٢٧) فشلت ثورة هبسلنتى، ولكنها كانت نذيراً بثورة أخرى أعظم منها أثراً وأشد منها هولا ، قامت فى الموره ، وذلك أنه لما رأت جمعية الأخوان فشل حركتها عادت الى قرار لم يرتضه هبسلنتى من قبل وهو أعلان الثورة بين اليونان أنفسهم . قامت الثورة فى ابريل سنة ١٨٢١ بقيادة « كولوكترونى » وغيره ، وكان الثوار متشبعين بالتعصب الدينى الذى جعلهم يرتكبون فظائع مروعة ، اذ أخذوا الترك على غرة ، وهزموهم واستولوا على حصن « تريبولتزا » وذبحوا كل من عثروا عليه من الاتراك ، وهنالك تأثرت الدولة لنفسها بقتل بطريق القسطنطينية اذ كانت له يد فى الثورة ، وذبح كثيرون من مسيحى آسيا الصغرى ، وانتقموا من أهل خيوس وغيرها . وفى عام ١٨٢٢ فرغ الأتراك من اخماد ثورة (على باشا) والى (يانينا) وقتلوه فتفرغوا لاخماد الثورة ، وقد ساء السلطان محمود الثانى (١٨٠٨ – ١٨٣٩) من اليونان نكرهم للجميل فأمر بتوقيع العقاب الصارم عليهم ، وانقلبت الحرب الى مذابح دموية بين الفريقين ذاق فيها مسلمو المورة أشد أنواع العذاب وبقيت كفة اليونان راجحة لسيادتهم البحرية ، ولذلك استنجد السلطان (محمداً عليا) والى مصر ووعده ولاية المورة وكريت نظير مساعدته له .

كانت الفرصة مؤاتية لليونانيين لنيل استقلالهم قبل مجىء (محمد على) لأن

جميع أهل أوربة كانوا يميلون الى مؤازرة اليونان لما ارتكبه الاتراك من الفظائع انتقاماً لمذابح المورة ، ولذلك استنجد السلطان بوالى مصر فسير جيشاً كامل العدة بقيادة ابراهيم باشا، فتغير مجرى الحرب .

الحملة المصرية : خرجت الحملة عام ١٨٢٤ يحرسها الأسطول المصرى فنزل قائدها الى (كريت) واحتلها ثم نزل الجنود فى المورة ، ودارت الحرب فتوجت بالنجاح لأن ابراهيم باشا استولى على (مسولنجى) و(تريبولتزا) و (اثينا) وهى اهم معاقل اليونان

علم اليونان أن لاقبل لهم بمحاربة المصريين ، وكادت ثورتهم تفشل لولا تدخل حكومات أوربة فى الأمر بدافع العطف على الأغريق بعدأن أهابت الشعوب الأوربية بحكوماتها كى تنقذ البلاد ذات المجد القديم من أيدى العثمانيين والمصريين

تدخل الدول : كانت شعوب أوربة كلها ناقمة على فعال الاتراك مع الاغريق فتكونت فى كل مدينة جمعيات لمساعدتهم بالمال والمؤن والذخائر والمتطوعين وبدأت الصحف فى مختلف الممالك تدعو الى المساعدة، وتندد بالاتراك، فاضطرت الحكومات آخر الامر الى التدخل الفعلى

كانت دول أوربة فى ذلك الوقت مشغولة بمسألة « نابلى » « واسبانيا » وإرجاع الأمراء والملوك الى عروشهم ، ولكنها تغاضت عن شروط مؤتمر فينا القاضية بالاشتراك مع السلطان فى اخضاع الثورة . وكما قال مترنيخ « عز عليها أن تساعد حاكماً مسلماً على رعاياه الثائرين المسيحيين »

كان القيصر اسكندر يميل الى مساعدة الثائرين ولكن مترنيخ، وكسلرى وزير انجلتره ، أقنعاه بالتزام الحيدة ، فلما انتحر كسلرى ، وخلفه « كاننج » جعل هذا يعلل نفسه بفوز اليونان على الترك، ولما احتل ابراهيم باشا البلاد سارع كاننج الى مساعدتهم بعد أن طلب مندوبو اليونان حماية انجلترة . وكان الشاعر الانجليزى (اللورد بيرون) من أشد الناس رغبة فى هذه المساعدة، وكان يذكى باشعاره نار الحماسة فى قلوب مواطنيه للأخذ بنصرة اليونان ، وتطوع هو نفسه فى الجيش فمات هناك. كان

عمل الأنجليز على نصرة اليونان غريباً فى بابه لان (جورج كاننج) الذى أعلن تمسكه بالحيدة اولا عاد فعطف على اليونان لشدة ولوعه بآدابهم القديمة، ولأن الأمة الانجليزية لم تنظر الى اليونان بعين الحقيقة فتناست ما كانوا عليه من الهمجية والخسة والقسوة وتأثرت بما كان اليونان يدّعونه من أنهم مضطهدون فى دينهم، مصابون فى عواطفهم. هذا ولم يحد مترنيخ عن سياسته قيد انملة فانه كان يرى وجوب القضاء على الثورات واحترام حق الملوك، يستوى فى ذلك الشرق والغرب، ولهذا كان يساعد السلطان سراً، كما ساعده بأسطوله. أما فرنسا فكانت فى عهد (شارل العاشر) تود مساعدة اليونان لانهم مسيحيون، ولان فرنسا كانت اذ ذاك فى حاجة الى حرب تنسّيها سوء ادارة شارل.

ولحسن حظ اليونان مات اسكندر الاول وخلفه أخوه (نقولا الاول) سنة ١٨٢٥ فعاد الى سياسة (بطرس الاكبر) و (كترين الثانية) القاضية باكتساح الاتراك وتقويض أركان دولتهم، فمال الى مساعدة اليونان، وجهز جيشاً لمقاتلة العثمانيين، وأرسل انذاراً يطالب فيه تركيا بتسوية الخلاف بينها و بين الروسيا. فلما أجيب الى طلبه عاد فطلب الجلاء عن بلاد اليونان. وأراد ان يسير الجيش الى تركيا

موقف الدول: ذعر (مترنيخ) لهذا الطلب، و رأى (كاننج) وجوب الاتفاق مع القيصر لسببين: الاول انه كان لا يريد أن يرى الروسيا تقضى على الدولة العثمانية، والثانى خوفه من تفرد الروسيا بحل المشكل حسب اهوائها فيستفحل أمرها، ولذلك أعلن انه يرمى الى حماية تركيا من غائلة الروسيا. ثم ارسل الدوق «ولنجتون» ليهنىء القيصر و يتفق معه على المسائل الشرقية، وكان ولنجتون جندياً صريحاً، فخدعه نقولا بمهارة عجيبة وعقد معه (اتفاق بطرسبورج) فى ابريل سنة ١٨٢٦ ثم سعى (كاننج) فى ضم فرنسا اليه. أما النمسا و بروسيا فقد عارضتا فى كل تدخل فى أمر اليونان. و بعد مفاوضات طويلة أبرمت انجلترة وفرنسا وروسيا «معاهدة لندن» (يوليه سنة ١٨٢٧) وفيها قررت وجوب تدخل أوربة، كما قررت (١) ان تستقل اليونان فى المورة مع اعترافها بسيادة الدولة (٢) وان يجبر الاتراك على قبول عقد هدنة ريثما يتم الاتفاق (٣) واذا أبى الاتراك او اليونان عقد الهدنة فان الحلفاء

يتدخلون فعلا لتنفيذ المعاهدة (٤) وقد نص فيهـا على أنه لا يجوز لدولة من الدول التى أمضت المعاهدة أن تبغى من ورائها أى توسع فى أملاكها او فائدتها التجارية

الاساطيل الأوربية فى المياه التركية : كان كاننج لا يزال يعمـل على حل المشكلة بالطرق السلمية ، ولـكنه قضى نحبه فى خلال ذلك . أما الدولة العلية فرفضت هذه المعاهدة رفضاً باتا وحينئذ سيّرت انجلترة وفرنسا والروسـيا أساطيلها الى المياه التركية تحت قيادة أمير البحر الانجليزى « كدرنجتن » بقصد الفصـل بين الترك واليونان بالطرق السلمية ، فاذا أخفقت فى ذلك احتكمت الى السيف

موقعة نوارين : قرر أمراء البحر من الحلفاء دخول خليج نوارين حيث يرسو الأسطول العثمانى المصرى ، وكان ابراهيم باشا لا يزال يعبث بكل القرى والبلدان طاويا كشحاً عن احتجاج الحلفاء ، فدخلت أساطيل التحالف هذا الخليج لارغام الدولة على إجابة المطالب بغير حرب ، وعندئذ حدث سوء تفاهم بشأن موضع بعض الحراقات التركية ، فتبادل الفريقان بعض طلقات نارية أدت الى الاشتباك فى معركة هائلة فى أكتوبر سنة ١٨٢٧ م . وقد حال ضيق الخليج دون الحركات والمناورات البحرية الحربية فـكانت الموقعة مجرد تحطيم للسفائن، وكانت النتيجة تحطيم الأسطول التركى المصرى . وعندئذ كتب رئيس الوزارة الانجليزية « الدوق ولنجتون » الى السلطان يأسف لما حدث ، ولـكن السلطان لم يأبه لهذا الأسف وأعلن الجهاد على كل الممالك المسيحية وبخاصة على الروسـيا (عدو الدولة القديم) فعرضت الروسـيا على الحلفاء أن يمضوا فى محاربتهم الترك، ولـكن انجلترة أبت ذلك محافظة على قوة تركيا ، وفعلت مثل ذلك فرنسا فانسحبت من الحرب فتحول النزاع من مجراه الى حرب بين الروسيا وتركيا لا غير

وقد كانت الروسيا تعمل على اضعاف تركيا ، وأغراها بمواصـلة الحرب علمها بأن السلطان (محمود الثانى) قد أباد جنود الانكشارية سـنة ١٨٢٦ وأخذ ينظم جيشه على الطريقة الحديثة ، فخافت أن يشتد ساعد الترك فيحولون بينها و بين آمالها القديمة

الحرب الروسية التركية [١] ١٨٢٨ — ١٨٢٩ فرحت الروسيا بهذه الحرب أما السلطان فكان يعتمد على مساعدة محمد على له ، ولكن محمداً علياً رأى أن لا فائدة له من محاربة روسيا بعد ما منى به من الخسارة فى حرب المورة ، واكتفى بالمساعدة المالية . ومع هذا لما قامت الحرب أظهرت الجنود التركية الحديثة مقدرة و بأساً وصدّت الروس أمام (فارنا) . ولكن لما تولى قيادة الجيش الروسى القائد (ديبتش) سنة ١٨٢٩ حاصر المدن المحصنة واخترق جبال البلقان ، تاركا الجيش العثمانى وراءه ، معتمداً فى ذلك على مساعدة الأسطول الروسى ، وظهر فجأة أمام (أدرنة)فذعر الأتراك وألح الوزراء والسفراء على السلطان بمصالحة روسيا ففعل ، مع انه لو طاول الروس أسبوعا واحدا لقضى على « ديبتش » وجيشه القضاء المبرم

معاهدة أدرنة (١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩) عقد السلطان مع روسيا هذه المعاهدة و بموجبها صارت ولايتا (البغدان والأفلاق) مستقلتين تحت حماية روسيا ، وصارت اليونان ولاية قائمة بذاتها ليس للدولة عليها غير السيادة الاسمية ، كذلك نصت المعاهدة على فتح البسفور والدردنيل لتجارة جميع الدول

عند ما علم مترنيخ بشروط هذه المعاهدة رأى كما رأى غيره أن حال اليونان هذا قد تدعو لتدخل الروسيا فى شئونها ، ولذلك عرضوا المسألة على الدول فى لندن ثم وافقت كلها فى سبتمبر سنة ١٨٣٢ على أن تكون اليونان دولة مستقلة ، بشرط أن تقل مساحتها عما كانت عليه . وقد عرض عرش هذه البلاد على « ليو بلد » أمير ساكس كوبورج فرفضه . (وهو عم الملكة فيكتوريا وهو الذى صار بعد ملك البلجيك) ثم عرض على (أوتو) البفارى فقبله وظل يحكم اليونان الى سنة ١٨٦٤ حين أجبر على النزول عن العرش ، وخلفه (جورج الاول) ثانى أولاد ملك الدانيمركة

«١» بعد ان انسحبت انجلترة وفرنسا من الحرب رأت انجلترة ان وقوفها على الحياد يمنعها من الاشتراك فى حل المشكلة بين روسيا وتركيا عند انتهاء الحرب فقرر وزيرها « ولنجتون » ارسال قوة لاجلاء جيوش محمد على عن المورة ، وقد تم ذلك بمظاهرة بحرية قام بها كدرنجتون أمام الاسكندرية . وقد تركت فرنسا فى المورة ١٥ الف مقاتل لتحقيق هذا الغرض عينه

و بقى الحكم فى أسرته فى اليونان الى عهد قيام الجمهورية الأخيرة سنة ١٩٢٣ وقد نزلت انجلترة لأتو عن الجزائر الأيونية رغبة منها فى تحسين مركزه لصلته بالأسرة المالكة فيها ، ثم ضمت اليونان اليها تساليا وابيروس بموجب معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ فأصبح من الممكن قيام دولة مستقلة فى هذه المملكة

أخذ اليونان بعد ذلك يحاولون توسيع أملاكهم على حساب الترك فأرادوا ضم « كريت » وحاربوا الترك عليها سنة ١٨٩٧ م فأدبهم القائد العثمانى أدهم باشا ، وانتزع منهم شطراً من تساليا ، ولولا وساطة الدول لنال منها أكثر من ذلك . وكانت نتيجة الحرب اتفاق تركيا واليونان على استقلال كريت اداريا على أن يكون لها أمير مسيحى تختاره الدول ، ولم يزل بنو الأغريق يمدون أعينهم الى بسط سلطانهم على بقية بنى جنسهم المنتشرين فى بحر إيجه وعلى شواطئه ، وهذا ما جرهم الى خوض غمار حرب البلقان والحرب الكمالية التى خرجوا منها مغلوبين على أمرهم .

الفصل الثالث

ظهور ممالك البلقان

تمهيد : إن ظهور ممالك البلقان واستقلالها هو بدء الطور الأخير من اضمحلال الدولة العلية ، ذلك الاضمحلال الذى جعل الدول الأوربية المختلفة فى شغل شاغل لما ينشأ عن ضعف هذه الدولة من المشاكل . كانت دول أوربة تتكاتف قديما لوقف زحف العثمانيين غرباً ، ولكنها لما أنست فيها الضعف بدأت كل منها تطمع فى ميراثها وتنافس غيرها فى سلبها . فكانت النمسا تخشى مداومة الروس زحفهم جنوباً وإحرازهم السيادة فى البلقان لأن ذلك يكون أساساً لقيام دولة سلافية عظيمة تهدد ملك آل هبسبورج ، لذلك أصبحت النمسا تعمل على حفظ كيان العثمانيين . كذلك رأت انجلترة أن بقاء تركيا فى مكانها وقوتها معناه الوقوف فى وجه الروسيا ومنعها من الخروج الى البحر الأبيض المتوسط بمتاجرها

ومع هذا كانت تركيا سائرة الى الاضمحلال لأطماع حكام الاقاليم وسلبهم النفوذ من يد السلاطين الضعاف ، ولتمرد الشعوب المسيحية التى تحت حكمها عليها وسعيهم فى الانسلاخ عنها .

شعوب البلقان : كانت شعوب البلقان مسيحية مختلفة اللغة والزى والعادات والأخلاق ، وأهمها خمسة (١) الصربيون فى الشمال الغربى (٢) الألبانيون فى الغرب (٣) اليونان والأروام فى الجنوب وفى الجزر وعلى بعض السواحل الأخرى (٤) البلغار فى الشمال على جانبى جبال البلقان (٥) الرومانيون شمالى نهر الطونه

وكان بعض هذه الأجناس يسكن بلاداً أخرى ، وهؤلاء ومواطنوهم كانوا يميلون الى لمّ شعثهم وجمع شتاتهم ليكون كل جنس منهم أمة قائمة بذاتها ، اطمعهم فى ذلك انتشار الروح القومية فى البلاد كلها ، وحالة تركيا السيئة ، وعدم تمسك الأتراك من قديم بادماج هذه الاجناس فيهما ادماجاً تاماً ، وصبغهم بالصبغة الدينية أو التركية بل تركوهم محتفظين بلغاتهم وعاداتهم .

كرم تركيا فى معاملة هذه الشعوب مدعاة لنزوعهم الى طرح نيرها ، وقد رأيت كيف تخلص اليونان من حكم العثمانيين .



١ — نشأة مملكة رومانيا

كانت رومانيا تابعة للدولة العلية ، ولكن أمراءها كانوا وطنيين . ولما أخذت الروسيا تزحف جنوبا على الأملاك التركية فى القرن الثامن عشر ، كانت هذه البلاد (البغدان والافلاق) (ملدافيا وولاخيا) هى الطريق الطبعى للروس ولذلك كانت روسيا كلما أغارت على الترك تبدأ باحتلالها ولما حاربت تركيا روسيا سنة ١٧١١ ساعد أحد أمراء هذين الاقليمين حكومة روسيا ، فبدأ السلطان يعين ولاةً على رومانيا من اليونانيين . وفى معاهدة كتشك كينارجى سنة ١٧٧٤ م . أصبح للروسيا حق التدخل فى شئون الامارتين . وفى معاهدة بخارست سنة ١٨١٢ استحوذت على القسم الشرقى من ملدافيا المعروف « بسارابيا » ولما قامت ثورة اليونان سنة ١٨٢١ عاد الحكام رومانيين بفضل مساعى روسيا . وكان حاكم كل قسم يسمى هبودار « مولى » ويعتمد فى كثير من أموره على مساعدة روسيا . وفى معاهدة أدرنه سنة ١٨٢٩ أعلنت الروسيا حمايتها على الولايتين فاصبحتا فى عداد الأملاك الروسية ؛ وأفادت الروسيا كثيراً من ذلك بأن صارت المسيطرة على الملاحة فى نهر الطونة مما حرك الدول الأوربية وجعلها تقهر الروسيا فى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ على النزول عن الامارتين فصارتا مستقلتين فى أمورهما الداخلية تحت سيادة الدولة العثمانية ، ومعهما بسارابيا

وكان أهل رومانيا يتطلعون الى توحدهما وتكوين مملكة منهما وكانت انجلترة (١) وفرنسا تودان اتحادهما حتى تقويا فتدعوهما الرغبة فى المحافظة على كيانهما الى الوقوف فى وجه روسيا ومنعها من اختراق أرضها للوصول الى تركيا . ولكن السلطان عارض هذه الفكره خوفا من انتقاضهما عليه ، وعارضت النمسا خشية من وجود دولة قوية على حدودها ، ولكن انتهى الأمر بموافقة لجنة أوربية كونت للنظر فى أمر الولايتين

---

(١) فى الحق ان انجلترة كانت ترغب قبلا فى بقائهما منفصلتين لحفظ سلامة الدولة العثمانية لتقوى على صد الروسيا

بأن أقرت الدول أن تختار كل ولاية أميرها بنفسها سنة ١٨٥٨ ، ولكن الرومانيين من أهل الولايتين كانوا متحدين دينا ولغة وجنسية وتاريخاً فلم يتحولوا عن عزمهم ، وهو وجوب اتحادهما ، واختاروا حاكما واحداً هو « الاسكندر كوزا » فلم تجد الدول بداً من الموافقة.

تولى كوزا العرش بلقب «الاسكندر الأول » أمير رومانيا ، واعترف له السلطان بالملك سنة ١٨٦١ مع بقاء الجزية وحق الموافقة على الأمر بعد انتخابه ، وبذا توحدت الحكومتان وصار لهما مجلس نيابي واحد وعاصمة واحدة « بخارست » وسميت الامارة الجديدة « رومانيا »

بقى كوزا على العرش سبع سنوات (١٨٥٩ ـ ١٨٦٦) وقد بدأ حكمه باصلاحات هامة أفادت الأمة ، منها الغاء نظام الاقطاع ، والسماح للفلاحين بشراء ما كانوا يزرعونه من الارض باقساط خفيفة . عند ذلك هاج الشرفاء ورجال الدين لفقد حقوقهم الأقطاعية ، وأرادوا الانتقام ، فطردوا كوزا سنة ١٨٦٦ وانتخبوا أميراً كاثوليكياً من أسرة (هوهنزلرن) فحكم باسم « شارل الأول » وقد أشار عليه بسمارك بقبول هذا التاج . سار هذا الحاكم الجديد على خطة أسرته فألف جيشاً قويا ظهر أمره باشتراكه فى الحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٧ فكان ذلك سبباً فى نيل رومانيا استقلالها النهائى فى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م. وبقيت امارة الى عام ١٨٨١ حين أعلن أميرها نفسه ملكا ، وبقى يحكم الى سنة ١٩١٤ ، وكان فى هذه الأثناء يسعى لمد سلطانه على الرومانيين المقيمين فى ترنسلوانيا ، ولكن ذلك لم يتحقق إلا بدخول رومانيا الحرب العالمية الاخيرة سنة ١٩١٧ فكسبت بذلك بسارابيا من الروسيا وترنسلوانيا من النمسا .

٢ — نشأة مملكة الصرب

دخلت الصرب فى حكم العثمانيين بعد موقعة « قوصوه » سنة ١٣٨٩ ولكنها بقيت تترقب الفرص لاستعادة استقلالها بالقوة ، فقامت بثورات كثيرة أهمها ثورة سنة ١٨٠٤ م . بسبب سوء تصرف الانكشارية فى بلادهم ، فقام فلاح يدعى « قره جورج » فاعتصم بالجبال وانضم اليه عدد كبير فوجد نفسه على رأس قوة حربية عظيمة ، وقد ساعدته الظروف إذ ذاك لأن السلطان كان حانقا على الانكشارية المقيمين بالصرب لتوالى عصيانهم ، ولمساعدتهم حاكم « ودين » على الخروج على الدولة ، فأمر السلطان حاكم البوسنه أن ينضم الى الصربيين فى الفتك بالانكشارية فتقدم الحاكم ، وقره جورج ، وقضيا عليهم ، وبذا تخلصت الصرب من استبداد هؤلاء الجنود العاتين .

بدأ أهل الصرب بعد ذلك يعملون على طرح النير العثمانى مرة واحدة فطلبوا الى الحكومة العثمانية أن تخرج حامياتها من بلادهم ، فاضطر السلطان الى أن يسير عليهم جيشاً لاخضاعهم فلم يمكن ذلك لاعتصام الثوار بالجبال ، ولاجادتهم فن الحرب ؛ وفى آخر الأمر اضطر السلطان أن يخلى الحصون الصربية ماعدا حصن بلغراد ، لاشتغاله بمحاربة الروس ، وهزيمة جنوده عند « ميشار » عام ١٨٠٦ م . ومنح الصرب حكومة ذاتية (استقلالا داخليا)

ولما تصالح السلطان مع الروسيا بموجب معاهدة بخارست ، واشتبكت جنود القيصر بمقاومة نابليون ، وجد السلطان الفرصة سانحة لاستعادة نفوذه فى الصرب (١٨١٢) ولم يستطع الصربيون المقاومة ، وهرب قره جورج الى النمسا ، وهنا ظهر سياسى هو (ميلوش ابرينوفتش) فتولى زعامة قومه وأخذ يداهن السلطان ويتملقه ، ويظهر سخطه على الصربيين الثائرين فجعله السلطان جابياً للضرائب ، فازداد نفوذه وزادت محبته عند مواطنيه ، وأخيراً جعله السلطان فى عام ١٨٣٠ أميراً وراثياً ، ومنح البلاد استقلالها ، فكان ميلوش بهذا ، المحرر الثانى للصرب ، ولكنه اشتط فى حكمه

فعمل الناس على التخلص منه، وثلوا عرشه عام ١٨٣٩م. ولكن بقى الملك فى أسرته ثلاث سنوات

و بعد ذلك اختار الصربيون أميرا لهم هو اسكندر قره جورج وتش ابن قره جورج الاول (الذى قتله ميلوش لتخوفه منه) فحكم من (١٨٤٢ ـ ١٨٥٨ م .) ثم عزل لحياده فى حرب القرم ، وأعيد ميلوش فحكم البلاد الى سنة ١٨٦٠

وفى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ م. منحت الصرب استقلالها غير منقوص . وفى عام ١٨٨٢ م . اعلنت الملكية فيها تحت حكم « ميلان الاول » غير ان ميلان هذا كان متعسفاً فلم يطق الأهالى حكمه ، وأرغموه على النزول عن العرش عام ١٨٨٩ فخلفه « اسكندر الأول » ابنه فاستبد بالناس ، ولم يحترم الحكم النيابى فقتل هو وزوجه « دراجا » عام ١٩٠٣ م . ولما لم يكن له عقب انتهى حكم بيته ، فعاد الامر الى أسرة قره جورج ، وصار بطرس الأول ملكا ، وعمل اصلاحات كثيرة فى نظام الحكومة والتعليم ، وغير سياسة التودد الى النمسا التى كان أسلافه يتبعونها . وقد أخذت الصرب من ذلك الحين ترقى وتعمل على جمع كلمة السلاف فى البلقان والنمسا ، فحداها ذلك الى الاشتراك فى الحرب العالمية التى انتهت بقيام مملكة « يوجوسلافيا »

٣- نشأة مملكة بلغاريا

دخلت بلغاريا فى حوزة الترك فى القرن الرابع عشر و بقيت خاضعة لهم نحو خمسة قرون ، تمتع فيها أهلها بهدوء وسلام ، وكانت حالة فلاحيها خيرا من حالة فلاحى روسيا وغيرهم ، ومع ذلك كانت تؤلف بالبلاد من حين الى آخر جماعات سرية تعمل على بث الكراهية فى نفوس الناس للترك ، فكانت جهودها غير منتجة لأن البلغاريين فى جملتهم كانوا موالين للدولة ، غير ناقمين عليها كما كان إخوانهم فى البلدان الاخرى .

أخذت تركيا على عاتقها فى معاهدة باريس أن تقوم باصلاحات واسعة النطاق فى البلدان الخاضعة لها ، ولكن كثرة مشاغبة روسيا لها لم تمكنها من القيام بهذه الاصلاحات ، فان الروسيا كانت توقد نار الفتنة ضدها كلما سنحت لها الفرصة ، حتى

اندلع لهيب الثورة فى البوسنه والهرسك عام ١٨٧٥ م . وهنالك اشترك فيها البلغار والصرب وسكان الجبل الأسود ، وعاضدوا الثوار ، فقامت تركيا بتأديب البلغاريين وأخمدت ثورتهم بسرعة ، غير ان الجنود التركيـة تمادت فى أفعالها وأهرقت دماء بلغارية كثيرة مما أدى الى تدخل الدول الأوربية فى الأمر وبخاصة النمسا التى طلبت الى الباب العالى أن يقوم بالاصلاحات التى اقترحها وزير النمسا «اندراسى» سنة ١٨٧٥ حتى يستقر النظام ، وأخذ غلادستون يصور الفظائع البلغارية بأقبح صورة ؛ وتهييج القيصر وصمم على محاربة الترك

أرادت تركيا أن تتلافى الأمر ولـكن أعجلتها الحرب الروسية التى هزمت فيها هزيمة شنعاء والتى انتهت بمعاهدة « سان استفانو » فى مارس سنة ١٨٧٨م وبموجبها رضى الترك أن تكون بلغاريا ولاية قائمة بنفسها تمتد حدودها من نهر الطونة الى بحر الأرخبيل ، ومن البحر الأسود الى البانيا بما فى ذلك ولاية الروملى الشرقية و بعض جهات كبيرة من مقدونيا

عارضت اليونان والصرب فى ذلك وعارضت دول أوربة كذلك مما عطل قيام الدولة البلغارية بموجب معاهـدة برلين ، وكانت النتيجة أن بلغاريا انـكمشت حتى صارت عبارة عن الاقليم الواقع فى شمالى جبال البلقان، ومنحت استقلالا داخليا بشرط خضوعها اسمياً للسلطان ، ودفع جزية ، واختار الاهالى أميرا لهم « الاسكندر أمير بتنبرج » الالمانى

تدخلت الروسيا فى أمر بلغاريا بحجة أنها تريد مؤازرتها وترقيتها ، ولـكن عمالها عسفوا البلغاريين وأسخطوهم فانقلبوا عداة للروسـيا ، وانضم اليهم أميرهم ، وآزرهم أهل الروملى البلغاريو الأصل وأعلنوا ميلهم فى الانضمام الى بلغاريا ، وبالفعل ضمهم الاسكندر اليه عام ١٨٨٥ م . فـكان ذلك اعتداء صارخا على شروط معاهدة برلين ، ومع هذا لم تفعل الدول الأوربية شيئا غير الاحتجاج على هذا الضم .

الحرب بين بلغاريا والصرب : لم ترض الصرب على هـذا الضم الذى سع نفوذ بلغاريا ويقويها فشنت الغارة عليهـا ، فانتصر البلغاريون وزحفوا على

عاصمة الصرب ، فتدخلت النمسا فى الأمر ووقفت الحرب ، وعقدت معاهدة بخارست سنة ١٨٨٦ ومؤداها أن تكون أملاك المتحاربين كما كانت عليه من قبل ، وكان هذا النصر ذا أثر كبير :

(١) فى نفوس البلغار إذ أشعرهم بقوتهم

(٢) وفى قيصر الروسيا إذحنق (الأسكندر الثالث) على بلغاريا لاستقلالها عنه وأخذ ينصب الشراك لملك البلغار . وقد تم له ذلك بعد محاولات ، فاختطف الأمير الاسكندر الثالث من غرفة نومه تحت جنح الظلام ، وحمل الى الروسيا فبقى فيها أسيرا مدة ، ثم سمح له بالاقامة فى النمسا ، ولكنه لم يلبث أن عاد الى بلغاريا لتعلق شعبه به . فعاد الى عرشه ، ولكنه كان لا يزال خائفا من الروسيا فاعتزل الحكم فى عام ١٨٨٦ م .

(٣) و بعد اعتزاله أصرت الروسيا على التدخل فى الأمر حتى لا يختار الشعب أميرا له ، ومع هذا لم يهتم البلغاريون بغضب الروسيا ، واختاروا عليهم « فرديننده » أمير ساكس كوبرج حفيد لويس فيليب فجلس على العرش عام ١٨٨٧

كان (فرديننده) هذا سياسيا محنكا فاستطاع بمهارته ، و ساعدة وزيره العظيم « ستمبلوف » الذى لقب « ببسمارك البلقان » أن يعلى مركز مملكته فى أعين دول أوربة ، وكانت سياسته هو ووزيره تدور على محور « بلغاريا للبلغاريين » ولكن فرديننده حسد هذا الوزير المخلص على مكانته من نفوس الناس ، وعزله عام ١٨٩٤ م . وسار فى حكمه بهدوء فاستتب النظام ورضيت الدول عن سياسته الهادئة ، واعترفت به أميرا عام ١٨٩٦ م

ولما قامت الثورة فى تركيا (يوليه سنة ١٩٠٨) انتهزت بلغاريا هذه الفرصة وأعلنت استقلالها عن الترك ، وأصبح أميرها من ذلك العهد (ملكا) . وقد خطت بلغاريا خطوات واسعة نحو التقدم المادى والسياسى ، واستطاعت باتحادها مع باقى دول البلقان أن تكون حلفا بلقانياً أشهر حرب البلقان على الدولة العثمانية وخرجت منها

منها ظافرة ، ولولا التنازع على اقتسام الغنائم والأسلاب التى قام بين الحلفاء لأصبحت بلغاريا سيدة بلاد البلقان .

ثم انضمت الى المانيا وحلفائها فى الحرب العالمية الأخيرة وصادفها الحظ العاثر وخرجت منها مغلوبة على أمرها . وهى الآن تجاهد فى سبيل القيام من هذه الكبوة .

الفصل الرابع

حرب القرم (١٨٥٣ ـ ١٨٥٦ م.)

(١) الروسيا منذ عهد الثورة الفرنسية

تمهيد : تولى عرش روسيا القيصر الأسكندر الاول (١٨٠١ ـ ١٨٢٥) فعمل جهده فى أول الأمر على ترقية روسيا وقام بأصلاحات مفيدة، ووعد شعبه الاشتراك فى حكم البلاد بموجب دستور يمنحه لهم. ولكنه لم يحقق وعده لقيام شعبه بمؤامرات عدة، ولكثرة الثورات فى أوربة، بل انقلب استبداديا عنيفا، وصرف باقى حياته فى تشجيع الحكم المطلق فى اسبانيا وإيطاليا والمانيا، وساعد حكوماتها على اخماد أية حركة يبغى الناس من ورائها حريتهم السياسية

الحرب الروسية التركية (١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ م.) ولما مات خلفه أخوه نقولا الأول فسار على خطة سلفه الاستبدادية. وحاول ان يقضى على الشعور بالحرية فى بلاده. وفى عام ١٨٢٨ انتهز فرصة اشتغال السلطان بثورة اليونان[1] وأعلن عليه الحرب ودخلت جنوده بلاد البلقان بدون مقاومة تذكر، ووالى زحفه نحو القسطنطينية فاضطر السلطان الى طلب الصلح، وانتهت الحرب بمعاهدة أدرنه (١٨٢٩) التى تقدم ذكرها، وبعدها صار للروسيا مقام عظيم فى البلقان، وعملت على توسيع نفوذها فيها فأحيت بذلك «المسألة الشرقية» من جديد مما حدا دول أوربة الى خوض غمار حرب عامة مروعة أعادت ذكرى حروب نابليون، تلك هى حرب القرم

«١» هى ثورة اليونان فى سبيل الاستقلال

(٢) شبه جزيرة القرم

كانت شبه جزيرة القرم تابعة لتركيا منذ عام ١٤٧٥ م . ولما جلست كترين الثانية على عرش الروسيا (١٧٦٢ ـ ١٧٩٦) عملت كل مافى استطاعتها لبسط نفوذها فى كل الجهات المحيطة بها فغزت شبه جزيرة القرم وأخضعتها عام ١٧٨٣ وضمتها الى املاك الروسيا فصار لها بذلك أملاك على شواطىء البحر الأسود،خلقت فيما بعد مشاكل عدة فى أوربة

الحرب واسبابها :وضع القيصر نقولا مسألةالاستيلاء على القسطنطينية نصب عينيه بعدمعاهدةأدرنه.وحاول مرارا أن يستدرج انجلتره لعقدمحالفة بعها بخصوص ميراث أملاك « الرجل المريض [١]» على أن يعطى انجلترةمصر وكريت،وتكون أملاك تركيا فى أوربةتحت حماية القيصر. ولكن الحكومات الانجليزية المتعاقبة رفضت اقتراحات القيصر وبخاصة فى عهد (بلمرستون) الذى كان عدوا لدودا لروسيا ، والذى صمم على ابقاء الامبراطورية العثمانية قائمة مكانها مهما كلفه ذلك

لكن الحوادث التى تلت أعجلت وقوع الحرب فأنه فى عام ١٨٥٠ م . وقع نزاع في بيت المقدس بين النصارى الأغريق واللاتين بخصوص الأمكنة المقدسة فتدخل نقولا فى الأمر وطلب الى الحكومة العثمانيةأن تثبت حقه فى حماية المسيحيين الأغريق المقيمين في أملاك الدولة العلية ، فرفض طلبه ، ولذلك أخذ الأهبة للحرب ، وهناك طلب السلطان المساعدةمن دول أوربة فلبى طلبه فرنسا[٢] وانجلتره وانضمت اليها سردانية بعد

---

(١) كان القيصر نقولا أول من سمى تركيا بالرجل المريض المشرف على الموت وذلك انه فى حديث له مع سفير انجلترة فى روسيا (ح.ه سيمور)قال له انأمامنا رجل مريض على حافة القبر وستكون مصيبة علينا اذا قضى نحبه قبل أن نعد العدة ونرتب كيفية اقتسام ميراثه

(٢) كانت فرنسا اخذت على عاتقها منذ القرن الثامن عشر حماية المسيحيين اللاتين. ولماوقع النزاع الأخير أخذت الروسيا تشجع الاغريق، وفرنسا تساعد اللاتين لشدة رغبة نابليون الثالث فى كسب عطف الكاثوليك فى فرنسا وأوربه مماأحرج مركز الباب العالى ، وكان يمكن تلافى النزاع لولا رغبة قيصر الروسيافى محاربة تركيا

أرسل القيصر فى عام ١٨٥٣ البرنس منشيكوف الى القسطنطينية للنظر فى أمر النزاع بين أصحاب المذهبين المسيحيين ، وليحصل للروسيا على حق حماية النصارى الأرثوذكس التابعين لتركيا[1]. لكن لورد (ستراتفورد درد كليف) الذى كان يحمل بين جنبيه عداء شديداً نحو روسيا نصح للسلطان أن يرفض هذه المطالب الجريئة التى قدمها منشيكوف بجفاء وفظاظة .

ولما رأى السلطان أن بلمرستون يشد أزره ، وأن نابليون الثالث يقوى ظهره رفض هذه المطالب رفضا باتا ، فانسحب السفير الروسى من تركيا ، وأخذت القيصر العزة ، وأمر جنوده بالزحف على ولايات الطونه واحتلالها .

مذكرة فينا — اغسطس ١٨٥٣ : — فهاج هذا العمل الدول جميعا ، وانعقد من أجل ذلك مؤتمر فى فينا وأصدر (مذكرة فينا) التى كانت ترمي الى منع الروسيا من الاعتداء ، فوعد القيصر أن يعمل بموجبها ، ولكن السلطان فهم منها انها تركت الباب مفتوحا لتدخل الروسيا فى المستقبل ، واعتمد على هياج الخواطر فى انجلتره وفى فرنسا ضد الروسيا، ورفض قبول هذه المذكره ، وأعلن الحرب بعد ذلك بشهرين ، فعملت فرنسا وانجلتره معا على المدافعة عن تركيا ، وأخيرا أعلنتا الحرب فى مارس ١٨٥٤ م . فلم يتهيب القيصر قوتها لعدم مشاركة الدول الأخرى لها ، ولكن النمسا أعلنت رغبتها فى مساعدة تركيا فى حصارها حصن سلستريا فاضطرت الروسيا عندئذ الى اخلاء الولايات التى احتلتها (سبتمبر ١٨٥٤) فطمع الحلفاء فى أن يُبرموا امراً نهائياً فى المسألة الشرقية ، وعزموا على ضرب الروسيا ضربة قاضية . ورأوا أن خير وسيلة لذلك هو تدمير (سواستبول) والقضاء على القوة البحرية الروسية فى البحر الأسود ، وحماية تركيا

احتلال الحلفاء القرم سبتمبر ١٨٥٤ . وعلى هذا أمر الحلفاء جنودهم بالنزول فى القرم ، والاستيلاء على سواستبول فنزلوا فى شبه الجزيرة فى ١٤ سبتمبر

---

(١) اذا كان السلطان منح الروسيا هذا الحق فأنه يكون قد حرم نفسه من السيادة على أكثر من نصف رعايا دولته فى أوربة

فقابلهم القائد الروسى منشيكوف ، ووقف بينهم و بين سواستبول

موقعة ألما — وفى ٣٠ من سبتمبر دارت رحى معركة ألما وفيها دحر الحلفاء الروس فارتد منشيكوف الى سواستبول ، فجدّ الحلفاء فى أثره وساروا حول سواستبول الى (بالـكلافا) ليحاصروا القلعة ، ولـكن منشيكوف كان قد أوقف أسطوله عند مدخل الميناء وأخلى المدينة . وكان المنتظر ان يحرز الحلفاء نصرا مؤزرا بفضل خطة اللورد راجلان ولـكن المهندس الروسى (تدلبن) قد قوى الدفاع ، وأمد منشيكوف حامية المدينة بقوى كبيرة

موقعة بالـكلافا ٢٥ من اكتوبر . وتقدم منشيكوف لمقابلة الأعداء ، وهنالك ابلى جنود انجلتره وفرنسا بلاء حسناً فاستطاع ثلثمائة خيال أن يروّعوا الوفاً كثيرة من الروس فى أول الامر ، ولـكن فى الهجوم الثانى غلط أحد القواد وأمر ستمائة (١) جندى من الحلفاء بالتقدم حيث كان الموت ينتظرهم فقابلوه بصدر رحب وهم يسعون فى احراز نصر ساء تدبيره ، فأمطرهم الروس وابلا من الرصاص، ولـكن دم من قتل منهم لم يهدر ، لان شجاعتهم وثباتهم أوقع الرعب فى قلوب الروس ، وظهر اثر ذلك فى :

معركة انكرمان : ٥ نوفمبر — وفيها استطاع ثمانية آلاف من الانجليز أن يسدوا الطريق على أربعين الفاً من الروس و يضيقوا عليهم حتى وصل المدد الفرنسى ، ثم دحروا هذا الجيش العظيم وردوه على اعقابه

خسائر جيوش الحلفاء : كان على الحلفاء بعد ذلك أن يحاصروا المدينة وقد حل الشتاء الروسى ببرده القارس وثلوجه الـكثيرة ، وفعل فعله فى جنود الحلفاء المرابطين فى الخنادق ، والمقيمين على الحصار ، يضاف الى ذلك سوء الملبس ورداءة الطعام لأن الحلفاء لم يستعدوا لفصل الشتاء فى الروسيا الاستعداد اللازم، ولما تداركوا الأمر أخيراً ، وجاءت سفنهم تحمل الميرة دمرت العواصف كثيراً منها ، وافرغت السفن

---

(١) لاتزال ذكراهم باقية فى قصص الأ نجليز وقد قصد (اللورد تنيسون) قصيدا تمجيدا لذكراهم، يستظهره الذين يتعلمون الانجليزية

الاخرى حمولتها على البر فلم يمكن نقلها الي الداخل لصعوبة الطرق . مرض الجنود وفتك بهم الجوع والبرد ، ولما وصل خبر هذا الى انجلتره ثار ثائر الناس وسقطت وزارة (أبردين) التى كانت مسئولة عن الحرب وتلتها وزارة (بامرستون) فى فبراير سنة ١٨٥٥ فأخذت تعمل على تدارك الأمر وأرسلت الميرة والذخيرة والملابس على جناح السرعة ، وقامت الفتاة « فلورنس نايتنجيل » بتدبير المستشفيات ومواساة الجرحى خير قيام ، مما أكسبها الفخر الأبدى

وفى ربيع عام ١٨٥٥ وقعت حوادث عدة هامة منها :

(١) **دخول سردانية الحرب** : كانت سردانيه تُوادّ الدول الغربية لخوفها من النمسا ، وقد رأى كافور أن يستفيد من دخوله هذا الحرب فدخلها وأرسل الى القرم ١٥ الف جندى (١) .

(٢) **موت القيصر نقولا فى مارس سنة ١٨٥٥** : ومات القيصر نقولا فى الفصل نفسه كمدا على فشله ، وخلفه الاسكندر الثانى فبدأ الأمل فى الصلح .

(٣) **فشل مفاوضات الصلح** : عقد فى فينا اجتماع للتشاور فى الصلح ولكن ذهب كل ترتيب فى سبيله ؛ واستمرت الحرب وقام الحلفاء بهجوم بعد هجوم على غير جدوى ، ولكنهم كانوا يقتربون من المدينة تدريجاً ، وأصبح عدد الجيش الروسى الذى يحميها ٢٠٠ الف

وفى ١٦ من اغسطس هاجم هذا الجيش اللجب الحلفاء فردوه ، وبعد ذلك بثلاثه أسابيع قام الحلفاء بهجوم عظيم فتقدم الفرنسيون بثلاثين الفا لمهاجمة حصن (ملاكوف) الذى يعد مفتاح الدفاع ، واستعد الانجليز لمهاجمة (ريدان) ولكن مهاجمتها كانت قليلة الجدوى . وقد نجح الفرنسيون فى اسقاط ملاكوف ، وبعد ذلك بشهر كان الروس قد فقدوا ١٨٠٠٠ جندى ، واشتد الحلفاء فى الحصار حتى أسقطوا سواستبول وبذلك انتهت الحرب وعقدت معاهدة باريس

معاهدة باريس مارس سنة ١٨٥٦ م :ـ اتفقت النمسا مع الحلفاء على أن ترسل

---

(١) قد تكلمنا عن اسباب دخول سرادنية الحرب فى الكلام على الوحدة الايطالية

بلاغا نهائياً للروسيا ، فلم تستطع رفضه ، واتفق على عقد معاهدة باريس التى أهم شروطها (١) أن تبقى الدولة العلية قائمة لا يمسها سوء (٢) ان تنزل الروسيا عن طلباتها فى حماية ولايات الطونة (٣) حياد البحر الأسود ونهر الطونة (٤) قفل البسفور والدردنيل فى وجه المراكب الحربية لأية أمة ماعدا تركيا (٥) وفى نظير ذلك تعهد السلطان بالقيام باصلاحات كبيرة فى بلاده (٦) ووعد بمعاملة رعاياه المسيحيين بالحسنى

نتائج حرب القرم : لو نفذت هذه الشروط كلها لوقف تقدم الروس فى جنوب شرقى أوربة ، ولما ضاع هباء الثمانون مليونا من الجنيهات التى انفقتها انجلترة . ولكن تركيا لم تستطع الانتفاع بالمعاهدة التى توقفت حياتها عليها ، وذلك أنها لم تقم بتنفيذ الاصلاحات المتفق عليها بأمانة ، ولذلك لم يتصرم عشرون عاما حتى بدأت القلاقل فى شبه جزيرة البلقان فمحت كل أثر للحرب ، وفتحت باب المسألة من جديد ، فكأن السياسة التى أملت القيام بحرب القرم كانت خاطئة . ولكنها على كل حال علمت الروسيا أن مطامعها فى أن تكون الوارث الوحيد لأملاك الدولة العلية لايمكن أن يقرها عليها أحد . وفى الواقع كانت أعمالها سبباً فى استقلال بعض ولايات البلقان وانسلاخها عن تركيا ، ولم تتقاسم الدول أملاكها ؛ غير أن بعض الدول الكبرى ظفرت ببعض الأملاك فى تقسيم عام ١٨٧٨

الفصل الخامس

الحرب بين الروسيا وتركيا (١٨٧٧ ـ ١٨٧٨) ومعاهدة برلين

تغيرت السياسة الشرقية فى نظر الدول العظيمة منذ استقلال دول البلقان لأن هذه الدول لم تعد تطمع فى ميراث تركيا ، ولأن لروسيا بعد حرب القرم صارت تقنع بالربح القليل

أسباب الحرب : أما الحوادث التى أدت الى تجزئة تركيا عام ١٨٧٨ فتتلخص فى أنه بعد حرب القرم بعشرين عاما نشأت فكرة عند سلاف الشرق عامة ، والخاضعين منهم لتركيا خاصة ، ترمى الى توحيد قوميتهم وحكوماتهم ، لأنهم ظلوا خاضعين للأجانب زمانا طويلا ؛ وكان المحرك لهذه الفكرة الروسيا وأذنابها فى البلقان لتوقع الروسيا فوائد كثيرة من ورائها . ومحاولتها التخلص من الشروط الثقيلة التى فرضت عليها فى معاهدة باريس

الهياج فى البلقان : كانت الولايات السلافية المدمجة فى البلقان هى البوسنة وهيرزجوفنيا ، والهرسك والجبل الأسود ، والصرب ، و بلغاريا ، وجميعهم كان يتمتع بشيء من الاستقلال منحتهم إياه تركيا فى ظروف قد مر بك ذكرها ، ومع هذ جدت أسباب تدعو لتذمرهم من الباب العالى وهى رغبتهم فى نيل الاستقلال (١)

بدأ التذمر فى هرزجوفنيا فى صيف عام ١٨٧٥ وقام الثائرون يطلبون اصلاحا معينا يضمن لهم الأمن وقيام حكومة عادلة ؛ فاضطر السلطان إزاء ذلك أن يتعهد بعمل اصلاح فى الامبراطورية العثمانية كلها ولكن لما لم ينفذ ما وعد به انتشر التذمر والهياج فى الصرب و بلغاريا والجبل الاسود وقامت الثورة

مذكرة اندراسى ــ فبراير ١٨٧٦ م . وعند ذلك تدخلت الدول للفصل فى الموضوع ، وكان أول ماحدث أن الكونت اندراسى وزير النمسا نشر مذكرة قصد

---

(١) لم تدخل ملدافيا (البغدان) وولاشيا (الافلاق) ضمن هذه الولايات لانهما اتحدتا منذ حرب القرم واختارتا اميرا واحدا يتولى أمرها معا

بها اعادة النظام الى نصابه ووافقت عليها الدول الخمس العظيمة ، وفيها طلب اصلاحا دينيا وماليا وقضائيا ودستوريا ، فلم يقبل الثوار هذه التسوية ، وقبل السلطان بعض ما جاء فى المذكرة ولكنه لم ينفذه تماما ، فاشتدت الازمة وحاق الخطر بالدولة لأن كل ولاية بلقانية جردت السلاح وبدأت الحرب على الحدود فارتكبت الفظائع المروعة من الطرفين ؛ ووقع فريسة العاصفة قنصلا فرنسا وألمانيا فى سلانيك اذ اغتالهما تركى مسلم فى ٧ من مايو

مذكرة برلين – مايو ١٨٧٦ : – فاجتمع قيصر الروسيا وعاهلا النمسا وألمانيا وأصدروا مذكرة شديدة اللهجة ، وأرادوا توجيهها الى الباب العالى ، ولكن الحكومة الأنجليزية لم توافق على فقرة منهـا تشتمل على تهديد مؤداه « أن تتخذ اجراءات أشد اذا لم تعمل الدولة العلية على تنفيذ ما جاء فى المذكرة بعد شهرين » . فلم تفد المذكرة أية فائدة ؛ بل لما رأى السلطان أن الاتفاق غير تام بين هذه الدول لم يخش بأسها وعمل على توسعة مدى الخلاف ؛ وقد وقعت فى هذا العام نفسه حوادث مدهشة فى القسطنطينية فان السلطان عبد العزيز الضعيف قد عزل وخلفه مراد الخامس فلم يسر على سياسة محمودة ، فخلع هو الآخر بعد ثلاثة أشهر ، وخلفه السلطان عبد الحميد الثانى الذى نجح فى إثارة المنافسة بين الدول الأوربية ، مما جعلها لا تجتمع على دولته

انتهز المسيحيون فرصه هذه الحوادث وأعلنت الصرب الحرب على الدولة ، وحذا حذوها الجبل الأسود ثم بلغاريا ، فحاربهم السلطان وهزم الصرب ، وعاقب البلغار عقابا صارما كانت نتائجه سيئة



غلادستون

الفظائع البلغارية من مايو الى يونية :

كان عقاب البلغار على انضمامهم للثوار صارما لأن الباب العالى سمح لجنوده بارتكاب الفظائع المروعة فعبث الجنود بالفلاحين أيما عبث ، فكافأتهم الدولة على أعمالهم الوحشية ، فثار الرأى العام فى انجلترة ؛ وأخذ غلادستون يغالى فى وصف هذه الاعمال ، وبدأ الانجليز يملون الاستمرار فى العطف على تركيا

وفى الوقت عينه كانت الصرب والجبل الأسود قد أعلنتا الحرب ، وانضم اليهما عدد عظيم من الجنود الروسية بايعاز من القيصر الاسكندر الثانى ، ولكن جنود السلطان انتصرت فى كل المواقع . ومع هذا أعلن القيصر انه اذا لم تتدخل أوربة فى الأمر فان الروسيا تأخذ على عاتقها وحدها أمر الفصل فى الموضوع بشن الغارة على الدولة ، اذا هى لم تسمح للثوار بهدنة شهرين . رضيت الدولة بالهدنة ، واقترحت الحكومة الانجليزية عقد مؤتمر فى القسطنطينية فى ديسمبر سنة ١٨٧٦ حضره القيصر ولكن لم تكن له نتيجة لأن تركيا لم تقبل أن تملى عليها شروط ما ، ووعدت بعمل دستور لكل ولاياتها .

وعهد السلطان بوضع هذا الدستور الى الصدر الأعظم « مدحت باشا » ولم يك مدحت يفهم أن السلطان يحتال عن منع الدول من التدخل فى شئونه ، فمضى فى وضع الدستور فغضب عليه السلطان ونفاه ثم قتله بعد ، ولم تجز هذه الحيلة على الدول

القيصر الاسكندر الثانى يعلن الحرب — ابريل ١٨٧٧ . وأرسل القيصر بلاغا نهائيا للدولة فرفضته فأعلن عليها الحرب . و ينقسم مجرى هذا الحرب الى ثلاثة أدوار :

١ . **من ابريل الى يوليه** : وفى هذا الدور أحرز الروس نجاحاً اذ عبر جنودهم الطونة ، واحتلوا بلغاريا ، واستولوا على أهم ممرين يؤديان الى البلقان

٢ . **من يوليه الى ديسمبر** . وفيه قاوم الترك مقاومة ناجحة ، واضطروا الروس الى الخروج من شرقى البلقان واستطاع (عثمان باشا) ان يدافع بشجاعة كبيرة عن (بلفنا) مدة خمسة أشهر . و يصد عنها جنوداً روسية كثيرة العدد ، و بعد ذلك اجبر على التسليم بفضل الخطة التى ترسمها (تدلبن) القائد الروسى والتى كان من شأنها عدم وصول المدد أو الذخيرة الى الجيش التركى ، ومع هذا كانت خسارة الروس فادحة فقد هلك منهم أثناء الحصار (٥٥) الف جندى

٣ . **من ديسمبر الى يناير** : وفيه تقدم الروس مظفرين حتى وقفوا على ابواب (أدرنه) وعند ذلك بدأت المفاوضات فى الصلح

معاهدة سان ستفانو . مارس ١٨٧٨ : فزعت انجلترة لتقدم الروس وأمرت (هرنبى) أمير البحر بالمسير الى الدردنيل ليعلم الروس ان انجلترة عازمة على

وقفهم عند حدهم ، ولكن قد سبق السيف العزل لأن المعاهدة قد أبرمت فى ٣ من مارس على الشروط الآتية:

(١) تعطى رومانيا والصرب والجبل الاسود استقلالا ؛ ويزاد فى مساحتها

(٢) تعطى بلغاريا استقلالا إدارياً وتعترف للسلطان بالسيادة ، ويسمح لها بمد حدودها من البحر الأسود الى بحر ايجه ، يدخل فى ذلك الروملى ومعظم أرض مقدونيا فلا يبقى للترك غير جزء يسير من اراضيها لاوربية

(٣) تستولى الروسيا على باطوم وارزن وقارص .

(٤) ونصّ فى المعاهدة على استرداد الروسيا الجزء الذى نزلت عنه فى بسارابيا بموجب معاهدة باريس سنة ١٨٥٦

نتائج هذه المعاهدة فى الدول : لم ترض الدول من شروط هذه المعاهدة لأنها تركت للروسيا وحدها أمر الفصل فى المسألة الشرقية ، وغضب لها اليونان والصرب لانها قضت على آمالهم ، واستاء الرومانيون اذ لم ينالوا من وراء دخولهم الحرب فى جانب الروسيا شيئاً جديداً . نعم لم ترض الدول وبخاصة انجلترة لتخوفها من استعمال نفوذ روسيا فى شرقى أوربة ، وعزمت على نقض هذه المعاهدة ، وعرض الامر على مؤتمر دولى ، فوافقت النمسا على ذلك ، ولكن الروسيا قاومت هذه الفكرة بحجة انها قامت بالحرب وحدها وان الدول لم تشترك فيها ، ولكن أصرار دزرائيلى (اللورد بيكنزفيلد) أجبر القيصر على الرضاء بطلب انجلترا لانه لم يشأ ان تنضم النمسا الى انجلترة عليه فلا تقوى جنوده المنهوكه على مقاومتهما ، ولان ذكرى حرب القرم لم تزل ماثلة أمام عينها .

مؤتمر برلين ١٨٧٨ م .

انتهى الأمر بموافقة عقد مؤتمر فى برلين ، فَعُدّ ذلك انتصاراً كبيرا لسياسة بيكنزفيلد لان النظر فى معاهدة سان استفانو كان معناه عدم القضاء على تركيا ليقوم على انقاضها الاسد الروسى ، على أن القضاء على تركيا ما كان ليتم قبل أن تقوم هذه

الدولة العثمانية بحروب مروعة يصيب شررها أوربة الشرقية كلها، وتضطر الدول الغربية لخوض غمارها

عقد المؤتمر برياسة بسمارك ودارت فيه المفاوضات شهراً واخيراً أمضيت معاهدة برلين فى يوم ١٣ من يوليه . وكانت شروطها :

(١) الموافقة على استقلال رومانيا والصرب والجبل الأسود

(٢) ارجاع مقدونيا تحت نفوذ تركيا

(٣) جعل بلغاريا الحقيقية إمارة مستقلة استقلالا داخليا مع دفعها الجزية السلطان ، أما الروملى وهو الجزء الجنوبى من بلغاريا فيحكمه والٍ مسيحى يوافق على تعيينه السلطان

(٤) تتولى النمسا ادارة البوسنه والهرسك ، وتسترد الروسيا من رومانيا (بسارابيا) التى أخذت منها فى معاهدة باريس ، نظير اعطائها (دوبروجا) . أما انجلترة فقد تعهدت للترك بأن تحفظ لها ممتلكاتها فى آسيا على أن تنال لنفسها جزيرة قبرس وأعطيت تساليا وابيروس لليونان ، وبهذا كله انتقصت الدولة من أطرافها وخسرت خسارة كبيرة ، ولكن كانت معاهدة برلين خيراً لها من شروط صلح (سان استفانو)

الفصل السادس

حركة الأصـــــلاح فى تركيا

رأت أوربة أثناء القرن التاسع عشر صراعاً عنيفاً بين مبدئى الملـكية المطلقة والديمقراطيــة ، انتهى بفوز الديمقراطية وثل عروش الطغاة ، وقررت الامم بصفة واضحة انها مصدر السلطات دون سواها ، واستمدت الهيئات التنفيذية سلطتها من الشعوب ممثلة فى مجالسها النيابيــة لا من الملوك المستبدين كما كانت الحال فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، و بفضل هذا الانقلاب السياسى العظيم خطت الامم الأوربية خطوات واسعة فى سبيل الرقى الادبى والمادى مما عاد على شعوبها المختلفة بالأرباح الوافرة والرخاء الـكبير . أما الدولة العثمانية فقد ظلت جامدة تزداد ضعفاً ، حتى انحط مقامها بين دول الغرب ، وتحفزت كل منها لاقتناصها وانتقاصها من اطرافها ، والعمل على طردها جملة من أوربة ، وكادت تنجح فى ذلك لولا ان قيض الله لهذه الدولة التاعسة فريقاً من ابنائها تشبع بمبادىء الغرب ، وعرف سر تقدمه ، فشمر عن ساعد الجد واخذ يحارب نفوذ السلاطين المطلق ، و ينادى بالاصلاح ، ويعمل على ازالة الفوارق الجنسية واللغوية والدينية التى فتت فى عضد الدولة واذلتها بين جيرانها . شعر السلطان محمود الثانى بحرج المرقف ، فأصدر مرسوماً فى سنة ١٨٠٨ يعرف (بخط شريف جلخانه) لتنظيم شئون الحـكومة على أسس جديدة تتمشى مع المبادىء الحديثة ، و يعتبر هذا المرسوم مبدأ الاصلاح الحديث فى الدولة لم يثمر هذا المرسوم ثمرته المطلوبة لاشتغال الدولة فى حروبها مع اليونان والروس ، ومع محمد على باشا ، ولـكن حزب الاصلاح ثابر على خطة المطالبة وفاز فى سنة ١٨٣٩ اذ اعلن السلطان عبد المجيد عزمه على تعديل أساليب الحـكم وانفاذ الاصلاح المطلوب ، و بعد ذلك بسبع عشرة سنة صدر مرسوم آخر يعرف (بالخط الهمايونى) معلناً المساواة بين جميع طبقات الامة .

حزب تركيا الفتاة والسلطان عبد الحميد . كانت هذه المراسيم علاجاً غير ناجع ، ولذلك انتهز حزب الاصلاح الذى اطلق عليه اسم (حزب تركيا الفتاة)

فرصة وقوع الاضطراب الداخلى الذى حدث فى القسطنطينية سنة ١٨٧٦ وانتهى بخلع مراد الخامس ، وجلوس عبد الحميد الثانى على عرش الدولة، وتقدم رئيسه مدحت باشا بالمطالب ففاز بتقرير الحكم النيابى فى البلاد، وأمر السلطان مدحت بوضع قواعد الدستور ، كما مر ، وأعلن للبلاد ، وتأسس مجلس نيابى يسهر على مصالح الامة .

لم يكن السلطان عبد الحميد جاداً فى عزمه ، مخلصاً فى نواياه الدستورية، إذ كان متشبعاً بالآراء المطلقة ، فأخذ يكيد للدستور وللقائمين بتنفيذه ، وترقب الفرصة للقضاء عليه ، والرجوع الى العهد المطلق ، وقد سنحت له تلك الفرصة عند ما أعلنت الروسيا الحرب على الدولة، وعبرت نهر البروث فى سنة ١٨٧٨ ، فحل البرلمان، ونفى مدحت باشا وشتت شمل انصار الدستور ، وكم افواه حزب تركيا الفتاة، بعد ان شرد من شرد وقتل من افراده من نالتهم يده . وظل يحكم البلاد نحو الثلاثين عاماً بيد المكر والخديعة وبوسائل الارهاب المروعة ، واختار لمساعدته فى ادارة الشئون فئة ظالمة شريرة لا ترقب فى الناس إلاً ولا ذمة، وأحاط نفسه بطائفة من الجواسيس والحاسيب يأتمرون بأمره ، وينفذون له ما أمر به من إرهاق وعسف ، ومن قتل وتشريد ، وقد استطاع ان يحتفظ بمعظم ما بقى للدولة من املاك بعد مؤتمر برلين ، بفضل ما أوتى من حذق ومهارة فى الأمور السياسية . وبفضل الحوادث الجسام التى انتابت أوربة اثناء عصره ، فقد ظهرت ألمانيا وايطاليا فى عالم أوربة السياسى، وتقربت المانيا منه ، ونافست الروسيا انجلترة فى ميدان الاستعمار الاسيوى ، وكانت النمسا وفرنسا مشغولتين بحوادثهما الداخلية أكثر من مشغوليتهما بحوادث دولة بنى عثمان . ومع ذلك لم ينتهز عبد الحميد هذه الظروف الموفقة ، ويصلح من شأن دولته باشراك الشعب فى ادارة حكومتها ، بل كان يقابل الطلبات من دول اوربة بصدر رحب ، حباً بالاحتفاظ بهذه السلطة المطلقة فكان يتبع « سياسة التهديد والاستعطاف ، سياسة الاحتجاج يعقبها الخضوع والاستسلام . » وإن مسلكه مع انجلترة عند ما احتلت مصر سنة ١٨٨٢ م. ومع الروسيا عند ما ضمت الروملى الشرقى الى بلغاريا سنة ١٨٨٥ م . ومع الدول جميعاً عند ما اعلنوا المراقبة المالية على بلاده فى سنة ١٨٨٨ م . والمراقبة الادارية على مقدونية فى سنه ١٩٠٣ لمسلك شائن ، يوضح اساليبه فى الحكم خير إيضاح

جمعية الاتحاد والترقى وثورة يوليه سنة ١٩٠٨

استطاع عبد الحميد أن يشرد أنصار الحكم النيابى ودعاة الاصلاح ، ولكنه لم يستطع انتزاع الرغبة فى الاصلاح من القلوب ، بل إن أعماله أثارت السخط بين جميع الطبقات ، وعرف ذلك دعاة الاصلاح فجمعوا شملهم ، وفى سنة ١٨٩١ اجتمعوا فى مدينة (جنيف) وأسسوا جمعية الاتحاد والترقى . التى دخل فى عضويتها الناقمون والحاقدون على العهد الحميدى ، وكلما أمعن السلطان فى اضطهاد الرعية والاستسلام للدول ، كلما كسبت الجمعية أنصارا ، وفى سنة ١٩٠٧ عقدت الجمعية اجتماعا فى باريس وقررت قلب الحكومة العثمانية ، وأخذت مقدونيا مركزا لتنظيم حركة الانقلاب لبعدها عن العاصمة ، ولاشتداد البؤس بين أهلها ، ولسخط جندها على الحكومة . وفى العام التالى تمكن أفراد الجمعية من بث روح الاستياء بين صفوف الجيش ، حتى كسبوا معظمه. وفى يوليه سنة ١٩٠٨ أعلن نقباء الجمعية أمثال (نيازى بك) و (أنور بك) و (صلاح بك) عزمهم على قلب الحكومة ، وقامت الثورة وأراد السلطان قمع الفتنة ، بالقوة وأمر جيوشه بالزحف على الثوار والقضاء عليهم ، ولكن كانت الفرصة قد فاتت ، وتمكن الثوار من الاستيلاء على (موناستير) و (سلانيك) و (كوسوفا) ولم ير السلطان بدا حينذاك من اعلان الحكم الدستورى ، فقابلته الأمة على اختلاف نزعاتها بمظاهر البهجة والسرور . خاف العالم الغربى عواقب هذا الفوز الذى تم بدون سفك دماء يذكر ولم يمهلوا الحكومة الجديدة حتى تثبت اقدامها ، فأعلنت بلغاريا استقلالها التام ، وقررت النمسا ضم ولايتى (البوسنة والهرسك) اليها ، وانضمت كريت الى اليونان ، فشجع هذا الرجعيين وأرادوا هدم ما أعلنوا ، ولكن الاتحاديين حاربوهم وخلعوا السلطان عبد الحميد ، وأقاموا مكانه أخاه (محمد رشاد الخامس) سلطانا ، فأقسم على احترام الدستور وتثبيت دعائمه . وسارت الحكومة الجديدة بخطوات فسيحة نحو الاصلاح ، ففزعت دول الغرب الطامعة فى البلاد العثمانية من هذا ، وتقدمت ايطاليا فى سبتمبر سنة ١٩١١ وأعلنت الحرب على الدولة ، وانتزعت منها (طرابلس الغرب) ، ولم تستطع الدولة رد هذا العدوان عليها اللهم إلا ببعض أعمال مجيدة قام بها

(أنور بك) بمساعدة شبان العرب والأتراك فى طرابلس ، واعترفت بهذا الخذلان فى معاهدة لوزان سنة ١٩١٢ م . اذ نزلت لايطاليا رسمياً عن طرابلس

الحرب البلقانية الاولى والثانية (١٩١٢ — ١٩١٣) — نظر البلقانيون الى نهضة الأتراك نظرة خوف ووجل ، وخشوا العواقب ، فتناسوا الأحقاد فيما بينهم ، وصمموا على منازلة الاتراك . وبعد أن كونوا فى صيف سـنة ١٩١٢ (الحلف المقدس) أعلنوا الحرب على الدولة التى كانت على غـير استعداد . وقامت دول غربى أوربة وقعـدت لأعلان الحرب ، وخافت على البلقانيين بأس الاتراك فأعلن (المستر أسكويث) رئيس وزراء انجلترة بأن دولته لن تسمح بتغيير خريطة البلقان . قامت الحرب وكانت فى مصلحة الحلفاء وغلب الاتراك على أمرهم وسقطت أدرنة و (يانينا) فى أوائل سنة ١٩١٣ وعند ذلك قرر المؤتمر المنعقد فى لندرة وقف الحرب ، وأجبرت تركيا على النزول عن كل الاراضى غربى خط يمتد من ميديا على البحر الاسود الى انيوس على بحر ايجه .

اختلف الفائزون على اقتسام الغنيمة ، فأعلنت بلغاريا الحرب على حلفائها الصرب واليونان ، ودخلت رومانيا الحرب ضد بلغاريا فغلبت على أمرها ، وانتهزوا الاتراك الفرصة واستردوا بعض ما فقدوه ، وبخاصة مدينة أدرنة . وفى اغسطس سنة ١٩١٣ عقدت معاهدة (بوخارست) فتم بها الصلح ، وخرجت بلاد اليونان أقوى دول البلقان ، اذ وصلت حدودها شمالا الى نهاية إبيروس وشرقا الى تراقيا بمـا فيها (سلانيك) و (قوله) .

تركيا والحرب العظمى — ازدادت الصرب قوة بما اضافته من مكاسب بعد حرب البلقان ، وأصبحت النمسا تخشى خطرها ، وكانت المانيا قد تقربت من تركيا حتى فازت بنشر نفوذها بين طبقات تركيا الفتاة ، وحصلت على امتيازات كثيرة منها امتياز سكة حديد بغداد ، فهددت بذلك مصالح الانجليز فى آسيا ، وعلى ذلك انحازت النمسا والمانيا الى جانب تركيا ضد انجلترة وفرنسا والروسيا ، فلما قامت الحرب العالمية دخلتها تركيا متحالفة مع المانيا والنمسا وبلغاريا .

دخلت تركيا الحرب فى صف المانيا لتثأر لنفسها من انجلترة وفرنسا والروسيا ولتعمل على استرجاع شىء من مجدها المفقود فى أوربة ، ولكن صادفها الحظ العاثر وغلبت المانيا حليفتها الكبرى ، وهزمت تركيا فى ميادين العراق وفلسطين . وفى آخر اكتوبر سنة ١٩١٨ هادنت الحلفاء المنتصرين بعد سقوط بلغاريا . وفى اغسطس سنة ١٩٢٠ أرغمت الحكومة العثمانية على توقيع معاهدة (سيفر) المشئومة اذاعترفت فيها بوضع مصر تحت الحماية الانجليزيه ؛ ورضيت بانتداب الانجليز لادارة شئون العراق وفلسطين . والفرنسيين لادارة شئون سورية ، ووضعت اليونان يدها على جزء من الأناضول فوق ضمها تراقية ، ووضعت الاستانة والبسفور والدردنيل تحت رقابة الحلفاء بعد هدم القلاع والحصون التى عليها . وأما الحجاز فقد اعترفت بالشريف حسين ملكا عليها ، ورضيت تركيا فوق ذلك بتقسيم أراضى الأناضول الى مناطق نفوذ عدة بين دول الحلفاء .

النهضة الاخيرة (١٩٢١ — ١٩٢٣) — زعمت أوربة أنها قد قضت على الدولة التركية قضاء مبرما ؛ ولكن الشعب التركى برهن للعالم أنه لا يزال الشعب الحربى المجيد ، فان رجال الجيش العثمانى المنهزم اجتمعوا فى فيافى الأناضول بعيداً عن الانظار وقرروا النضال عن شرف الوطن . والتف حول الجيش الزعماء من صفوة الوطنيين . وفى مؤتمر وطنى حافل قرروا إقامة حكومة مؤقتة فى أنقرة على رأسها المجاهد العظيم (مصطفى كمال باشا) كما أنهم قرروا عدم تنفيذ شروط معاهدة (سيفر)

ظن الحلفاء فى بادىء الأمر أنها حركة مقضى عليها بالفشل ، وعضدوا اليونان لتقضى عليها ، وقامت اليونان بجيوشها ، والحلفاء من ورائها ، خصوصاً انجلترة . لتنفذ شروط معاهدة (سيفر) ولتؤدب الثائرين من الاتراك . ولكنها قوبلت بنار حامية من مدافع الاتراك وسارت الحرب من البدء الى النهاية ترجح فيها كفة الاتراك . وفى خريف سنة ١٩٢٢ استطاع (مصطفى كمال باشا) ورئيس أركان حربه (عصمت باشا) من تشتيت شمل اليونان . وطردهم من الاناضول واخراجهم من حصنهم الحصين (أزمير) . عند ذلك أضطر الحلفاء الى إعادة النظر فى أمر معاهدة سيفر . وفى معاهدة

لوزان سنة ١٩٢٣ استرد الاتراك كل بلاد الأناضول وتراقية ، وجلا الحلفاء عن الاستانةوتركوا جزءاً كبيراً من الغرامة الحربية الاولى. كما أنهم نزلوا عن كل امتيازاتهم فى تركيا .

لم تقف النهضة عند هذا الحد بل تناولت شكل الحكومة الداخلى ، وأعلن حزب الاصلاح خلع السلطان (وحيد الدين) وبعد ذلك بقليل ألغيت الخلافة من تركيا وأعلن انتهاء حكم بنى عثمان فيها وانقلبت الحكومة الى جمهورية على رأسها محرر تركيا العظيم (مصطفى كمال باشا) وتسير تركيا الآن بخطوات واسعة فى سبيل الاصلاح الداخلى نافضة عنها غبار الماضى المؤلم ، مستقبلة عصرا جديداً زاهراً .

الباب الثامن

انجلتره — الانقلاب الصناعي — أثر الثورة الفرنسية في السياسة الداخلية الانجليزية — الاصلاح النيابي في عام ١٨٣٢ — حركة انصار حق التصويت العام (Chartism) — الاصلاح النيابي في عامي ١٨٦٧ و ١٨٨٤

الانقلاب الصناعي : كانت الاختراعات الميكانيكية التي قام بها (اركريت) و (هرجرنفير) و (كرمبتن) في سنة ١٧٦٤ وما بعدها ، فاتحة عصر جديد في التاريخ الاقتصادي لانجلتره وباقي العالم المتمدين لأنها أحدثت انقلاباً عظيما في الأمور الصناعية والتجارية ، لا يقل في اهميته عن الاثر الذي أحدثه اكتشاف الطريق حول رأس الرجا الصالح ، واكتشاف الدنيا الجديدة . فقد اخترع هرجرنفز آلة استطاع بها العامل ادارة ثمانية مغازل في آن واحد ، بعد ان كان لا يدير الا مغزلا واحداً . ثم اكتشف اركريت كيفية الانتفاع بقوة المياه ، واستخدمها في ادارة جهاز جديد من صنعه . اما كرمبتن فقد وفق الى الجمع بين الطريقتين ، فاخترع في سنة ١٧٧٩ جهازا سماه « البغل » فاجتمعت بواسطة هذه الاختراعات الثلاث سرعة العمل ، الى دقة الصناعة ومتانتها ، وارتقت بها صناعة الغزل ارتقاءاً كبيراً وتأسست المصانع العدة في مقاطعتي لنكشير ويوركشير . ولما تكدست الخيوط المغزولة ، فكر القائمون بأمر الصناعة في وجوب الوصول الى سرعة النسج ، وكدوا قرائحهم فاخترع (كرتريت) آلة للنسيج في سنة ١٧٨٥ فخطت بذلك الصناعة خطوات واسعة وبخاصة عندما استخدم البخار في ادارة تلك الآلات ، ولم ينته القرن الثامن عشر حتى انتشر استعمال البخار في المصانع ، واستخدمت الآلات في المنسوجات القطنية والصوفية والتيلية ؛ ولما كثر الطلب على الآلات جد المخترعون في اتقانها وسرعة انجازها فاحدث هذا العزم انقلاباً آخر في صناعة التعدين ، وصهر الحديد والصلب ، وتناول

الانقلاب الصناعى جميع الصناعات حتى أصبح الأنتاج اليوم أضعاف أضعاف ما كان عليه منذ سنوات قليلة

ظهر الانقلاب الصناعى بأجلى مظاهره فى انجلترة . وأخذت هذه المملكة العظيمة الزعامة فى استخدام الآلات فى الصناعة ، حتى اطلق عليها « مصنع العالم » وأثرت ثراء كبيراً بفضل صناعتها فحذا حذوها باقى ممالك الدنيا. وكان لهذا الانقلاب العظيم أثر فعّال فى حياة الانجليز من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وفيما يلى نورد بأيجاز مظاهر هذا الانقلاب :

نتائج الانقلاب فى انجلترة : أولا ـ حلت المنافسة والحرية الاقتصادية محل النظم والقيود التى قيدت انتاج الثروة وتوزيعها عقب استكشاف العالم الجديد ، وتقدم علم الاقتصاد تقدماً كبيراً ، وكثر الباحثون فى قواعده والمحللون لنظرياته وقوانينه ، فقد نشر آدم سميث كتابه (ثروة الامم) فى سنة ١٧٧٦ وقرر فيه مبدأ الحرية التجارية وأثبت ان لكل بلد ظروفاً معينة تمكنها من انتاج سلع خاصة لا يستطيع غيرها مجاراتها فى انتاجها ؛ وقد تأثرت انجلترة بمبادئه تأثراً كبيراً حتى أنها ألغت القيود التجارية التى وضعتها فى القرن السابع عشر والثامن عشر ، ثم نشر ملثوث رسالة عن السكان عام ١٧٩٨ حلل فيها اسباب الفقر ، وأوجد العلاج . وفى سنة ١٨١٧ كتب ريكارو كتابه فى الاقتصاد ، وعنى بالضرائب ومبدأ تقريرها ، وطريقة توزيعها وصرفها . يقول المستر ارنولد تونبى « علمنا آدم سميث كيف تنتج الثروة متبعين مذهب الحرية الاقتصادية ، وعلمنا ريكارو كيف نوزعها . » ثم كتب جون استيوارت ميل فى سنة ١٨٤٨ كتابه (مبادىء الاقتصاد) و بين فيه قوانين الانتاج ، وميز بينها و بين قوانين التوزيع ، وحاول حل مسألة توزيع الثروة على أكمل وجوهها .

ثانياً ـ نمو السكان نمواً سريعاً : فقد كانت الزيادة فى عدد السكان سنة ١٧٥١ وما قبلها لا تزيد عن ثلاثة فى المائة فى كل عشر سنوات ، ولكن أصبحت هذه الزيادة تسعة فى المائة بين سنة ١٨٧١ وسنة ١٧٩١ ووصلت الى ١١ فى المائة فى العشر

السنوات التالية . ثم الى ١٨ فى المائه بين سنة ١٨١١ و سنة ١٨٢١. وقد وقفت الزيادة عند هذا الحد بسبب كثرة المهاجرة التى بدأت فى انجلترة بعد موقعة وترلو مباشرة ، فقد بلغ عدد الذين هاجروا من انجلترة وايرلانده بين سنة ١٨١٥ وسنة ١٨٨٠ نحو التسع الملايين نسمة . ولوحظ ان هذه الزيادة قد نشأت فى الأقاليم الصناعيه، وكانت مطردة اطراداً نظامياً .

ثالثاً — نقص عدد المشتغلين بالزراعة : فقد كان عددهم ٣٥ فى المائة من مجموع سكان انجلترة فى سنة ١٨١١ ثم نزل الى ٣٣ فى المائة بعد ذلك بعشر سنوات ، والى ٢٨ فى المائة فى سنة ١٨٣١ م . اذ بلغ عدد الذكور البالغين المشتغلين بالزراعة (١٫٢٤٣٫٠٥٧) وكان عددهم فى سنة ١٨٧١ (١٫٦٥٧٫١٥٣) فقط بالرغم من الزيادة العظيمة فى مجموع سكان الجزر البريطانية . وكان من نتائج هذا التطور ان اضمحلت جهات عامرة ، وعمرت جهات غامرة وهى مراكز الصناعه ، وانتقل السكان من الجنوب والوسط الى شمال البلاد حيث هذه المراكز . ويوجد الآن ٤٥٨ نسمة فى كل ميل مربع من المقاطعات الواقعة شمال نهر الترنت و ٣١٢ نسمة فى كل ميل مربع فى المقاطعات الواقعة جنوبيه . أضف الى هذا أن الانتقال والتحول أثر تأثيراً كبيراً فى طرق الزراعة واساليبها ، وفى علاقة الملاك بالمستأجرين ، وفى عدد الضياع والمزارع ، الى غير ذلك من التغيرات .

رابعاً — حلت المصانع محل النظام المنزلى الذى كان متبعاً من قبل . وأخذ أصحاب الاموال يستثمرون اموالهم بطريق الصناعة . ويستخدمون العمال مجتمعين تحت سقف واحد بعد ان كان كل يشتغل بمنزله ، وتسبب عن ذلك مشاكل اجتماعية عظيمة ، واجهت الحكومات المختلفة أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مثل الصحة العامة داخل المصانع ، واختلاط الجنسين أثناء العمل ، وساعات العمل وتشغيل الاطفال ، وغير ذلك مما اضطر الحكومات الى سن التشريع تلو التشريع ، حتى تسير الامور فى مجراها اللائق بها .

خامساً — ظهور طبقات جديدة لم تكن معروفة فى البلاد قبل الانقلاب كطبقة

أصحاب المصانع والمعامل والعمال ، ورغبت هذه الطبقات فى الاشتراك الفعلى فى ادارة البلاد ، وطالبت الحكومة بهذا الاشتراك ، حتى فازت بمطالبها وصار للعمال الآن كلمة نافذة داخل البرلمان الأنجليزى وخارجه .

سادساً — تقدمت المواصلات تقدماً عظيما ، وأصلحت الطرق ، وحفرت الترع والقنوات ، ومدت خطوط السكك الحديدية . ففى ١٧٧٧ سنة حفرت القناة الموصلة نهر الترنت والمرزى ، واتصلت مدينة (هل) و (ليفربول) بقناة . وحفرت أخرى حتى تتصل مدينة برستول بهما . وفى سنة ١٧٩٢ حفرت قناة طولها ٩٢ ميل لتصل لندرة بمدن الاقاليم الوسطى ، مارة بمدينة (اكسفورد) الشهيرة ، وفى اوائل القرن التاسع عشر اصلحت الطرق فى المدن و بين المدائن اصلاحاً كبيراً بارشاد تلفورد ومكدام . وفى سنة ١٨٣٠ مد أول طريق حديدى . وبالجملة شجعت هذه المواصلات التجارة كثيراً فاستفادت البلاد فائدة عظمى وازدادت الثروة الاهلية ازدياداً استطاعت به الحكومة الانجليزية أن تكون مسموعة الكلمة مهيبة الجانب بين دول العالم القديم والحديث .

٢ : **اثر الثورة الفرنسية فى السياسة الداخلية الانجليزية** . جاهدت انجلترا جهاد الابطال ضد نفوذ فرنسا فى القرن الثامن عشر و بذلت جهدها للتغلب عليها فى أوربه ، وفى المستعمرات ، ولم يهدأ لها بال حتى خرجت فائزة من معركتها الطويلة بسقوط نابليون فى سنة ١٨١٥ . خرجت من كل هذه الحروب وهى موطدة الدعائم ، ثابتة الاركان ، نافذة السلطان فى اوربة وفى المستعمرات ، غنية بمصنوعاتها وتجارتها ، متمتعة بزيادة عدد السكان ، ولذلك وجهت عنايتها الى اصلاح شئونها الداخلية . وقد عنيت بمسائل كثيرة أثناء القرن التاسع عشر ، اشتهر منها أربع مسائل رئيسية وهى التقدم فى سبيل الديمقراطية والمساواة بين الطوائف الدينية المختلفة و بعلاقتها بايرلنده ، و باتساع امبراطوريتها الاستعمارية . وسنقصر بحثنا على نمو الروح الديمقراطية والمكاسب التى فازت بها فى هذا العهد .

التقدم فى سبيل الديموقراطية : نقلت ثورة سنة ١٦٨٨ السلطة من يد الملك الى البرلمان ، ولكن البرلمان لم يمثل الشعب تمثيلا عادلا لأن نظام التصويت كان ضيقا جداً حتى كان عدد الناخبين يقل عن المائتى الف ، وكلهم من الطبقات الغنية بينما كان عدد الرجال الراشدين فى البلاد يربو على الخمسة الملايين نسمة ، ولذلك وجه الانجليز مجهوداتهم الى توسيع هذا النظام ، وتعميم حق التصويت ، حتى يصبح البرلمان مجلساً ممثلا للشعب حق التمثيل . وقد أفسحت الحكومة الأنجليزية صدرها لطبقات الاحرار فى بلادها كلما تحركوا ونشدوا الأصلاح ، ولم تقف جامدة يوما ما حتى تضطرهم الى الثورة فى وجهها كما كانت تفعل حكومات أوربة الاخرى مما أدى الى اندلاع نار الثورات وكثرة الانقلاب فى كل ممالك أوربة ، وقد رأينا نتائج ذلك فى فرنسا . أما فى انجلترة فقد تمكن الأحرار بواسطة سلسلة اصلاحات قدموها طوال القرن التاسع عشر الى مجلس نوابهم وتقريرها ، من جعل مجلسهم صاحب السلطان فى البلاد دون أن يلجئوا الى الثورات وسفك الدماء ، وقلب نظام الحكم فى البلاد . والآن نسرد بأيجاز الخطوات التى اتخذوها نحو ذلك

الأصلاح النيابى فى عام سنة ١٨٣٢ — لما انعقد مجلس النواب لأول مرة فى انجلترة سنة ١٢٦٥ كان أعضاؤه يمثلون المدن والاقاليم الغنية بسكانها وثروتها ، وظلت هذه المدن والأقاليم تمثل فى البرلمان أثناء القرن التاسع عشر مع أنها اندثرت بمرور الزمن . وأصبح بعضها قليل العدد والاهمية . ولا يستحق التمثيل ، وظهر غيرها من المدن الصناعية الكثيرة السكان ، المحرومة من التمثيل . فكان اثنان يمثلان مدينة (سروم) القديمة مع أنها كانت فى القرن التاسع عشر مدينه اسمية لاغير . وعلاوة على هذا كان من حق الملك أن يعين دوائر الانتخاب عديمة الأهميه فترسل نوابا عنها يكونون طوع أمره و ينفذون رغباته فى مجلس النواب . ولذا امتلأ المجلس بمرشحى الملك أو كبار الملاك ، أو بنفر من النواب اشتروا مقاعدهم النيابية ، بينما كانت المدن الغنية مثل برمنجهام، وشفيلد ، ومنشستر لا يمثلها أحد . فقامت الأمة تنادى بتعديل هذا النظام الفاسد وعاضدها الصحف كثيراً ، وعارضها حزب المحافظين . وقوى

ساعدها الاحرار بثورة يوليه الفرنسية . وتمكنوا من اصدار قانون الأصلاح الذى صادق عليه مجلس اللوردات مرغما سنة ١٨٣٢ م . وبمقتضاه عدلت دوائر الانتخاب فخذفت سبع وثمانون دائرة من الدوائر القديمة ووزع نوابها وكان عددهم اثنين واربعين ومائة على دوائر جديدة فى المدن والأقاليم . ثم اتسع نظام التصويت، وبعد أن كان هذا الحق مقصوراً على كل من يملك قدرا من الأرض لا يقل ريعه السنوى عن أربعين شلناً ، صار يشمل المستأجرين الذين يدفعون إيجاراً قدره خمسون جنيهاً فى السنة . وأعطى حق التصويت فى المدن لكل من يملك أو يشغل منزلا أو حانوتا اونحوه . لاتقل أجرته السنوية عن عشرة الجنيهات .

وكان تأثير هـذا القانون كبيراً اذ مثلت الطبقة الوسطى بموجبه ، واشتركت اشتراكا فعلياً فى إدارة البلاد ؛ وتمكن مجلس النواب من التقدم فى سبيل الأصلاح الاجتماعى فنشر قانونا يمنع تجارة الرقيق فى الامبراطورية البريطانية سنة ١٨٣٣ م فأطلق سراح نحو ٨٠٠،٠٠٠ عبداً كلفوا الأمة الانجليزية فوق العشرين مليونا من الجنيهات وفى السنة عينها سن البرلمان قانونا يختص بالمعامل والمصانع كان الأول من سلسلة قوانين أصلحت حال الصناع تدريجاً ورفعت عنهم الكثير من أنواع الظلم والقسوة . خصوصاً ما تعلق باستخدام الاطفال فى المصانع . ومنح البرلمان فى السنة عينها عشرين الف جنيه لأعانة المدارس وتشييدها ؛ وفى سنة ١٨٤٠ أصدر البرلمان قانونا يوحد طوابع البريد فى أنحاء المملكة . وفى سنة ١٨٤٦ ألغى البرلمان بفضل مساعى « ريشارد كبدن » و « جون بريت » قوانين الغلال واتبعت الأمة سياسة حرية التجارة

قانون اصلاح المجالس البلدية سنة ١٨٣٥ : كان النظام المتبع فى انتخاب أعضاء المجالس البلدية فى المدن نظاما عتيقاً جعل الأهالى يطلبون تغييره بآخر يتفق مع روح العصر . فأصدر البرلمان قانونا سنة ١٨٣٥ بتعديل النظام فأصبحت به المجالس منتخبة على رأسها عمدة البلدة المختار

حركة أنصار حق التصويت العام (Chartism) وثورة سنة ١٨٤٨ :

اشتركت الطبقات المتوسطة فى حكومة البلاد بمقتضى قانون سنة ١٨٣٢ وظلت طبقات العمال محرومة من التمثيل فثارت طالبة تعميم نظام التصويت . وأن يشكل البرلمان سنوياً . وأن يكون لكل رجل الحق فى عضوية البرلمان سواء أكان يملك عقارا أم لا . ظلت الأمة تطلب هذه الاصلاحات ، والحكومة تماطلها حتى قامت الثورة فى فرنسا سنة ١٨٤٨ فتشجع الأحرار وثاروا . واجتمع منهم نحو الخمسة والعشرين الفا وصمموا على الزحف الى مجلس النواب ليقدموا له طلباتهم فى عريضة سميت (عريضة الشعب Peoples Charter) ولكن قمعت الحكومة حركتهم بشدة ، وقضت على مطالبهم وشتت شملهم

قانون الاصلاح الصادر سنة ١٨٦٨ : لم يقنع الاحرار بما نالوا من اصلاح النظام النيابى ، وظلوا يثورون داخل البرلمان وخارجه حتى أصدر البرلمان قانونا سنة ١٨٦٧ بفضل مجهودات « غلادستون » الزعيم الحر الشهير وقد نالت بمقتضاه حق التصويت الطبقة الراقية من صناع المدن ، وجميع المزارعين المستأجرين لاراض فى الاقاليم . وقد زاد عدد المصوتين به الى ضعفيه تقريباً . وكان من نتائجه أن أصدر البرلمان قانونا فى سنة ١٨٧٠ عمم التعليم الاولى فى البلاد . وأعطى السلطات المحلية فى الأقاليم النفوذ الكافى لالزام الاهالى بارسال أبنائهم للمدارس .

قانون الاصلاح الصادر سنة ١٨٨٤ : قال الارل دربى أحد زعماء المحافظين فى مجلس النواب عند المناقشة فى قانون سنة ١٨٦٧ « نحن نخطو خطوات فى الظلام ونقدم على تجارب عقيمة خطيرة » ولكن التجارب نجحت وخاب فأله وتقدمت الامة تقدماً كبيراً بفضل اصلاحاته النيابية . ولذلك قام وزير انجلترا الكبير «المستر غلادستون » فى سنة ١٨٨٤ وقدم للبرلمان قانونا للاصلاح فأقره ، وبمقتضاه منح حق التصويت فى الاقاليم بنفس الشروط التى منح بها لاهل المدن ، فزاد عدد المصوتين من مليونين الى خمسة ملايين وأصبحت الامة تمثل تمثيلا عادلا .

اصلاح المجالس المحلية والقروية : فرغ البرلمان من إصلاح شأنه ومن اصلاح شأن المجالس البلدية . ثم وجه همته الى اصلاح المجالس المحلية والريفية فأصدر

قانونا سنة ١٨٨٨ أصلح به المجالس القرويه فى انجلترة وويلز . وأصدر بعد ذلك بسنة قانونا أصلح مجالس اسكتلندة المحليه . وفى سنة ١٨٩٨ أصدر قانونا أصلح المجالس فى إيرلنده . تقدمت الامة الانجليزية بفضل هذه الاصلاحات تقدماً عظيما وبها أصبح الشعب الانجليزى صاحب السلطان والنفوذ الحقيقى فى البلاد . وقد بلغ النساء فى سنة ١٩١٨ ما للرجال من الحقوق السياسية . وزاد نفوذ مجلس النواب زيادة عظمى واتجهت الانظار فى بداية القرن الحاضر الى انتقاص سلطة مجلس اللوردات لانه مجلس وراثى لا يمثل إلا طبقة محدودة . وفى وزارة الاحرار وعلى رأسها (المستر أسكويث) استطاعت الحكومة سنة ١٩١١ أن تقرر أن لا يخول مجلس اللوردات حق رفض الميزانية ، ولا رفض أى قانون أكثر من مرتين . فاذا وافق عليه مجلس النواب المرة الثالثة يصبح نافذا وهناك ميل الى الغاء هذا المجلس جملة ، وخلق آخر يتفق وروح النهضه التشريعية الحديثه .

الباب التاسع

الحالة الدولية عند نشوب الحرب العالمية (١٩١٤ - ١٩١٨ م)

الفصل الأول

الحوادث السابقة على الحرب العالمية

قامت حرب مروّعة فى أوربة فى أواخر يولية وأوائل اغسطس من عام ١٩١٤ أفزعت العالم وامتد لهيبها الى أقاصى المعمورة ، وتأثرت بها الامم تأثيراً مباشراً أو غير مباشر ، ولذلك ستعد من أهم حوادث التاريخ قديمه وحديثه ، وستظل ذكراها ماثلة أمام العيون لما أحاط بها من القسوة . وما تخللها من الحوادث الهامة وما لها من أثر فى سياسة العالم

لم تكد تشب هذه الحرب العالمية حتى خاض غمارها خمس دول أوربية عظيمة ثم اشتبك فيها كل العالم المتمدين . وانقسم المتحاربون قسمين كان كل منهما يعمل جهده على نيل الظفر والخروج منها غانما

ويجدر بنا قبل البحث فى الأسباب المباشرة التى أذكت نار الحرب العظيمة أن نشير الى الحوادث الهامة التى تقدمتها والتى تستطيع استنباطها مما مر بك من الحوادث فى هذا الكتاب .

سبقت هذه الحرب حوادث هامة فى أوربة يرجع عهدها الى القرن السابع عشر وتلى ذلك ثورات سياسية ، وانقلاب كثير فى حكومات الدول ، وكان أبعدها مرمى وأكبرها أثرا الثورة الفرنسية ، وقد رأيت أن أول المبادىء التي كان يرمي اليها موقدو نارها اشتراك الشعوب فى ادارة حكوماتهم ، ومسألة الفصل فى قوميات الأمم حتى تعيش كل أمة ترتبط بالقرابة، حرة تسود نفسها بنفسها ، فلا يتسلط شعب على آخر

ولهذه المبادىء عينها أثر كبير فى قيام الحرب العالمية كما ستتبين بعد ، مما دعا أمما كثيرة أن تقف فى وجه المانيا وحلفائها رغبة فى أنهاء الثورات السياسية

الأوتوقراطية والديموقراطية : غزت الأفكار الثورية التى كان يقصد بها اشراك الشعوب فى الحكم جزءاً كبيراً من أوربة فى القرن التاسع عشر . ولكن هذه الثورات لم تؤثر فى حكومتى وسط أوربة وهما بروسيا والنمسا، اللتين ظل الحكم فيهما اوتوقراطيا تحت ستار الاصلاحات البرلمانية التى أدعت كل منهما أنها تقوم بها تحقيقا لرغبة شعبيهما . وكانت بروسيا أشدهما عسفا . وكان ملوكها من أسرة هوهنزلرن عند أول ولايتهم العهد يدّعون دعاوى عريضة فى وجوب انفرادهم بحكم أمتهم . وقد رأيت فى فصل سابق أن هذه الأسرة تسنمت غارب المجد على يد بسمارك بسياسة « الحديد والدم » . ولما جلس على عرش بروسيا وليم الثاني طرد بسمارك من خدمته ومضى يحكم بنفسه حكما استبداديا تفهم مداه من قوله : « انني أنا وحدي السيد هنا، فمن يقاوم ارادتي أسحقه سحقا. واننا آل هوهنزلرن نتسلم تاجنا من الله وحده، فلا نسأل عما نفعل الا أمامه وحده . فأنا سيف الله ووكيله . والويل كل الويل لمن يعارض ارادتى »

من هـذا القول نتبين أن سياسة الأمبراطور هي نفسها سياسة ملوك أسرة استيورات فى انجلترة ، وملوك آل بربون الذين حكمو فرنسا قبيل الثورة . ومنه يجب أن تعلم أن هذه السياسة كانت إحدى أسباب الحرب العالمية، لأن المدنية لا يمكن أن تكون أوتقرطية ديموقراطية معاً . ولهذا دخل الرئيس (ولسون) الحرب فى عام ١٩١٧ لاعتقاده أنها حرب بين الديموقراطية والاوتقراطية ، ولأنه يجب نصر الديموقراطية فى العالم . فالحرب من هـذه الوجهة تشبه فى أغراضها أغراض ثورة ١٧٨٩ م .

قومية الأمم : كذلك كان للقومية أثر فعال فى قيام الحرب فان الامم مافتئت منذ الثورة الفرنسية تعمل على لم شعثها . وتقريب عناصرها . وأقرب شاهد على هذا « الالزاس واللورين » التى انتزعتها المانيا من فرنسا فى الحرب الفرنسية البروسية ، وعاملتها معاملة قاسية فأخمدت في شعبها الشعور بالحرية وقيدت صحافتها . وحاولت

جهد طاقتها أن تصبغها بالصبغة الجرمانية حتى تنعدم كل صلة بينها وبين فرنسا ، مما أحفظ أهلها ، وجعلهم يرقبون الفرص لطرح هذا النير الثقيل من على عاتقهم ، وقد فر كثيرون من زهرة شبانهم الى فرنسا واندمجوا فى جيشها العامل . فكان بسمارك بضمه الالزاس واللورين الى بلاده قد بذر بذور حرب مقبلة بين المانيا وفرنسا .

ومما يلحق بالقوميات أيضاً ، بخلاف الالزاس واللورين ، أنه كان يوجد فى أوربة وفى تركيا آسيا أمم مختلفة وولايات عدة تدين بالطاعة للملوك مختلفين عنهم فى الجنسية اختلافاً تاما ، وهذا كان له أثره فى الحرب العالمية أوعلى الاقل فى اتساع نطاقها . وتشعب مناحيها ومسائلها

المبادىء والفكر الالمانية : قد رأيت ان الثورة الفرنسية تأثرت تأثراً كبيراً بأفكار الفلاسفة والكتاب ، وكذلك كانت الحرب العالمية فى عام ١٩١٤ فأنها تأثرت بمبادىء الطبقة الحاكمة فى ألمانيا ، وبأفكار قوادها ومساسيها ، فان هؤلاء جميعاً اعتقدوا انهم أرقى بنى الانسان ، الجديرون بحكمه والتسلط عليه كما فعل العبرانيون والاغريق والرومان فى الازمان الغابرة . وكانت التعاليم الالمانية خطيرة تقول بأن الحرب عامل ضرورى فى تاريخ بنى الانسان (١) . ومن بين تعاليمهم المنتشرة قول أحد فلاسفتهم أن الحكومات لا يرتبط بعضها ببعض بقوانين أدبية وغير ذلك من الاقوال التى يدل معناها على ان الحروب فى نظرهم مشروعة لا تتقيد بقانون دولى ، أو معاهدات ، او بمراعاة الشفقة والرحمة ، أو العاطفة الاجتماعية

والآن وقد بينا بعض الاسباب الأساسية التى ولدت الحرب ، يجب أن نشير الى مجرى الحوادث التى وقعت فى أوائل القرن العشرين ، وكانت تنذر بسوء العاقبة لاوربة كلها

---

(١) قال « برنهاردى » ان الحرب واجب ادبى ولايستغنى عنها باعتبارها عاملا فعالا فى المدنية . وقال المارشال فون مولتك « الحرب احدى عناصر النظام الذى اقامه الله فى الارض ، وان الدنية من غيره تصبح راكدة آسنة ، وتفقد ثمرتها »

الخط الحديدى بين برلين وبغداد : لم ينصرم القرن التاسع عشر حتى كانت الدول العظيمة التى وحدت قومياتها في أوربة قد استحوذت على كل الاراضي اللازمة لاستعمارها، الصالحة لتنفيذ مشاريعها . ولم تكن المانيا الى ذلك الوقت قد نزلت الى ميدان المنافسة الاستعمارية أو الصناعية خارج أوربة . ولما كان لا يزال بعض الاقاليم باقياً لم تمسسه يد الاستعمار كتركيا وفارس ومراكش فإن المانيا أخذت تتطلع اليها ، وبخاصة الى تركيا ، ولذلك عملت جهدها حتى ظفرت فى مستهل القرن العشرين بتصريح من الباب العالي يجيز لها ان تمد خطاً حديدياً يخترق آسيا الصغرى والجزيرة الى بغداد ، ومنها الي الخليج الفارسى فيصبح واصلا بين سكك حديد أوربة وبين برلين . وكانت المانيا تبغي من وراء هذا الخط غرضين :

الأول ـ أنها كانت تريد ان توجد لمتاجرها ومشاريعها ميداناً غنياً بثروة الطبيعة فى اسيا الصغرى وما بين النهرين

الثاني ـ لتتمكن فى حالة قيام حرب من تهديد المصالح الانجليزية فى مصر والهند ؛ وفكرة انشاء هذا الخط تفسر لنا السبب الذى حدا المانيا ان تعقد مع تركيا محالفة ، صارت بعد عاملا فى الحرب العالمية. وكان نفاذ هذا المشروع يتطلب بطبيعة الحال معاونة الحكومة التركية وصفاء نية العالم الاسلامى ؛ نقول صفاء نية العالم الاسلامي لأن الامبراطور وليم الثانى خرج حاجاً فى عام ١٨٩٨ الى فلسطين وخطب فى دمشق خطبة منها « ارجو ان يتأكد جلالة السلطان والثلثمائة مليوناً من المسلمين الذين يعدونه خليفتهم، ان امبراطور المانيا صديقهم الى الابد » ومعنى هذا أن مسلمي مصر والهند وأواسط آسيا وشمالي افريقية ينظرون اليه كصديق يعمل على انقاذهم من حكم الانجليز والروس والفرنسيين لهم

اهتمت انجلترة بأمر هذا الخط الحديدى لأن الدولة التى تملكه تتحكم فى آسيا الصغرى والعراق وسورية وفلسطين ومصر ، وأزعجها أن يكون لالمانيا محط تجارى على خليج الفرس القريب من طريق الهند البحرى . وكذلك وضعت العراقيل فى سبيل تنفيذه ولكنها لم تفلح، فبقيت تنظر الى اعمال المانيا بعين الريبة

والاتهام فتولدت العداوة بينهما ، وكانت سبباً من أسباب الحرب العالمية

نماء القوة البحرية الالمانية : زادت قوة المانيا البحرية فى أواخر القرن التاسع عشر فأخذت تمد اعينها نحو التوسع فى البحار حتى لقد قال الامبراطور : « ان مستقبلنا مرتبط بالبحار فيجب ان تكون تحت سلطاننا » ولذلك انشأ بحرية تجارية عظيمة نشرت المتاجر الالمانية بسرعة فاصطدمت مصالح انجلترة التجارية بالمصالح الالمانية فى جهات كثيرة من العالم ، وبدأت المانيا تعمل على ايجاد اساطيل حربية تحمل متاجرها، فصارت ثانى دولة بحرية فى العالم بعد انجلترة فى أول القرن العشرين[1] فذعرت لذلك انجلترة وظنت ان بلادها أصبحت مهددة فعكفت على الاكثار من السفن الحربية ، وحاكتها المانيا بدرجة كبيرة مما هدد السلم العام .

الوفاق الثلاثى — أو حسن التفاهم بين بريطانيا وفرنسا وروسيا : كانت زيادة القوة البحرية الالمانية ، وأقوال رجال المانيا الحربيين سبباً فى ان انجلترة تخرج من حيادها وابتعادها عن المحالفات المعقودة بين دول أوربة وترتبط بمحالفة دفاعية مع فرنسا والروسيا . وعملت فى عام ١٩٠٤ على انهاء المشاكل التي كانت بينها و بين فرنسا ووادتها بمقتضي اتفاقية الاتحاد الودى . وكان لذلك اهمية كبرى فى العالم لان المانيا عدت ذلك تهديداً لها ، ومؤامرة على تخريب بلادها وحصرها؛ ومن هنا زادت العداوة بينها وبين انجلترة . ولما اتفقت انجلترة فى عام ١٩٠٧ مع الروسيا على نفض النزاع القائم بينهما في آسيا، و بخاصة فيما يتعلق بالفرس تغيظت المانيا وعلمت ان كل هذه المحاولات والاتفاقات موجهة ضدها، وكان هذا وحده ذا اثر عظيم فى الحرب العالمية ، لان انجلترة لم تعد تقاوم الروسيا فى آمالها واطماعها في الشرق ، وفى اتخاذها البوسفور والدردنيل طريقاً لنفسها ، بله استيلائها عليهما وصارت كل مقاومة انجليزية موجهة نحو المانيا وتوسعها شرقاً

---

(١) وقد سهلت قناة كيل التى فتحت عام ١٨٩٥ سبيل انتقال المراكب الالمانية الى بحر الشمال بدلا من طريق الدانيمركة

انقسمت دول أوربة العظيمة الست قسمين : دول الوفاق (١) ودول التحالف (٢) وارتبط كل فريق بالآخر بمحالفات وتعهدات كانت تقضي بانه اذا قامت حرب بين حكومتين متضادتين اشتركت الحكومات الاخرى معها أى ان الدول الست تقوم بحرب اوربية عامة وهو الذى قد وقع، فروعت أوربة بحرب عام ١٩١٤

الأزمة المراكشية الاولى: (١٩٠٥) : كانت مراكش من البلاد الافريقية التي مد المستعمرون الاوربيون اعينهم اليها لقضاء مآرب تجارية وسياسية؛ ولما عقد الوفاق بين فرنسا وانجلترة أصبحت مراكش موضع نزاع بين ألمانيا من جهة وفرنسا وانجلترة من جهة أخرى . أما فرنسا فكانت تريد ضمها اليها ليتم لها بذلك تكوين امبراطورية لها فى افريقية . ولما تفاهمت مع انجلترة عام ١٩٠٤ سوت مسألة مراكش معها بأن تطلق يدها فيها على ان تطلق انجلترة يدها فى مصر .

وفى العام التالى زار امبراطور المانيا ثغر (طنجه) فى مراكش وفاه بعبارات خاطب بها التجار الالمان ، ولكنها كانت تعريضاً بالانجليز والفرنسيين وانذاراً لهم بأنهم يجب ألا يبرموا امراً خطيراً له مساس بمسائل العالم الهامة قبل استشارة المانيا وامبراطورها

رأت فرنسا عند ذلك انها غير مستيقنة بمساعدة انجلتره لها فى الحرب، وان حليفتها الروسيا قد هزمتها اليابان ، ولذلك اهتمت بتدخل المانيا غير المشروع ورأت وجوب السماع لها والعمل لمرضاتها (٣) على أن يعقد مؤتمر دولى ينظر فى الأمر . وكانت نتيجة اجتماع مندوبى الدول لمصلحة فرنسا ، لان هؤلاء رأوا أن لفرنسا مصالح شتى فى مراكش . ولذلك عهدوا اليها بالمحافظة على الأمن والسلام فيها

---

(١) كانت فرنسا والروسيا قد تعاهدتا معا فى عام ١٨٩١ محالفة عرفت بالتحالف الثنائى، وانضمت اليهما انجلترة بعد

(٢) التحالف الثلاثى كان يشمل المانيا والنمسا وايطاليا

(٣) كان رئيس وزارة فرنسا (دكلاسيه) يتفاوض مع انجلتره وتهديد المانيا بالحرب اضطره للاستقالة من منصبه

من هذا أصبحت المسألة المراكشية ذات أهمية تاريخية عظيمة . وتعتبر من المسائل الخطيرة الشأن التى سبقت نشوب الحرب العالمية . وذلك بأن الأزمة التى نشأت عن تدخل المانيا، تلاها حسن تفاهم تام بين فرنسا وانجلترة وروسيا فارتبطوا برباط وثيق . على حين أن المانيا شعرت بأن شرفها قد امتهن فتولدت الكراهية بينها وبين انجلترة التى آزرت فرنسا بكل قوتها فى المؤتمر الدولي الذى فصل فى المسألة المراكشية .

المسائل البلقانية وأثرها : لنرجع البصر كرة الى مسائل جنوب شرقي أوربة التى نشأت فيها أول شرارة لنيران الحرب العالمية : كانت الحالة في البلقان فى مستهل القرن العشرين محيرة مربكة فى تنوع ميول أهلها ، وطمع وآمال ساكنيها ، ووجهة نظر الحكومات المختصة ازاء ذلك :

أولا ــ علاقة تركيا بولايات البلقان الصغيرة : كان بالاقاليم التركية المتصلة بهذه الولايات أكثر من مليونين من المسيحيين الأغريق والبلغار والصرب الذين مالوا الى التخلص من النير العثمانى ليتحدوا مع اخوانهم الذين ظفروا بحريتهم . وكان النزاع القومي والديني بين المسيحيين ؛ وبخاصة فى مقدونيا ، عاملا على سوء النظام وباعثا على التعس والقلق

ثانياً ــ علاقة بعض الدول الكبرى بمسائل البلقان : زادت آمال الروسيا فى وجوب الاستيلاء على الطريق بين البحر الاسود وبحر ايجه بعد هزيمتها من اليابان وحرمانها من موانى هامة على المحيط الهادى . وقد كفت انجلترة على مناوأة رغبتها هذه كما قدمنا ، ولكن المانيا هى التى أخذت على عاتقها أن تباعد بينها وبين تحقيق هذه الأمنية لان الروسيا اذا وضعت يدها على هذا الطريق عرضت مصالح المانيا فى آسيا الصغرى للخطر ، وقضت على فكرة الخط الحديدى من برلين الي بغداد .

ثالثاً ــ وكانت آمال الصرب التى ترمي الى توحيد الأجناس الصربية تحت رايتها ، وحصولها على منافذ على بحر الادرياتيك وبحر ايجه ، مهددة لمصالح النمسا وموجبة لانسلاخ كثيرين من محكوميها عنها . وفي الواقع ان الصرب فى موقفها هذا

تشبه موقف سردانية ازاء النمسا فى القرن التاسع عشر مما عارض مصالحها كثيراً فى شمال ايطاليا . فاذا ظفرت الصرب برفعة شأنها واتساع املاكها ، صغرت النمسا وانتقصت املاكها وحيل بينها وبين اطماعها على بحر (ايجه) لانه من منذ اخراجها من شمالى ايطاليا وجهت كل جهودها الى الشرق والعمل على نيل منفذ لها الى بحر ايجه عن طريق مقدونيا وسلانيك

رابعاً — وفوق ما تقدم كان لايطاليا اهتمام كبير بمسائل قومية تمس المصالح النمساوية فيما يخص الايطاليين التابعين للنمسا فى شمالى بحر الادرياتيك : كانت ايطاليا تود الاستيلاء على الشاطيء الشرقى لهذا البحر اتقف حائلا دون استيلاء النمسا على البانيا فى حالة ما اذا خرجت تركيا من اوربة ، فيكون بحر الادرياتيك بحيرة ايطالية

مما تقدم نعلم ان كثرة المنافسة بين ممالك أوربة ، وتضارب مصالحها ، وكثرة اطماعها جعلت المسألة البلقانية مسألة دولية تخص أوربة كلها

تركيا الفتاة : والثورة التركية (١٩٠٨) قد رأيت فى فصل سابق انه قد وجد فى تركيا طائفة من المصلحين يريدون انتشالها من هوتها وتنبيهها من رقدتها وعلمت الخطوات التى تمت فى سبيل الاصلاح مما بشر بحل المسألة الشرقية حلا نهائيا وتنشئة تركيا جديدة لتحل محل « الرجل المريض » ولكن لسوء الحظ أعوز الاتراك وجود قادة قادرين فلم تنفذ فكرة المساواة بين الشعب، بل نشأت فكرة اخرى هى تجنس غير الاتراك بالجنسية التركية سواء كانوا أغريقاً أم رومانيين أم البانيين أم بلغاريين أم عرباً . وفى نفس الوقت أخلف السلطان عبد الحميد وعده مع من قاموا بالثورة (١٩٠٨) في سبيل الاصلاح وعمل فى الخفاء علي التخلص منهم ليعود حاكماً مستبداً فكان لهذا اثره .

الازمة فى البوسنة (١٩٠٨) وقد جدت عقبة كأداء فى سبيل الاصلاح والتجديد ، تفوق فى أثرها الضعف الداخلى والخلاف السيء ، تلك هى طمع كثير من الدول التى رأت ان فى تجديد شباب تركيا ، واحيائها قضاء مبرماً على مطامعها الاشعبية

من اقتسام ميراث « الرجل المريض » . كان احياء تركيا قذى فى أعين هذه الدول ، فكانت النمسا ترى فيه قضاء على سيادتها فى البوسنة والهرسك تلك السيادة التى خولها لها مؤتمر برلين . وقد كانت الصرب تطمع فى صيرورة هاتين الولايتين لها بعد وفاة « الرجل المريض » ، ساءها انفراد النمسا بادارة شئونهما ، واحتجت جهد طاقتها على ذلك ولكن لم ينتج احتجاجها شيئاً فانه عندما احتجت انجلترة والروسيا على ذلك أيضاً وقف الامبراطور ولېم يؤازر النمسا فلم تشأ واحدة منها أن تقاوم مخافة الحرب ، و بقى نفوذ النمسا سائدا فى الولايتين ، و بقيت حزازات النفوس تعمل فى الخفاء

الأزمة الثانية المراكشية (١٩١١) : قد رأيت فى الأزمة الاولى أن الدول عهدت الى فرنسا بالمحافظة على النظام ، ولكنها لم تستطع ذلك لأن حكومة مراكش الوطنية كانت فاسدة ، ولذلك كان لابد من وقوع أزمة غريبة ، ذلك بأن جيشاً فرنسيا أرسل سراعا الى العاصمة (فاس) لأن أحد المتنازعين على العرش المراكسى طلب حماية فرنسا له ، وكان ذلك وحده كافياً للقضاء على استقلال مراكش

قابلت المانيا هذا الفعل بالدهشة وأرسلت سفينة حربية فى نفس العام الى ثغر (أغادير) ؛ وطلب الامبراطور من فرنسا تعويضاً مقابل تركها حرة فى مراكش . ودارت المخابرات بين المملكتين بشدة ، ولكن انجلترة كرهت وخافت أن تنال المانيا نزلا لها على الشاطىء الافريقى مقابل جبل طارق ، فهددت بأن جيشها على تمام الأهبة للحرب ، فرضى الامبراطور أن يترك مراكش تحت حماية فرنسا نظير استيلائه على بعض الاملاك الفرنسية فى أواسط افريقية ، وبهذا تجنب الفريقان الحرب ؛ ولكن توترت العلائق كثيراً ، وعدّت فرنسا أن تدخل المانيا فى أمر مراكش لم يكن له أدنى مسوغ

وكذلك فترت العلائق بين بريطانيا والمانيا لأن كثيراً من الألمانيين رأوا أن الحل الذى عمل فى غير مصلحتهم ، وأن انجلترة هى التى حالت بينهم وبين ما يطلبون من فرنسا

حروب البلقان (١٩١٢ — ١٩١٣) : حذت ايطاليا حذو النمسا التى استولت على البوسنه والهرسك عام ١٩٠٨ م : وأرادت أن تنال هى الأخرى فوائد من تركيا

قبل أن تستعيد شبابهـا فقضى على أطماعها القديمة فى طرابلس الغرب وقيرنيقية فى شمالى افريقية . صممت ايطاليا على الاستيلاء على هاتين الولايتين بحجة أن رجال تركيا الفتاة يسيئون معاملة التجار الايطاليين والنازلين منهم فيهما ، فأرسلت قوة استولت عليهما وضمتا الى ايطاليا عام ١٩١١

وكان لأعتداء ايطاليا هذا على الامبراطورية العثمانية ، واعتداء النمسا عليهـا من قبل أثر فى ممالك البلقـان الصغيرة اذ اتحدت بلغاريا والصرب والجبل الأسود واليونان على القضاء على النفوذ العثمانى فى أوربة ، وأرسلت كل منها جيوشها ، فروّع الاتراك ودحرت جيوشهم فى أسابيع قليلة ، وطرد الاتراك تقريباً من أملاكهم الأوروبية ، وهو أمر لم تقدر أن تنفذه الدول العظمى بالحرب أو السياسة فى عدة قرون لما كان ينشأ بينها من المنافسة والحسد . وكان لعمل ولايات البلقان هذا نتائج خطيرة :

تغيظت النمسا من نجاح ولايات البلقان ، وطلبت بمساعدة ايطاليا لهـا أن لا تنضم البانيا الى الصرب وذلك للحيلولة بين وصول الصرب الى بحر الادرياتيك . ولما رأت الصرب أنها عوكست من هـذه الناحية وجهت همتها نحو بحر إيجه وطلبت من بلغاريا أن تعيد النظر فى الاتفاق الذى كان بينهما على اقتسام أملاك تركيا كى تفوز بالاستيلاء على جزء من مقدونيا يعوض عليها خروج البانيا من يدها ، فرفضت بلغاريا ، فوقع النزاع بين الولايتين فتدخل قيصر الروسيا وألح فى جوب تحكيمه فى الأمر ، فما كان جواب بلغاريا إلا أن هاجمت الصرب (ولعل ذلك بأيعاز من النمسا) فـكان ذلك سبباً فى قيام الحرب الثانيه البلقانية التى اتحدت فيهـا الصرب والجبل الأسود واليونان ورومانيا ضد بلغاريا . وهنالك انتهز الاتراك هـذه الفرصة لاسترجاع جزء من الأملاك التى انتزعت منهم ، فرأت بلغاريا نفسها محاطة بالأعداء فنزلت عن الحرب ، وعقدت (معاهدة بخارست) التى نصت على تقسيم البلقان تقسيما جديدا . ولـكن هذا التقسيم كان معناه أن تتحقق ميول الصرب نحو الوحدة السلافية ، وبالتالى تتقرب الاجناس السلافية من الروسيا زعيمهم الاكبر فتصبح النمسا مهددة بالخطر ، لأن فى توسع الصرب واتحاد السلاف ، ابعادا للنمسا عن بحر ايجه وانحلالا كبيرا فى دولتها التى يندمج فيها سلاف كثيرون

وفوق هذا كله رأت المانيا أن فى توسع الصرب وتقربها من الروسيا خطرا عليها لموقع الصرب فى طريق الخط الحديدى الى بغداد ، وقضاء على آمالها التجارية والسياسية فى غربى آسيا

قتل ولى عهد النمسا ـ بلاغ النمسا الى الصرب : مما تقدم نعلم ان العلائق بين النمسا والصرب توترت كثيراً ، ثم تتابعت الحوادث سراعا فأدت الى وقوع أزمة شديدة . سافر ولي عهد النمسا الارشيدوق فرنسيس فردينند وزوجته الى ولاية البوسنة ليزوراها بعد ضمها فاعتدى على حياتهما فى سراجيفو فى ٢٨ يونيه سنة ١٩١٤ م . فاتهمت النمسا الموظفين الصربيين بتدبير هذا الاغتيال ، وأرسلت الى الصرب بلاغا فى ٢٣ من يوليه وفيه مطالب لا تتفق وحقوق مملكة مستقلة ، وطلب الرد على ذلك فى ٤٨ ساعة ، فردت الصرب ردا ساميا هادئاً ، ووافقت على كثير من المطالب ، وأبدت رغبتها فى عرض الأمر على المحكمة الدولية فى لاهاى أو تحكيم بعض الدول العظمى فى المطالب التى لم تستطع التسليم بها . فرفضت النمسا ذلك ، وعاضدتها المانيا وأعلنت الحرب على الصرب فى ٢٨ من يوليه سنة ١٩١٤ .

أزعج عمل النمسا حكومات أوربة جمعاء ، وبذلت بريطانيا وفرنسا والروسيا جهودها لتغل يد النمسا عن العمل ، ولعرض المسألة على مؤتمر من الدول العظمى ينعقد فى لاهاى ، لأن اطلاق يد النمسا فى الصرب يجلب على ممالك اوربة حرباً شعواء اذ لا تستطيع الروسيا ان تقف مكتوفة الايدى وهى ترى أمة الصرب تقع فريسة النمساويين فتكون لالمانيا وحدها سيادة البلقان . وقد رفضت المانيا كل اقتراح أبدته الدول لحسم النزاع بحجة ان المسألة لا تخص غير النمسا والصرب وحدهما ، وليس ثمة ما يدعو لتدخل الدول الاخرى

هاجمت النمسا الصرب فعلا ولذلك عبأت الروسيا جيوشها لتدفع الأذى عن الدولة السلافية ، فأرسلت المانيا عند ذلك بلاغاً الى الروسيا تنذرها فيه باعلانها الحرب عليها ان لم تسرح جنودها فى ١٢ ساعة . وفى الوقت عينه لما سألت المانيا رئيس وزراء فرنسا عما اذا كانت دولته تحايد اذا وقعت الحرب بينها و بين الروسيا أجاب « ان فرنسا تقوم بالعمل الذى يتفق ومصالحها » فأرسلت ألمانيا جنودها فى

الحال (٣ اغسطس) لمهاجمة الحدود الفرنسية . وأرسلت ألمانيا بلاغاً الى بلجيقا تظهر فيه رغبتها فى اتخاذ بلادها طريقاً لها فى مهاجمة فرنسا، وتعدها ضمان استقلالها بعد عقد السلم اذا هى سمحت بهذا المرور، وتنذرها انها اذا رفضت تكون هى الاخرى دولة معادية . فأجابتها بلجيقا على ذلك بأنها قطر محايد ضمنت ألمانيا حياده من قبل، وأنها إن قبلت ما يطلب منها تضحى بشرفها وتعد خائنة، وعندئذ اجتاحت ألمانيا بلجيقا

وكان الاعتداء على حياد البلجيك سبباً فى اشتباك بريطانيا العظمى فى الحرب (١) وفى يوم ٤ من أغسطس أرسلت بريطانيا الى سفيرها فى برلين تأمره بتبليغ ألمانيا أنه ان لم يوقف الزحف على البلجيك فى ١٢ ساعة فأن انجلترة تبذل كل ما لديها من حول وقوة فى المحافظة على حياد بلجيكا واحترام المعاهدة التى اشتركت فيها ألمانيا نفسها من قبل . عند هذا تهيج رئيس وزارة ألمانيا « بتمان هلوج » وأظهر دهشته من تصميم الحكومة الأنجليزية على ما ذكره السفير بخصوص الحياد، الذى يعده « قصاصة ورق »

وأجابت الحكومة الألمانية على بلاغ الانجليز بأنها ترى نفسها مضطرة الى الهجوم على فرنسا من أسهل طريق، حتى تضرب الضربة القاضية بأسرع ما يمكن، وهنالك جردت انجلترة سيفها، وبهذا لم يمض على بلاغ النمسا للصرب غير اسبوعين حتى اشتبكت خمس دول عظمى فى الحرب التى تعد أفظع رواية محزنة فى تاريخ بنى الانسان

---

(١) اه وان كان الاعتداء على بلجيقا يعد سببا لدخول انجلترة الحرب . الا ان انجلترة باعتبارها حليفة لفرنسا، كان حتما عليها الاشتراك فى الحرب ولو لم تهاجم بلجيقا، لانها لا تطيق ان تقف على الحياد، فيفتك الالمان بالفرنسين وينتزعون منهم مستعمراتهم

الفصل الثانى

اعتدت ألمانيا على حياد البلجيك لأن خطتها كانت ترمى الى ترويع فرنسا واكتساحها فى أقرب فرصة ، وكان طريق البلجيك أسهل الطرق وأقربها ، فاذا سلكته كانت تفوز بالظفر ، بدلا من ضياع الوقت فى مهاجمة الحدود الفرنسية مما يلى ألمانيا ، لانها حدود محصنة قوية لا يمكن التغلب عليها بسرعة . رسمت ألمانيا هذه الخطة وكلفت النمسا ان تواجه الجيوش الروسية ، وتشغلها ريثما تفرغ من غزو فرنسا ثم تعود الى محاربتها . ولكن رفض بلجيقا جاء معطلا لأعمال الالمان فى الميدان الغربى اذ اضطرت المانيا لمحاربتها وتخريب بلادها ودك حصونها ، مما جلب على المانيا سخط العالم ودهشته . وكان الوقت الذى صرفته ألمانيا فى بلجيقا على قصره مفيداً لفرنسا اذ مكنها من تعديل موقفها والاستعداد للدفاع عن عاصمتها ، كما انه افاد انجلترة اذ استطاعت ان تمد حليفتها بقوة ، وان كانت قليلة العدد ، الا انها بعيدة مناط الهمة

معركة المارن : (سبتمبر ٥ — ٩ سنة ١٩١٤) قابلت الجنود الفرنسية والانجليزية الألمان على الحدود بين بلجيقا وفرنسا ، وقاوموا مقاومة عنيفة ولكنهم اضطروا الى التقهقر امام ضغط الألمان الذين تقدموا نحو العاصمة الفرنسية ، وهنالك هربت الحكومة الى بوردو ، وكان يخيل ان مأساة سنة ١٨٧٠ ستكرر ، ولما قارب الألمان العاصمة اعترضهم القائد الفرنسى (جوفر) بقوة كبيرة ، وأوقف زحفهم عند الشاطىء الجنوبى لنهر المارن ونازلهم ، وأوقع بهم مصائب كثيرة فاضطروا الى التقهقر الى نهر (الاين) وحفروا خنادقهم ، وأقاموا فيها .

وبذا كانت معركة المارن بحق من أهم المعارك الفاصلة فى العالم فانها لم تنج فرنسا فحسب ، بل وقت أوربة كلها شر تحكم الالمان فيها ، لانه اذا كانت فرنسا قد خسرت موقعة المارن لكان يسيراً على الألمان ان ينقضوا على الروسيا ويدحروا جنودها فيسود بذلك حكم الالمان الحربى والسياسى فى اوربة

تعددت حوادث الحرب بعد ذلك لدرجة لا يتسع معنا المقام لسردها ، ولكننا نلمع الى أهمها :

(١) حاولت المانيا أن تصل الى شواطئ فرنسا الشمالية فتتملك موانى بحر المنش فحال دون ذلك الجنود الانجليزية والفرنسية والبلجيقية ، ولم تفلح الا فى الاستيلاء على ثغر اوستند البلجيكى.

(٢) بعد محاولة الاستيلاء على الموانى البحرية ظل الألمان فى أراضى الحلفاء وعملوا خنادق فى الميدان الغربى كان طول خطها ٤٧٠ ميلا بين سويسرا وبحر الشمال وأخذوا يصوبون مدافعهم الضخمة على اعدائهم فقاومهم الفرنسيون يعاونهم عدد قليل من الانجليز والبلجيك ، مدة عام ونصف عام . وأخذت انجلترة تعبىء بعد ذلك ألوفاً كثيرة ، وتصرم عام ونصف عام آخر والفريقان فى هذا الموقف حتى حل عام ١٩١٧ فدخلت الولايات المتحدة الحرب فأعانت فرنسا وحلفاءها كثيرا ، وكان الباعث على ذلك ان المانيا أعلنت عزمها على الحرب بغواصاتها ، واغراق السفن التى تظفر بها فكان عملها هذا مسيئاً الى تجارة العالم كله ، حتى لقد قال الرئيس ولسون « انه ليسرنا ان نقاتل من أجل سلام العالم وتحرير الناس ومن بينهم الشعب الالمانى نفسه لانه من حق الأمم كبيرها وصغيرها ان تختار لنفسها طريق الحكم فيصبح العالم ميدانا آمنا لنشر الديمقراطية » . وقد عد الحلفاء كلام الرئيس مشجعا لهم على المضى فيما أخذوا بسبيله ، وضمانا لاحرازهم النصر.

(٣) وفى صيف عام ١٩١٧ روّع الجيش الروسى وترك الجنود خنادقهم وعادوا الى اوطانهم ، وقطعت فنلندة وأوكرانيا وغيرها علاقتهم ببتروغراد ، وأنشأوا جمهوريات مستقلة ؛ وكان من أثر ذلك استيلاء ألمانيا على ثغر ريجا ، وبدأ قواد الميدان الشرقى يفاوضون فى عقد الصلح.

(٤) وكانت نكبة الروسيا فى الميدان الشرقى متعبة لدول الغرب وبخاصة فى ايطاليا إذ اضطرت هذه الدول لنقل قوى كبيرة الى حدود ايطاليا ، وقد خسرت ايطاليا جزءاً من فينيسيا

وفى العام نفسه قام الأنجليز بأعمال ناجحة فى تركيا وآسيا ، واستولوا فى الربيع على بغداد فأصبح لهم النفوذ فيما بين النهرين . وفى نهاية العام انتزعوا من تركيا

بيت المقدس ، وأعيد الى المسيحيين .

وفى نهاية عام ١٩١٧ دخلت البرازيل الحرب فكانت هى الدولة التاسعة عشرة التى انحازت لجانب دول الغرب (١)

وكانت نتيجة حرب الغواصات أن غرقت سفن كثيرة للمتحاربين وغيرهم فزاد بذلك عدد أعداء الألمان الذين عملوا جهد استطاعتهم لاسقاطها

(٦) و بعد هزيمة الروس فى الميدان الشرقى نقل الالمان قواتهم الى الميدان الغربى وضغطوا كثيرا على فرنسا وحلفائها ووصلت قنابل مدافعهم الضخمة الى باريس فاستصرخت دول الأتفاق الولايات المتحدة فوضعت كل جنودها تحت إمرة القائد (فوش) و بلغ عددهم مليونين ، فكانت هذه الكثرة مروعة للالمان وقاضية على تحصيناتهم القوية التى أقاموها ، اذ تقدم الهجوم فارتدت الجيوش الألمانية نحو حدود بلجيكا ، و بدت علائم هزيمتهم

(٧) وقد أصاب الألمان شر يزيد على زعزعة مركزهم فى الميدان الغربى من جراء الضغط عليهم وعلى حلفائهم فى الميدان الشرقى فأن الجنرال اللنبى قد روع فلسطين وأباد الجنود التركية تقريباً ، واستولى على دمشق و بيروت

(٨) وفى الوقت عينه أنزلت الجنود الصربية والفرنسية خسائر فادحة ببلغاريا التى طلبت الصلح وانسحبت من الميدان

وكانت كل هذه الأعمال التى تمت فى عام ١٩١٨ معجلة بطلب الهدنة ، فطلبتها المانيا والنمسا وتركيا من الرئيس ولسون . وكانت هذه الهدنة بشيرا بالصلح الذى عقد على الشروط الشهيرة التى اقترحها ولسون .

حقا لقد كان طلب الهدنة بشيرا بعقد الصلح ، ولكنه ما كان ليعقد قبل أن ترى دول الاتفاق رأيها بعدما أصابها من شر الحرب وويلاتها . تبادل الرئيس ولسن

---

(١) اليك بيانا بالدول التى اشتركت فى الحرب وتاريخ دخولها : (١) الصرب فى يوليه سنة ١٩١٤ (٢) الروسيا أغسطس سنة ١٩١٤ (٣) فرنسا أغسطس (٤) بلجيكا و (٥) بريطانيا و (٦) الجبل الاسود و (٧) اليابان وكلها سنة ١٩١٤ . و (٨) ايطاليا و (٩) سان مرينو سنة ١٩١٥ و (١٠) البرتغال و (١١) رومانيا سنة ١٩١٦ و (١٢) الولايات المتحدة و (١٣) كوبا و (١٤) بنما و (١٥) اليونان و (١٦) سيام و (١٧) ليبريا و (١٨) الصين و (١٩) البرازيل سنة ١٩١٧

الرأى مع دول الوسط ثم ترك الأمر لمجلس الحرب الأعلى فى فرنسا ، وكلفت المانيا بارسال مندوب عنها الى فرساى فأوفدته يوم الجمعة ٨ من نوفمبر فوصل الى حيث يقيم المارشال فوش الذى سامه شروط الهدنة وخيّره فى قبولها أو رفضها فى ظرف يوم واحد ، فوافق عليها الألمان قبل مضى المدة المحدودة وكان من أهم شروطها الستة والثلاثين :

١ — أن تخلى المانيا فى الحال البلاد والممالك المحتلة دون أن توقع الأذى بأى أحد أو تدمر أى شىء مما تحت يدها ، وان ينسحب جنودها الى ما وراء نهر الرين

٢ — أن تسلم المانيا كل غواصاتها وبعض سفنها الحربية

٣ — أن تطلق سراح أسرى دول الاتفاق ، وأن تقوم بأصلاح ما خرب من المبانى ، وما أصابته يد التدمير فى الممالك التى احتلتها .

سلمت المانيا بهذه الشروط وكان معنى هذا أنها لا تستطيع بعد انقضاء الهدنة أن تستعيد موقفها الحربى ، أو تجدد غاراتها ، واذن كان لا بد من عقد الصلح . وقبل أن توقع الهدنة رأى الامبراطور غليوم أن آماله قد تحطمت ولذلك لجأ الى هولندة تاركا بلاده نهب الثورات والارتباك

ونتيجة القول أن دخول أمريكا الحرب قد غير الموقف كثيراً وعجل بالصلح بعد أن أوشكت المانيا أن تدخل باريس فانها فى ٢٧ من مايو سنة ١٩١٨ اقتربت من عاصمة الفرنسيين ولم يكن بينها وبين دخولها غير ٤٤ ميلا

عقدت الهدنة فى اليوم الحادى عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ وكان من نتائجها :

١ — انسحاب المانيا ، وعلى أثر ذلك اجتمع مندوبو الدول المختصة فى باريس ليضعوا شروط الصلح التى يريدونها

٢ — القضاء على الحكومة الأوتقراطية وحق الملوك المقدس الذى تمسك به آل أسرة هنزلرن فى المانيا وأسرة هابسبرج فى النمسا والمجر وأسرة رومانوف فى الروسيا

٣ — انتصرت الديمقراطية فى كل بلاد العالم ، وزالت المظالم القديمة بسرعة وفتح باب الأمل لسعادة الناس وهنائهم

وهكذا انتهت الحرب العالمية المروعة التى تعد من اقسى الحروب وافظعها ؛ وصارت كل امة تتطلع الى التخلص من ربقـة العبودية ، والعمل على لم شعث أبنائها ، والتقريب بين عناصرها حتى تعيش رافلة فى حلل السعادة . ومع ان هذه الحرب قد أفقرت الناس فأنها علمتهم دروسا مفيدة فى الاقتصاد والمحافظة على القومية والحرية التى هى انعم ما يتمتع به الانسان فى الحياة .

انتهى بحمد الله



فهرس الكتاب

الباب الاول ص (٥)

الباب الثانى ص (٢٣)

الباب الثالث ص (٥٩)

الباب الرابع ص (٦٦)

الباب الخامس ص (٦٩)

الباب السادس ص (٨١)

الباب السابع ص(٩٦)

الباب الثامن ص (١٣٤)

الباب التاسع ص (١٤٢)




Bibliotheca Alexandrina
0437602